الشارع المغاربي
أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

العدد 378 - من الثلاثاء 17 إلى الاثنين 23 أكتوبر 2023 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

أهمّ ملامح مشاريع ميزانية الدولة 2024 وقانون المالية التكميلي 2023 وقانون المالية 2024

- 77868 مليون دينار ميزانية عام 2024 بزيادة 12 % مقارنة بالميزانية الأصلية لعام 2023
- أول ميزانية لا تبنى على فرضية اتفاق مع صندوق النقد منذ 2013
- تواصل تخفيض الدعم وإقرار اتاوات لتمويل صندوق الدعم
- 28 مليار دينار قروض عام 2024

المثقفون التونسيون يتفاعلون مع «طوفان الأقصى»
«المقاومة فكرة خذلها الإنتهازيون»

موقف الاسبوع

مهمّتان عاجلتان :

«لا سفارات أمريكية على الأراضي العربيّة» و«إلغاء اتفاقيات التطبيع وتجريمه قانونا الآن وهنا»

بقلم: حمه الهمامي

افتتاحية

عرفات الذي افتقدناه...

بقلم : د. زهير بن يوسف

عـرفات الذي افتقدناه...

بقلم : د. زهير بن يوسف (جامعي تونسي)

الرئيس ياسر عرفات(1929 - 2004) ظل دائما محلّ احترام شعبه بمن في ذلك الذين اختلفوا معه.

منذ 19 عاما غادرنا الزّعيم الذي اضطرته الجغرافيا والاختلال الفادح في ميزان القوّة إلى حصاد مرّ لأخطاء متلاحقة في أوسلو وعودة مرهقة إلى غزّة وحصار قاتل وسط تخـلّ عربي رسمي كامل في «رام الله» ولكنّه، وإن ناور في الهوامش، فإنّه لم يقدّم ذرّة تنازل واحدة عن الثّوابت، ورفض أن يقايض حرّيته الشخصيّة بحرّية شعبه.

منذ تسعة عشر عاما غاب الرئيس المناضل الذي رفض أن يحني الرّأس أمام ضغوط الإدارة الأمريكـية وابتزاز حلفائها في مفاوضات كامب ديفيد الثانية، وأبى التّنازل عن أهمّ ركنين من أركان القضية الفلسطينية وآخر خطوطها الحُمر: حق العـــودة والسيادة الكاملة على القدس.

منذ 19 عاما انتقل عنا الفدائي الذي حمل دمه على كفّه في الأغوار[الأردن] وفي العـرقوب وفي بيروت[لبنان] وفي حمّام الشطّ [تونس] متحدّيا مجرمي الحـرب كافّة وفي مقدّمتهم الإرهابي شارون، ورفع العلم الفلسطيني عاليا في مقر الأمم المتّحدة وفي غزّة وفي رام الله وأصرّ إلى آخر نبض في عروقه على رفعه في سماء القدس إن لم يكن بيده فبِيَدِ شبل من أشبال فلسطين أو زهرة من زهراتها»..

منذ 19 عاما مضى عرفات الذي اختار الديبلوماسية دون أن يتخلّى عن البندقية، مضى عرفات الذي أطلق العنان للانتفاضة الثانية لنسف اتفاقيات أوسلو من أساسها بعد أن افتضحت مخططاتها في: الاستحواذ على الأرض والتنكر للحقوق وإبقاء الآلاف من الأسرى في سجون الاحتلال وتدمير كل ما بنته السلطة، فكانت «كتائب شهداء الأقصى» رافدا جديدا من روافد حركة التحرر الوطني الفلسطيني.

منذ 19 عاما ترجّل عرفات ولكن الكوفية الفلسطينية لم تسقط بعده، ولئن نأى به المكان، كرها، عن القدس، حتى في مثواه الأخير، فإنّ قلوب الملايين تسكن فيها القدس كما سكنت فيها يوم الوداع الأخير في «المقاطعة».وإذا كان عرفات قد مات فإنّ «شعب الجبّارين» حيّ لا يموت، وهو جدير بالآلام، على»طريق الآلام» تماما كما المسيح عيسى بن مريم، مثلما هو جدير بحياة ستكلّل عاجلا أو آجلا بالانتصار. وليس أوفى للدور التاريخي للراحل عرفات في قيادة نضال شعبه من إعادة ترتيب البيت الفلسطيني لا على أساس التّسوية، وإنّما على أسس ديمقراطية، أسس الوحدة الوطنية، وتفعيل منظمة التحرير أطرا وهيئات، وإعادة بناء السلطة وأدواتها وتطهيرها من الفساد،ومواصلة النهج الذي استمات من أجله عرفات ويدفع أبناء الشعب يوميّا من حياتهم أسرا وسجنا واعتقالا واستشهادا ثمنا له.

***

الزعيم الراحل ياسر عرفات الذي قال ذات يوم : باع الملك القدس! فماذا انتم فاعلون يا عرب!

ماذا عساه أن يقول لو كان بيننا اليوم إزاء «بيان العار»، بيان « عرب اطاعوا رومهم، عرب وباعوا روحهم، عرب وضاعوا « !!!

وإذ نؤكد على شرعية مقاومة الاحتلال والتصدي للهيمنة ونلحّ على ضرورة عقد مؤتمر دولي لتحديد مفهوم عالمي موحد للإرهاب والتمييز بينه وبين نضال الشعوب من أجل الحرّية بما يحول دون القوى المعادية لحق الشعوب في تقرير مصيرها وعلى رأسها الدول الإمبريالية الكبرى والصغرى والتذرع بهذا الخلط المتعمد لتنفيذ ما تقتضيه مصالحهاومخططاتها استنادا إلى سياسة المكاييل والموازين المزدوجة.

نشدد على ضرورة التميز بين إرهاب الدولة الذي تمارسه حكومة تل أبيب ضد المدنيين الفلسطينيين، والمقاومة المشروعة لهذا الإرهاب، تلك التي ينخرط فيها أفراد أو جماعات وتستهدف إسرائيليين عسكريين وإسرائيليين غير مدنيين وإن كانوا بلباس غير عسكري هم ميليشيات المستوطنين (غلاف غزّة أنموذجا)، وهو الحق الذي ضمنته اللجنة الأممية لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة إذ لا يمكن بحال أن نسوّي بين الجلاد والضحية ولا بين العدوان والدفاع الشرعي عن النفس.

نندد بسياسة الإبادة الجماعية والمجازر اليومية التي يمارسها العدو الصهيوني في حق أشقائنا الفلسطينيين منذ أزيد من أسبوع في قطاع غزّة والأراضي العربية المحتلة وسياسة الإذلال والتركيع والمساومة على الدماء التي يستهدفهم بها، انتقاما لشرفه العسكري الممرّغ في الوحل، ونذكّر بأنه إذا كانت المحرقة النازيّة، بقطع النظر عن الأرقام المقدمة بخصوصها، لم تُفْنِ الشعب اليهودي فإنّ الهولوكوست الصهيوني هذه المرة لن ينجح بالتأكيد في تهجير الشعب الفلسطيني تهجيرا ثانيا فما بالك بالقضاء عليه.

نشجب دعم الولايات المتحدة السافر لهذا العدوان الإجرامي على الشعب الفلسطيني الأعزل وتوفيرها الغطاء السياسي والإعلامي الذي يستلزمه وعرقلتها لكل الجهود الدولية الرامية إلى إيقاف المجزرة وتحملها بالنتيجة، بمعية دول الاتحاد الأوروبي، المسؤولية القانونية والأخلاقية للجرائم الوحشية التي يرتكبها عنها جيش العدو في غزّة.

نعبّر عن سخطنا على تخاذل النظام العربي الرسمي وتواطئه وعدم انفكاكه عن تقديم التنازل تلو التنازل وصولا إلى التطوع إلى الاعتراف الجماعي بإسرائيل مع الالتزام بالتطبيع الكامل معها، وهو المشروع الذي لم يفوّضهم لطرحه أحد لأنه لا معنى له سوى التفويت في حقوقنا التاريخية الإستراتيجية مقابل حق ظرفي مرحلي هو نفسه لا ضمان لأحد فيه ولعل في انقلاب اليمين الإسرائيلي المتطرّف علىّاتفاقيات السلامّ بالحديد والنار خير رد على مثل هذه المبادرات الاستسلامية.

ندعو الحكومات العربية وخاصة دول الطوق إلى الوقف الفوري لكل علاقة لها مع الكيان الصهيوني العنصري بما في ذلك إلغاء كل المعاهدات والاتفاقيات التي تم توقيعها معه والامتناع عن كل أشكال التطبيع السياسي والإقتصادي والثقافي مع دولة العدوّ والالتزام الكامل بالمقاطعة العربية لها وللمتعاملين معها وتطبيق كافة القوانين والقرارات المتصلة بالمكتب الدائم للمقاطعة العربية.

نطالب بمراجعة العلاقات السياسية والاقتصادية والتجارية والأمنية مع الولايات المتحدة واستخدام كل الوسائل الإقتصادية والسياسية الممكنة للضغط على الإدارة الأمريكية وشركائها في العدوان بما في ذلك سلاح النفط والودائع والرساميل العربية والإسلامية في البنوك الأمريكية والغربية عسى أن تتراجع عن دعمها الأعمى للغطرسة الصهيونية.

نعرب عن استنكارنا للتواطؤ الأوروبي المشين مع جرائم الكيان الصهيوني المتصاعدة على قطاع غزة واستيائنا لتناقض مواقفه وتحركاته مع مواقفه في مناطق أخرى من العالم وتناقضه مع المرجعية الأنوارية التي يصدر عنها، وعجز منظمة الأمم المتحدة عن تطبيق قراراتها وفقا لما تقتضيه القوانين والمواثيق الدولية.

نناشد الأسرة الدولية ولا سيما المنظمات الحقوقية والهيئات والجمعيات ذات العلاقة والاتحادات المهنية العالمية استنفار كل قدراتها من أجل دعم الفلسطينيين وإنقاذ غزّة من هولوكوست جديد، والتصدي بالحزم المطلوب والشفافية المفترضة والوضوح اللازم والصرامة المرقوبة لهذا الخرق الصارخ الذي ماانفك الكيان الصهيوني يمارسه في حق القيم الإنسانية والديمقراطية وهذا التعدي المستديم على الشرعية الدولية والاستهانة بالمقررات الأممية ونطالب بتوفير حماية أممية للشعب الفلسطيني وتأمين حقه الطبيعي في الحياة وضرورة قيام مبادرة دولية على الفور لكف العدوان الإسرائيلي عليه وفك الحصار عنه.

***

سلام الوداع مجددا إلى الثائر الذي سيظل رمزا من كبار رموز حركات التحرر الوطني في العصر الحديث من طراز تشي غيفارا وباتريس لومبا وهوشي منه وجمال عبد الناصر رغما عن طغاة العالم ورغم كيد المعتدين، وتواطؤ الخونة والمطبعين .

الكوفية الفلسطينية أسمى من أن يلتف حولها أي «عقال» مفردا كان أو بصيغة الجمع، والراية الفلسطينية أطهر من يلحقها أدنى دنس من «بول البعير»،

و»طوفان الأقصى»، كما الانتفاضة الأولى والثانية، لن توقفه «سيوف حديدية» ولا سيوف حافية، ولا إمبرياليات غربية، ولا آلة القتل الإسرائيلية،

وما جمعه دم الشهداء لا يمكن أن يفرقه أعراب ولا أغراب وإن اجتمعوا.

موقف الأسبوع

مهمّتان عاجلتان :
«لا سفارات أمريكية على الأراضي العربيّة»
و«إلغاء اتفاقيات التطبيع وتجريمه قانونا الآن وهنا»

بقلم: حمه الهمامي - الأمين العام لحزب العمال

إن رقعة التضامن مع «غزة العزّة» خاصّة والشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة عامّة تتسع لتشمل غالبية العواصم العربية. وإذ يكتسي هذا التضامن، سواء في أقطارنا أو في العالم، أهميّة كبرى في هذا الظرف الاستثنائي الذي جُنّ فيه جنون حكومة الصهاينة التي هزمتها المقاومة وأذلّتها فاندفعت نحو ارتكاب حرب إبادة جماعية مدعومة من أبشع الكواسر الاستعماريّة المذعورة، وعلى رأسها الامبرياليّة الأمريكيّة وحكومتها المُجْرِمة، فإنّه من المهم أن تكون لهذا التّضامن في أقطارنا أهداف سياسية واضحة ليكتسي النجاعة المطلوبة.

إن مهمّتين اثنتين، أساسيتين، ملحّتين، تفرضان نفسيهما على شعوبنا للإنجاز دون تأخير نظرا إلى أهميّة عامل الزّمن:

الأولى: توجيه الجماهير المتظاهرة الغاضبة نحو محاصرة السفارات الأمريكية في أقطارنا والمطالبة، كل حسب أوضاعه وجهده، برحيل سفراء هذه القوة الظالمة، المجرمة التي لا تكتفي بدعم العدوان بل تشارك فيه بمختلف الوسائل العسكرية والسياسية والماليّة والإعلامية والدبلوماسية وتوفّر له الغطاء الدولي: بايدن يصرّح «أنا صهيوني». وبلينكن «أنا يهودي...» وهو يتنقّل من عاصمة إلى أخرى لإدارة العدوان. ووزير الدفاع أوستين، تنفيذا لهذا الانخراط السافر والمجرم في العدوان، يرسل حاملتي طائرات إلى المنطقة ويقيم جسرا جويا مع الكيان لمدّه بأكثر الأسلحة دمارا. «لا تستعملوا في تصريحاتكم عبارات: «خفض العنف في غزّة، وقف التصعيد، وقف إطلاق النار، إنهاء العنف وسفك الدماء، استعادة الهدوء...»، هكذا توجّه وزارة الخارجية الأمريكية تعليماتها إلى دبلوماسيّيها في العالم لتوفير الوقت لتنفيذ حرب الإبادة. وعلى خطى هذه التوجيهات تسير مختلف أدوات الدعاية الخاضعة للكواسر الاستعمارية لتوفر من ناحيتها الغطاء الإعلامي، على طريقة «غوبلز» النازيّة، لتنفيذ الجريمة.

غزة التي لا تتجاوز مساحتها 360 كلم مربع وعدد سكانها المليونين و200 ألف نسمة يتجند من أجل مواجهتها، إلى جانب الكيان الصهيوني المدجج بالأسلحة بما فيها السلاح النووي، أكبر الكواسر الاستعمارية وأبشعها في العصر الحديث وعلى رأسها هولاكو القرنين العشرين والواحد والعشرين، الامبريالية الأمريكية. إن ضمان الفاعلية لتضامننا يقتضي طرد سفراء رأس الأفعى من بلداننا دون أن يعني ذلك صمتا على بقية الكواسر أي حكومات اليمين في فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وألمانيا التي تتذيل لواشنطن. كلّ هؤلاء ترعبهم المقاومة ويخيفهم الانهيار المحتوم للكيان الغاصب ممّا يؤشّر لنهاية مواطن نفوذهم في المنطقة. ولكن شعوبهم بصدد اكتشاف الكذبة كما حصل في حروب الجزائر وفيتنام والعراق وأفغانستان وغيرها وقد بدأت ترتدّ عليهم وتخرج إلى الشوارع.

الثانية: توجيه الجماهير الغاضبة في البلدان المطبّعة أنظمتها مع الكيان المجرم، وخاصة جماهير شعوب المغرب ومصر والأردن التي خرجت بَعْدُ إلى الشارع للاحتجاج، إلى إلغاء اتفاقيات التطبيع فورا. إنّ أنظمة التطبيع كشفت عن عورتها بمحاولة إدانة المقاومة والاصطفاف وراء الصهيوني في اجتماع وزراء الخارجية بالجامعة العربية المنعقد أخيرا في القاهرة. ولكن أمام بشاعة العدوان وتعاظم دعم المقاومة في المنطقة وفي العالم يحاول بعض هذه الأنظمة الآن، كذبا وبهتانا التظاهر بمساندة قضية الشعب الفلسطيني، فليكن الضغط على كلّ هذه الأنظمة المطبّعة بالشكل الذي لا يترك لها متنفّسا فلا شيء أقلّ من إلغاء اتفاقيات التطبيع وتجريمه. إن شعب مصر العظيم هذا وقت تدخّله ليكتب صفحة جديدة من صفحات تاريخه المجيد. أما في البلدان التي لم يشملها التطبيع أو التي بدأت تفكر في/ أو تخطو خطوات عملية نحو/ التطبيع ومنَعَها هول الجريمة في غزّة عن التقدم أكثر وإعلان «تجميد» ما بدأت فيه فالمطلوب الآن وهنا فرض التراجع عن أي خطوة معلنة أو غير معلنة نحو التطبيع كفرض سنّ قوانين/تشريعات لتجريم التطبيع على طريق عزل كيان الجريمة وتفكيكه وإنهائه كما انتهى كيان «الأبارتيد» في جنوب إفريقيا وإقامة دولة فلسطين الحرّة والديمقراطية والعلمانية من النهر إلى البحر، ليتعايش فيها، على أنقاض ذلك الكيان الغاصب، أتباع كافة الأديان بسلام.

إن اللحظات الاستثنائية تتطلب مواقف استثنائية. ليس فيما نطرح مزايدة ولا نزعة غير واقعية. إن حرب الإبادة الجماعية التي تتعرض لها غزة واقع وليست خيالا، ومشاركة الحكومة الأمريكية في هذه الحرب واقع أيضا وليست ادعاء أو اتهاما. إن الوهم هو في الاعتقاد في أن الكيان الغاصب وشريكه الامبريالي الأمريكي سيتوقفان عن حربهما الإبادية دون قوة رادعة. كما أن الوهم هو في الاعتقاد بأن ماكرون فرنسا وميلوني إيطاليا وسوناك بريطانيا وشولتز ألمانيا، الذين يمنعون التظاهر نصرة لفلسطين ويجرّمونه أو يمنعون رفع العلم الفلسطيني ويلجّمون كل إعلام حرّ ومستقل كي لا ينقل الحقيقة للشعب، ويسعون سعيا محموما إلى إلغاء الهوية الفلسطينية، لهم أدنى حسّ إنساني لكي يرتدعوا دون ضغط.

إن المقاومة المسلّحة، في نقلتها النوعية الجديدة التي تمثّل هي أيضا واقعا ملموسا لا وهمًا، تؤدّي واجبها وقد تتّسع لتشمل ساحات أخرى في المنطقة، فلتقم المقاومة الجماهيرية، الشعبية (السياسية والحقوقية والنقابية والنسائية والشبابية والثقافية...) بدورها في الإسناد الفعّال الذي لا ينبغي أن يتوقف عند التظاهر وتجميع التبرّعات. إن معركة طوفان الأقصى التحررية تحتاج إلى طوفان شعبي عربي وعالمي من أجل وضع حدّ لإحدى أكبر المظالم في عصرنا الحديث.

إن ما حققته المقاومة في الأرض غير مسبوق في جرأته وتخطيطه ونتائجه العمليّة، وقد تجاوز سقف التوقّعات وهمّش اتفاقات الخيانة والعمالة وردّلها. وهذا المكسب النّوعي للمقاومة في مسار مراكمة القوى على طريق التحرير الوطني الكامل، غير قابل للتبخيس مهما كانت مآلات المعركة الحالية ولا بدّ من البناء عليه لتطوير استراتيجية المقاومة في مواجهة الكيان الصهيوني في الداخل والخارج.

إن مسار الثورات وحركات التحرّر متشعّب، ولكنّه ينتهي دائما بالنّصر.

إن الوقت لتحمّل المسؤوليّة.

إن حزبنا، حزب العمال في تونس، طرح في نشاطه الدعائي والميداني مهمات:

-طرد السّفير الأمريكي

-إلغاء اتفاقية الشراكة مع الناتو

-إصدار قانون لتجريم التطبيع

وهو عازم على تحويلها إلى مهمات مشتركة مع القوى الديمقراطية التقدمية بل إلى مهمات شعبيّة.

نداء:

يا أيها الشعب التونسي ويا أيتها الشعوب العربيّة وشعوب العالم المسكونة بالحرية والكرامة والعزّة، ويا حرائر العالم وأحراره لا تستهينوا بقدرتكم على دعم القضايا العادلة وحركات المقاومة مهما كانت موازين القوى المختلّة حاليا لفائدة قوى الظلم والعدوان... فذلك هو الدرس البليغ الذي تلقّنه لنا المقاومة الفلسطينية اليوم التي تحركت رغم شراسة الكيان الغاصب وشركائه ورغم تواطؤ أنظمة «التطبيع» الخائنة...قاوموا بحناجركم وأيديكم واملأوا الشوارع والسّاحات وقاطعوا كيان الميز العنصري وحاصروا داعِميه من حكامكم وأنظمتكم، قوموا بذلك بسرعة وبصرامة فإنّكم ستوقفون بذلك حرب الإبادة التي يتعرض لها شعب فلسطين العظيم وتنتصرون إلى الحق ...

«إنّ حرّيتنا لن تكتمل دون حرّية الشعب الفلسطيني « – نلسون مانديلا.

تونس في 15 أكتوبر 2023

ذكرى عيد جلاء آخر جندي فرنسي من تونس (15 أكتوبر 1963)

غزة التي فضحتهم....

رفيق بوجدارية

مرت عشرة أيام على انطلاق "طوفان الاقصى" الذي سرعان ما تحول الى طوفان الموت والدمار الذي تسلطه اسرائيل على المدنيين العزل في قطاع غزة .

الجميع يراقب ويشاهد الاجرام الصهيوني الفاشستي الفظيع المدعوم بالتواطىء الغربي والعربي المسنود من اعلام كاذب منافق يساند الجلاد ويدين الضحية.

مرت عشرة ايام والغزاويون بلا ماء ولا غذاء ولا كهرباء لا يستطيعون اجلاء جرحاهم ولا توديع موتاهم وهم يعيشون تحت وابل متواصل من القنابل المحظورة التي تدكّ احياءهم وقراهم ومشافيهم ومدارسهم وتقصف المسعفين داخل سياراتهم.. لا يجدون مكانا آمنا يلجؤون اليه ولا ممرات للمساعدات الانسانية والاغاثة بحكم الحصار الاسرائيلي المضروب عليهم برا وبحرا وجوا وحتى على شبكات التواصل..

ان جرائم الحرب الاسرائيلية في قطاع غزة تجري تحت أنظار المجتمع الدولي الذي يدين الضحية صاحب الارض ويساند المحتل المتوحّش ويساوي في احسن الحالات بين الضحية والجلاد... ان الصهيونية كفكر وكيان لا تحتاج الى براهين جديدة لتبرز وجهها الدموي اللاانساني. ذلك لأن فظاعاتها ومجازرها تعرفها دير ياسين وجنين وغزة وبيروت وصبرا وشاتيلا وحمام الشط... لكن الغرب الذي أسس منظومته القيمية على ثالوث الديمقراطية والحرية وحقوق الانسان اصبح أعمى امام انتهاكات حقوق الانسان الفلسطيني وامام مشروعية مقاومته الاحتلال وامام حقه في الحرية على أرضه مثلما اقرت بذلك اللوائح الدولية وقرارات مجلس الامن الدولي واتفاقيات اوسلو.. الغرب الذي هب لنصرة اوكرانيا في حربها يقف اليوم وراء اسرائيل بدعمه السياسي وباسلحته وبوارجه واعلامه المخزي . هذا الاعلام الذي بدت لنا عورته وهو يروج لأكاذيب نتانياهو ويسحل كل من خالف سرديته الكاذبة التي تعمل ليلا نهارا على كل المحامل لتصوّر المقاومة على انها حركة ارهابية شقيقة "داعش" !

هذا الاعلام معلوم المناهل هو نفسه الذي روّج كذبة أسلحة الدمار الشامل في العراق وكذبة انهار الدم في ليبيا في فيفري 2011 ...

هذا الإعلام فضحته غزة وعرّته حتى بانت سوءته حاله في ذلك حال شبكات التواصل التي تتحكّم فيها قناعات وآراء مالكيها وهوما يطرح فعليا قضية النزاهة والحرية على هذه الشبكات .غزة عرت طبيعة هذا الاعلام الغربي وفضحت كذبه وانحرافه الاخلاقي وعنصريته لأن العنصرية هي الوحيدة التي تفسّر هذا العداء الكبير والمرعب للمسلمين عامة وللعرب خاصة. وهي لا تعكس ازمة القيم عندهم فحسب بقدر ما تُبرز تجذر العقيدة الصليبية في هذا الغرب الذي غير جلدته بعد الحرب العالمية الثانية لكنه لم يغيّر من عقيدته الصليبية التي تتجلى في أتعس مظاهرها عند المسيحيين المتصهينين المسيطرين على امريكا. ومن هنا نفهم المواقف الشخصية لبايدن عندما صرّح بأنه صهيوني أو الدعم اللامحدود الذي يقدّمه ماكرون لاسرائيل او كيف سمحت ألمانيا ولاول مرة باستعمال اسلحتها من قبل جيش الكيان الصهيوني. ونفهم ايضا كيف سجّلت بعض الوجوه اليسارية الأوروبية طالعين اليساري ميلنشون الذي رفض اعتبار المقاومة كحركة ارهابية او موقف الوزيرة الاسبانية التي طالبت بمحاكمة نتنياهو من اجل جرائم الحرب في محكمة الجنايات الدولية وغيرهما من نواب ومثقفين.

في هذه اللحظة التاريخية تقع على عاتق الفلسطينيين مقاومة الاحتلال وعلى عاتق العرب إسنادهم وكذلك انقاذ انفسهم من الضعف بالعمل على تأسيس انظمة وطنية تعمل من اجل كرامة شعوبها التي تحاسبها بالانتخابات ومن اجل انظمة تدافع عن مصالح بلدانها لا مصالح حكامها وانظمة ترفع عن شعوبها الجهل والطائفية والخرافة وتضعها على طريق الانعتاق والتقدم .

هذه اللحظة الاستراتيجية والتاريخية التي يتجلي فيها الموقف الغربي بدعمه اللامشروط للتوحش الاستعماري التقليدي بلا مجاملات ولا مساحيق وهو يدافع عن نظام الميز العنصري الصهيوني بشهادة الامم المتحدة تكشف عن عمق ازمة الذات التي تعيشها المجتمعات الغربية والتي سوف تحصد نتائجها الكارثية قريبا سياسيا واقتصاديا واخلاقيا .

الشارع المغاربي

تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال»
شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير
برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي - رافع الطبيب - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

مستشارو التحرير :
صالح مصباح - صلاح بوزيان - أنس الشابي - نهلة عنان - مسعود رمضاني - أسعد جمعة - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلاّح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :
زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي - فوزية ضيف الله - محمد الكحلاوي - أنور الشعافي- رضا القلال - الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيع بالزين - علاء الدين السعيدي - خليل قويعة - الحبيب بيدة - صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرقية

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

مراسل قار بأوروبا :
جمال بن جميع

التحرير :
منى المساكني - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - ياسين بيّوض

الشارع القضائي :
لطفي واجه

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA i@beta.com.tn

عبّاس يُعلن نهايته!

هل تنجح مخطّطات التهجير والاستسلام؟!

معزّ زيّود

مؤسف جدّا أن يعجز الرئيس الفلسطيني محمود عبّاس عن أن يكون رئيسًا جامعًا للفلسطينيّين، ولو رمزيّا، حتّى خلال الربع ساعة الأخير من مسيرته السياسيّة. والمؤسف أكثر أن تصدر عنه مواقف تخذل تضحيات الشعب الفلسطيني، في زمن امتزجت فيه وجائع الفلسطينيّين وشدّة عذاباتهم في مواجهة جرائم الحرب الصهيونيّة بتحوّل نوعي يكاد يكون غير مسبوق في مقاومة الاحتلال الغاشم.

ياسر عرفات

محمود عباس

محمد دحلان

مع أنّه عايش النكبة والنكسة، فإنّ عبّاس الذي قارب الثامنة والثمانين عمرًا تغافل عن الإنصات لتلك الأمّ المكلومة التي كانت تحاول إيقاظ ابنتها القتيلة جرّاء القصف الهمجي، مخاطبةً إيّاها "حبيبتي يامّه، قومي إرضعي"! أو كذلك لأمّ ثكلى تُدمي أوجاعها القلوب بصراخها "بيكفّي يا عالم ظلم.. يشهد عليّ الله الأولاد ماتوا بدون ما ياكلوا"...

في هذا الظرف المأساوي بالذات الذي بلغ حدّ دفن أربعة أطفال قتلى في كلّ قبر، وتجميع أكداس من المدنيّين الموتى في مقابر جماعيّة نظرا إلى أنّهم مجهولو الهويّة، ينزع أبو مازن إلى مناورة أسقطته في قاع القاع. فقد كلّف وكالته الرسميّة للأنباء (وفاء) بنشر حديثه مع الرئيس الفنزويلي خلال اتّصال هاتفي جمعهما، مدّعيًا أنّ "أفعال حركة حماس لا تُمثّل الشعب الفلسطيني"!. فهل من معنى لمهاجمة حماس الآن وهي أنقذت السلطة الفلسطينيّة من وضعيّة العاجز وأعادت جذوة المقاومة الفلسطينيّة. كما أنّ تعمّد عبّاس تمرير رسائل غير محسوبة ضمن حديث ثنائي مع رئيس دولة تُساند أصلا القضيّة الفلسطينيّة مثل فينزويلا يُثير تساؤلات عدّة. فلا نخاله قد نسي أنّ الرئيس الفينزويلي الراحل هوغو تشافيز كان قد سحب سفير بلاده من تلّ أبيب وطرد سفير دولة الاحتلال بفنزويلا احتجاجًا على العدوان الصهيوني على قطاع غزة عام 2009!.

مناورة أم غباء

حين بلغ الخذلان والتواطؤ ضدّ الشعب الفلسطيني حدّه الأقصى، انقلب إلى درجة غير متوقّعة من الحمق السياسي. وهذا تحديدا ما حدث مع محمود عبّاس الذي بدَا وكأنّه قد أعلن علنًا عن نهايته السياسيّة، مُفضّلا الخروج من الباب الصغير، وهو الذي لن يُمثّل بعد رحيله الوشيك سوى فاصلة ضئيلة متضائلة ومنسيّة في التاريخ الفلسطيني الحديث.

وأمام موجة الانتقادات والاتّهامات بالخيانة، اضطرّت السلطة الفلسطينيّة بُعيد ساعات قليلة لإعادة نشر التصريح نفسه بعد حذف إشارة عبّاس المباشرة لحركة حماس. ومع ذلك فقد أبقت على ما يعكس التواطؤ المكشوف ضدّ حركة المقاومة الفلسطينيّة. لا يتعلّق ذلك بتشديده على أنّ "سياسات وبرامج وقرارات منظمة التحرير الفلسطينيّة هي التي تُمثل الشعب الفلسطيني بصفتها الممثّل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني"، وإنّما خصوصا بالخلفيّات الخطيرة لمزاعمه وخاصّة تأكيده حرفيّا على أنّ "نبذ العنف والالتزام بالشرعيّة الدوليّة والاتفاقيّات الموقّعة والمقاومة الشعبيّة السلميّة والعمل السياسي طريق للوصول للأهداف الوطنيّة". وكأنّ هناك بلدا واحدا في العالم بأسره سبق أن قاوم الاحتلال بالوقفات الاحتجاجيّة السلميّة وحصل على استقلاله بمجرّد الحوار البناء، ومن دون إطلاق رصاصة واحدة.

معلوم كذلك أنّ توصيف عبّاس لمنظمة التحرير الفلسطينيّة بأنّها الواحد الأحد يُعدُّ مجرّد هراء لم يعد له أيّ صدى إلّا في أذهان أصحابه العَجزة، جرّاء عمليّة استضعاف وتجفيف وتهميش دؤوبة لمنظمة التحرير وحركة فتح أطلقها عبّاس نفسه بُعيد رحيل الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات. كان أبو مازن يحاول أنّ يقتصّ من زعامة عرفات حتّى بعد موته مسمومًا، فأثبت أنّه لم يتعلّم شيئا من "رفيق دربه" في عشق الأرض وتجديد آليّات النضال ومقاومة المغتصب المحتلّ.

ابتزاز ومتاجرة

أمّا الأخطر من تلك الأوهام والتهويمات، فيتمثّل في دعوة عبّاس إلى "إطلاق سراح المدنيّين والأسرى والمعتقلين من الجانبين". وهي في الحقيقة الدعوة نفسها تقريبًا التي أطلقتها مختلف الدول الغربيّة دون أن تُبالي مطلقا بمصائر آلاف الأسرى الفلسطينيّين القابعين على امتداد سنوات وعقود في سجون الكيان الصهيوني. ومن المعلوم كذلك أنّ الدول العربيّة المطبّعة، وفي مقدّمتها الإمارات في العلن وقطر في السرّ، قد أعلنت عن بذلك جهود واسعة للوساطة مع حماس والمقرّبين منها من أجل إطلاق سراح الأسرى الصهاينة من عسكريّين ومستوطنين. وفي هذا المضمار، لا يخفى أنّ ورقة الأسرى تُعدّ مسألة حياة أو موت بالنسبة إلى المقاومة الفلسطينيّة، ولذلك أعلنت حركة حماس أنّه لا مجال للتفاوض بشأن الأسرى قبل وقف إطلاق النار، رغم فرط التواطؤ وعمق الخيانة العربيّين من أجل تجريد المقاومة من أهمّ أسباب قوّتها الحاليّة...

وإذا كان الانطباع العفوي المتسرّع إزاء تصريحات عبّاس يحسم التعليق على موقفه بأنّه سقط في خانة الاستسلام المعلن، عبر الضلوع في ترديد موقفٍ متخاذلٍ لقّنته إيّاه الخارجيّة الأمريكيّة، فإنّ تبصّر تصريحاته تلك يُنبئ بمدى خطورة دلالاتها وخلفيّاتها. فمن الواضح إذن أنّ تصريحات عبّاس، قبل تعديلها، كانت عبارة عن رسائل طمأنة وخضوع واسترضاء موجّهة إلى الأمريكان والإسرائيليّين. ومفادها يعني للأسف أنّه مستعدّ لقبول مخطّطاتهما لقطاع غزّة خلال مرحلة ما بعد حركة حماس، أيّ بعد تحقيق وهم القضاء التّام على حركة المقاومة وتهجير الفلسطينيّين الموالين لها.

دحلان على الخطّ

وعلى الأرجح أنّ عبّاس وجماعته منكبّون هذه الأيّام على إجراء مناورات سياسيّة تهدف كذلك إلى إفشال سيناريو آخر ليس أقلّ خبثا، ويتمثّل في قطع الطريق أمام القيادي الفلسطيني المطرود من حركة فتح ورئيس جهاز الأمن الوقائي في قطاع غزّة السابق المليونير محمد دحلان المقيم في الإمارات. فوفق ما كشفه الإعلامي الفلسطيني عبد الباري عطوان، فإنّ دحلان قد أعرب عن استعداده للعودة إلى قطاع غزّة لتسلّم زمام الأمور فيها بعد القضاء على حركة حماس. ولا يخفى أنّ العديد من قيادات حركة فتح سبق أن اتّهمت محمد دحلان بأنّه جاسوس وعميل لدى جهاز الموساد الصهيوني عند طرده منها. كما سبق أن أشارت بعضها همسًا وعلنًا إلى شبهة ضلوعه في تسميم الزعيم ياسر عرفات خلال الحصار الذي فرضه عليه جيش الاحتلال الصهيوني في مقرّ الرئاسة الفلسطينيّة لفترة قاربت ثلاث سنوات جرّاء دعمه المطلق للانتفاضة الفلسطينيّة الثانية. ولا يُستبعدُ أنّ دحلان بصدد التنسيق حاليّا مع موفدين من أجهزة مخابرات الاحتلال الصهيوني بشأن السيناريوهات البديلة، انطلاقا من مقرّ إقامته في بؤرة التطبيع المذكورة.

ومع أنّ الأوضاع تبدو أكثر تعقيدًا من مثل تلك الطموحات الشخصيّة على حساب الحدّ الأدنى من الوطنيّة المفقودة، فإنّ المخطّطات الجهنّميّة لـ"ما بعد حماس" تجري بإشراف أمريكي إسرائيلي، ولا أدلّ على ذلك من جولة وزير الخارجيّة الأمريكي أنتوني بلينكن التي حملته في بدايتها ونهايتها إلى تلّ أبيب، مرورًا بكلّ من الأردن والإمارات والسعودية والبحرين وقطر ومصر، إلى جانب الاجتماع مع محمود عبّاس، طالبًا منه علنًا العمل على تجنّب التصعيد في الضفة الغربيّة وضمان أمن الكيان الصهيوني. فقد كشف إعلام الكيان الصهيوني نفسه أنّ بلينكن الذي كان قد عبّر بمنتهى العنصريّة عن فخره بأصوله اليهوديّة، أبلغ عبّاس بأنّ الحرب على قطاع غزة تهدف إلى القضاء على حركة حماس نهائيّا، مبرّرًا بكلّ صفاقةٍ ووقاحةٍ استهداف المدنيّين في القطاع قصد تهجير من بقي على قيد الحياة منهم، حيث أدّى العدوان الصهيوني إلى قتل حوالي ثلاثة آلاف فلسطيني معظمهم من الأطفال.

ورغم كلّ ذلك فإنّ معركة دحر الاحتلال الصهيوني التي غيّرت تاريخ المقاومة الفلسطينيّة لا تزال مستمرّة ما استمرّ فلسطينيّ واحد في القطاع والضفّة، مهما اشتدّت حدّة الخذلان وتعدّدت الخيانات...

خسائر

موظف بالشركة التونسية للفولاذ وصف السياسة التجارية التي تتبعها ادارة المؤسسة العمومية منذ فترة بالفاشلة مشيرا إلى أن إصرار إدارتها على التخفيض في ثمن بيع الحديد بـ 5 % كبدها خسائر لا تقل عن 10 ملايين دينار.

المصدر الذي فضل عدم الكشف عن هويته استغرب في تصريح لأسبوعية "الشارع المغاربي" من لجوء الادارة الى اعتماد تخفيض في الأسعار مشددا على انه سبق للشركة ان جرّبت في السابق نفس السياسة وعلى انها تسببت لها في خسائر مالية ضخمة.

وأفاد بأن من النتائج الوخيمة للتخفيض في الاسعار ان بعض التجار النافذين اصبحوا يعمدون الى اقتناء اغلب كميات الحديد التي تعرضها الشركة بما تسبب في اقصاء صغار التجار.

الموظف تحدث ايضا عن تراجع قدرة الشركة الانتاجية جراء ايقاف عمل احد فرنيها بعد ان تسبب في وفاة احد العمال لافتا الى ان تعطل الفرن كان نتيجة اقتناء قطع غيار غير صالحة.

دعم

مندوبة الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة جددت يوم أمس دعم بلادها لمهمة بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا "من أجل وضع مسار سليم نحو الانتخابات ومن أجل انتخاب حكومة تمثل كل الليبيين".

المندوبة الأمريكية دعت في كلمتها بمجلس الأمن الدولي الأطراف الليبية إلى "العمل مع البعثة الأممية من أجل حسم الخلافات وتحقيق التوافق للوصول إلى العملية الانتخابية التي يترقبها الليبيون".

الدبلوماسية الأمريكية شدّدت على ضرورة إبعاد الانقسامات والمواقف السياسية في أي عمل يخص معالجة كارثة درنة والمناطق المنكوبة جراء الفيضانات المدمّرة التي اجتاحت شرق ليبيا في العاشر من سبتمبر الماضي.

كما جددت التأكيد على ضرورة مغادرة المقاتلين المرتزقة التابعين لمجموعة «فاغنر» الروسية متهمة إياها بالرغبة في زيادة رقعة انتشارها في الأراضي الليبية.

شتّان ما بين أخلاق المقاوم وغطرسة المحتلّ.

تكريما للكفاءات العالية الوطنية التي شرفت هذا البلد :

أعرض هذا الاقتراح

العميد الصادق بلعيد

لا جدال ان "التاريخ" هو المؤمّن لأكبر العوامل المكوّنة للمسار الحضاري للمجتمعات البشرية. ومن هذا المنطلق، فإنه لا شك في ان جميع أعضاء هذه الأمة يعتزّون بآلاف السنين من تاريخنا التي انجبت شخصيات فذّة وخارقة للعادة. فمن ينكر فضل حنّبعل وماسنيسا ويوغرطا وابن خلدون وخير الدين وابن الجزار وفاطمة الفهرية وعزيزة عثمانة وطارق ابن زياد والحبيب بورقيبة وخميس ترنان وجلال ابن عبد الله ومحمود المسعدي ومحمد الطالبي وغيرهم كثيرون ممن صنعوا هذه البلاد على مرّ العصور وصقلوا الشخصية التونسية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ...

وإن "الزمن" يعتبر حبل التواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل. وعلى هذا الأساس، فإن حاضرنا يصنع مستقبلنا ويكوّن بصورة مطّردة الشخصية التونسية، وهو أيضا البوصلة الموجهة للحركية المجتمعية والدافع لزخمها ولتقدّمها.

وعلى أساس نفس التمشي الفكري يتشرّف واضع هذه الكلمات بصفتنا مجتمعا وطنيا يتطلّع الى مستقبل أفضل بالقيام بمبادرة ترمي الى تكريم الثروة الفكرية الهائلة التي تزخر بها هذه البلاد باعتبار ان الوعي بأهميتها سيساعدنا على النهوض بشعبنا وعلى الانفتاح على مستقبل أفضل لأبنائنا.

فلنعرّف بالشخصيات الفذّة التونسية ولنشحن ذاكرتنا الجماعية بأسماء تلك الأعلام التي عرّفت ببلادنا في مجالات عديدة كالعلوم والطب والجراحة والآداب والفنون الجميلة والعلوم الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها. فمن المؤسف ان تكون معظم الكفاءات التونسية محلّ اجلال واحتفاء خارج البلاد أكثر مما هي عليه بداخلها...

ولبلوغ هذا الهدف المتميز، لمَ لا نقتفي أثر ابن النديم وابن خلكان وابن أبي أصيبعة مثلا وأن نضع أسس "فهرس" يكرّم الذين كرّموا هذا البلد ورفعوا في شأنه بين الدول...

إن أملنا هو ان تحظى هذه المبادرة بالموافقة والمساندة والاقبال.

وعملا بهذا الاقتراح وعملا على إنجازه في أقرب الآجال وفي أحسن الظروف، فإننا سنقوم مع بعض الزملاء الأفاضل بتقديم مشروع نظام أساسي يرسم مبادئ هذه الفكرة في إطار الاجراءات القانونية المعمول بها في هذا الصدد.

أهمّ ملامح مشاريع ميزانية الدولة 2024 وقانون المالية التكميلي 2023 وقانون المالية 2024

- 77868 مليون دينار ميزانية عام 2024 بزيادة 12 % مقارنة بالميزانية الأصلية لعام 2023
- 961.656 العدد الجملي لأعوان وموظفي الدولة حسب قانون المالية 2024
- أول ميزانية لا تبنى على فرضية اتفاق مع صندوق النقد منذ 2013
- تقديرات بنسبة نمو بـ2.1 لعام 2024 والنسبة كارثية 0.9 % لكامل عام 2023
- 12288 مليون دينار عجز في ميزانية 2023
- تواصل تخفيض الدعم
- 28 مليار دينار قروض عام 2024
- إحداث معلوم على مشتقات الحليب باستثناء الياغورت
- معلوم ظرفي بـ4 % على مرابيح البنوك والمؤسسات المالية
- اقرار إتاوات جديدة لتمويل صندوق الدعم منها مضاعفة معلوم إقامة السياح الأجانب 4 مرات

كوثر زنطور

ينطلق مجلس نواب الشعب خلال الايام القليلة القادمة في مناقشة مشاريع قوانين ميزانية الدولة لعام 2024 وقانون المالية التكميلي لعام 2023 وقانون المالية لعام 2024 وذلك بعد ان أحال مكتب المجلس يوم امس الاثنين القوانين المذكورة للنقاش في لجنة المالية .

يقدّر حجم ميزانية الدولة لعام 2024 بـ 77868 مليون دينار اي بزيادة تقارب الـ12 % مقارنة بميزانية الدولة الاصلية لعام 2023. هذه الميزانية التوسيعية متأتية أساسا من موارد جبائية تتجاوز 98 % للموارد الذاتية للميزانية فيما ستتم تعبئة 28 مليار دينار من قروض داخلية وخارجية.

الرقم اللافت هو العدد الاجمالي لأعوان وموظفي الدولة على المستوى المركزي والداخلي الذي يقارب المليون وتحديدا 961.656 عونا مرخصا فيهم لسنة 2024 بالوزارات بمصالحها المركزية والجهوية وبالمؤسسات العمومية الملحقة ترتيبيا بميزانية الدولة.

الجمهورية التونسية
وزارة المالية
مشروع قانون المالية التعديلي لسنة 2023
أكتوبر 2023

وزارة المالية
مشروع قانون المالية لسنة 2024

الجمهورية التونسية
وزارة المالية
تقرير
حول مشروع ميزانية الدولة لسنة 2024
أكتوبر 2023

تواصل نفس السياسات

كشف مشروع قانون المالية التكميلي لعام 2023 تسجيل ارتفاع في عجز الميزانية بـ3781 مليون دينار ليبلغ 12288 مليون دينار بما يعني 7.7 % من الناتج المحلي الاجمالي مقابل 5.2 في المئة في قانون المالية الاصلي . وشهدت نفقات الميزانية ارتفاعا بـ2150 مليون دينار مع تراجع نسبة النمو من 1.8 % كانت متوقعة في قانون المالية الاصلي الى 0.9 % في قانون المالية التكميلي.

كما سجّل حجم ميزانية الدولة زيادة بنسبة 1.9 % لتبلغ 71239 مليون دينار مقابل 69914 مليون دينار في تقديرات الاولى اي بزيادة بنسبة 17.4 % مقارنة بنتائج سنة 2022 بنسبة نمو لا تتجاوز 0.9 في المئة . ذلك يؤدي حسب خبراء الى مزيد تفاقم المديونية وارتفاع نسبة التضخم التي وصلت الى 11 % وتراجعت نسبيا لتبلغ 9.3 % حسب اخر الاحصائيات الرسمية .

في شرح الاسباب، تؤكد وزارة المالية ان التغييرات المناخية والجفاف وتواصل ما اسمته بالنزاع الروسي الاوكراني وارتفاع اسعار المواد الاولية وخاصة الطاقة والحبوب أثرت على مؤشرات الاقتصاد الوطني وانها شكلت ضغوطات اضافية على مستوى تنفيذ الميزانية. ولفتت الى انها استدعت ضرورة مراجعة الفرضيات التي انبنى عليها قانون المالية لسنة 2023 وتحيينها للاخذ بعين الاعتبار تطور المناخ العام وما تميز به من مستجدات

تم تسجيلها منذ بداية السنة وملاءمة مستوى بعض المؤشرات والفرضيات مع المستوى المتوقع والتي قالت الوزارة انها تتعلق اساسا باسعار النفط والمواد الاساسية وسعر صرف اهم العملات الاجنبية .

وتمت مراجعة سعر برميل النفط من 89 دولارا الى 83 دولارا لكامل العام الماضي فيما تسبب عدم تفعيل الإجراءات التي تم اعتمادها في قانون المالية 2023 والمتعلقة باسعار المواد البترولية والكهرباء والغاز في عدم تعبئة موارد بـ 2450 مليون دينار .

اما قانون المالية لعام 2024 ، فقد تضمن سن عفو جبائي بالنسبة الى المعاليم العقارية الموظفة لفائدة الجماعات المحلية وذلك بالتخلي عن المبالغ المثقلة بعنوان المعلوم على العقارات المبنية والمعلوم على الأراضي غير المبنية المستوجبة بعنوان سنة 2021 وما قبلها وكامل خطايا التأخير ومصاريف التتبع المتعلقة بها .

ضمن "دعم توازنات المالية العمومية" اقر مشروع قانون المالية لعام 2024 معلوما ظرفيا لفائدة ميزانية الدولة لعامي 2024 و2025 يستوجب على البنوك والمؤسسات المالية ومؤسسات التأمين واعادة التأمين بنسبة 4 % من الارباح المعتمدة لاحتساب الضريبة على الشركات مع حد ادنى بـ10000 دينار.

ونص قانون المالية على ارساء "اليات بديلة لتمويل نفقات الدعم" اهمها الترفيع في نسب الإتاوة وتوسيع ميدان تطبيقها لتشمل الترفيع في الاتاوة من 1 الى 3 % بالنسبة الى المطاعم السياحية المصنفة والمقاهي من الصنف الثاني والثالث وقاعات الشاي بالاضافة الى المؤسسات السياحية التي تتولى ايواء حرفاء وكذلك الحانات وصناعات المشروبات الغازية والجعة والخمور والمشروبات الكحولية وذلك بنسبة 3 % من رقم المعاملات خال من كل الاداءات والمعاليم .

كما يتم دعم صندوق الدعم عبر الترفيع في نسبة الاتاوة من 3 الى 5 % بالنسبة الى الملاهي والنوادي الليلية غير التابعة لمؤسسة سياحية والكباريات ومحلات صنع المرطبات مع استثناء المحلات التي تتولى حصرا صنع بعض اصناف الحلويات التقليدية الشعبية التي تضبط قائمتها بقرار من وزير المالية.

ويتم استرجاع جزء من نفقات الدعم بتوسيع ميدان تطبيق معلوم الاقامة ليشمل علاوة على النزل السياحية كل المؤسسات السياحية المختصة في الاقامة وكل المحلات الاخرى المعدة للايجار مع الترفيع فيه بالنسبة الى السياح الاجانب بـ4 دنانير عوض دينار واحد عن كل ليلة مقضاة بنزل سياحية من صنف 2 نجوم و8 دنانير عوض دينارين عن كل ليلة مقضاة بنزل 3 نجوم و 12 دينارا عوض 3 دنانير عن كل ليلة مقضاة بنزل 4 او 5 نجوم .

وضمن آليات تمويل صندوق الدعم تم احداث معلوم على مشتقات الحليب باستثناء الياغورت بمبلغ يتراوح بين 1500 و3 دنانير على الكيلوغرام بالنسبة الى الاجبان بجميع انواعها المحلية او الموردة وبمبلغ دينارين على الكيلوغرام

تحيين ميزانية الدولة لسنة 2023

بالنسبة الى القشدة المحلية والمورّدة.

كما تضمّن مشروع قانون المالية زيادة في المعلوم الموظف على تذاكر الرحلات الجوية والبحرية من 20 ال 40 دينار بالنسبة الى تذاكر الرحلات الاقتصادية ومن 20 الى 60 دينارا بالنسبة الى صنف الدرجة الاولى او رجال الاعمال .

من جهة اخرى نص مشروع قانون المالية لعام 2024 على الترفيع في العقوبات المالية المطبّقة في صورة الاخلال بواجب تقديم المعلومات الى المصالح الجبائية من 1000 الى 5000 دينار والحد الاقصى من 20 الف الى 50 الف دينار والترفيع في الخطية المطبقة على كل معلومة غير مقدّمة من 100 إلى 200 دينار .

ويقر مشروع قانون المالية إحداث حساب دعم لتطوير المنظومة القضائية العدلية. وستتم تعبئة موارده عبر معلوم موظّف على الأذون على العرائض وعلى الاوامر بالدفع بمقدار 10 دنانير عن كل مطلب إذن او أمر بالدفع ومن مبالغ "الديسميات" الاضافية للخطايا والعقوبات المالية المستخلصة وبـ 30 % من المعاليم مقابل بعض الخدمات المسداة من قبل المركز الوطني لسجل المؤسسات.

وتضمن مشروع القانون فصلا ينص على مواصلة دعم تمويل الشركات الاهلية من خلال الترفيع في الاعتمادات المخصصة لخط التمويل بـ20 مليون دينار اضافية والتمديد في فترة الانتفاع بهذا الخط الى موفى شهر ديسمبر 2025 وتوسيع مجال التصرف فيه ليشمل علاوة على البنك التونسي للتضامن بقية البنوك.

ومن الاجراءات لدعم قطاع الفلاحة منح الاعفاء عن المعاليم الديوانية وتوقيف العمل بالاداء على القيمة المضافة على مادة القرط ومادة السيلاج.

ميزانية 2024

حجم ميزانية الدولة لسنة 2024 يقدر بـ77868 مليون دينار اي بزيادة تصل الى 12 % مقارنة بميزانية 2013 (69914 مليون دينار) وبزيادة 9.3 % مقارنة بالنتائج المحينة لميزانية عام 2023 . مستوى عجز الميزانية يبلغ 6.6 % من الناتج المحلي الاجمالي مقابل 7.7 % محتملة لكامل عام .2023.

هذه الميزانية بنيت على اساس فرضية نسبة نمو اقتصادي بـ2.1 %

3. عجز الميزانية والتمويل

4. حجم الدين العمومي

وعلى سعر برميل النفط الخام في حدود 81 دولارا للبرميل وهي اول ميزانية منذ 2013 لم تبن على اساس التوصل لاتفاق مع صندوق النقد لكنها تتضمن اجراءات تقشفية ضمن فلسفة ما يسمى باصلاحات الصندوق من خلال خاصة مواصلة التخفيض في قيمة الدعم وفي الضغط على كتلة الاجور والترفيع في الاداءات. وسيصل حجم الضغط الجبائي الى 25.1 % بعد ان بلغ 24.9 % عام 2023.

وتقدر الموارد الذاتية للميزانية لعام 2024 بـ49130 مليون دينار اي 63.1 % من موارد الدولة وتمثل الموارد الجبائية 89.6 % من مجموع الموارد الذاتية للميزانية (44050 مليون دينار) و 9.7 موارد غير جبائية (4760 مليون دينار) و0.7 % هبات (350 مليون دينار). وتقدر موارد الاقتراض باكثر من 28 مليار دينار ليبلغ بذلك حجم الدين العمومي 139976 مليون دينار .

حسب مشروع ميزانية الدولة، تقدر قيمة موارد الاقتراض الداخلي بـ 11743 مليون دينار بعنوان رقاع خزينة بـ 52 اسبوعا ورقاع خزينة قابلة للتنظير وقرض رقاعي وطني وقرض بالعملة الاجنبية مقابل 16445 من الاقتراض الخارجي منها 14470 مليون دينار لدعم الميزانية متأتية من : 38 مليون دولار من صندوق النقد العربي و63 مليون اورو من البنك الدولي و400 مليون دولار من البنك الافريقي للتصدير والاستيراد و300 مليون دولار من الجزائر و500 مليون دولار من السعودية و3200 مليون دولار بلا عنوان والارجح انها قرض صندوق النقد في صورة التوصل لاتفاق وبقية التمويلات المرتبطة به على غرار التمويلات الموجهة من الاتحاد الاوروبي.

نفقات التأجير تبلغ 23711 مليون دينار وتمثل 13.5 في المئة من الناتج الاجمالي المحلي مقابل 14.4 في المئة عام 2023 و14.7 في المئة عام 2022. ويتضمن مشروع قانون الميزانية للعام

القادم تفعيل القسط الثاني من برنامج الزيادة في الاجور بالقطاع العام انطلاقا من جانفي 2024 من جهة اجراءات جديدة لمزيد التقليص في كتلة الاجور من جهة اخرى منها حصر الانتدابات في الحاجات المتأكدة وذات الاولوية القصوى مع التخفيض التدريجي في عدد خريجي مدارس التكوين وعدم تعويض الشغورات والسعي الى تغطية الحاجات المتاكدة بإعادة توظيف الموارد البشرية المتوفرة واعتماد البرامج المستحدثة للتخفيض في عدد الاعوان بالوظيفة العمومية عبر تطبيق البرنامج الخصوصي للاحالة على التقاعد قبل بلوغ السن القانونية وتفعيل الامر المتعلق بالتنقل الوظيفي للاعوان العموميين لفائدة الوزارات والمؤسسات العمومية ذات الصبغة الادارية .

تبلغ قيمة نفقات الدعم 11337 مليون دينار مقارنة بـ 11475 مليون دينار عام 2023 اي بتراجع بـ138 مليون دينار. ويبلغ حجم الدعم 19 في المئة من جملة نفقات الميزانية وكان في حدود 20.5 في المئة عام 2023.. و سيتم انشاء هيئة تعديلية لحوكمة قطاع الكهرباء ومراقبته لترشيد استهلاك الطاقة التي شهد الدعم فيها ارتفاعا غير مسبوق وستبلغ العام القادم 7086 مليون دينار فيما يقدّر دعم المواد الاساسية بـ 3591 مليون دينار بتراجع قدره 214 مليون دينار مقارنة باعتمادات عام 2023.

وبُنيت الاعتمادات الموجهة لدعم المواد الاساسية على فرضية تراجع اسعار الحبوب واسعار الزيوت النباتية واستقرار سعر صرف الدينار مقابل الدولار ومواصلة تطبيق مرسوم مقاومة الاحتكار وتشديد المراقبة على مسالك التوزيع والتوسع في زراعة الحبوب.

وتقدّر النفقات الموجهة للاستثمار بـ 5274 مليون دينار مقابل 4693 مليون دينار عام 2023 فيما تقدر النفقات الموجهة الى التنمية بـ 10347 مليون دينار بتطور بـ12.3 % مقارنة بعام 2023.

تجدون النص الكامل لمشاريع ميزانية الدولة 2024 وقانون المالية التكميلي 2023 وقانون المالية 2024 على موقع «الشارع المغاربي» انطلاقا من اليوم

الذكرى 60 لعيد الجلاء

حرب بنزرت... الحقيقة الموثّقة!

الرئيس بورقيبة والرئيس الفرنسي شارع ديغول في قصر RAMBOUILLET

د.محمد اللومي

يحتفل الشعب التونسي بنخوة واعتزاز بالذكرى السبعين لجلاء آخر جندي فرنسي عن أرض الوطن، وتحديدا عن القاعدة العسكرية ببنزرت.. ولا شك أن الاحتفال بهذه الذكرى الخالدة يمثل فرصة متجددة للترحم على أرواح شهداء الوطن الأبرار الذين وهبوا دماءهم الزكية عربونا لحياة الانعتاق والكرامة.. ولكن وفي نفس الوقت يعود الحديث مع حلول ذكرى 15 أكتوبر عن مدى مشروعية حرب بنزرت وعن المسؤول عن اندلاعها وكذلك عن مدى صحة إمكانية تفاديها وبالتالي إمكانية تفادي سقوط المئات من الشهداء في غضون أيام أربع من القصف الوحشي واللاانساني الذي قابلت به السلط الاستعمارية الفرنسية جموع الشباب التونسي الأعزل حول قاعدة بنزرت المغتصبة.

لنتفق أولا على نقطة مبدئية لا جدال فيها.. وهي أن قاعدة بنزرت أصبحت غداة الاستقلال تمثل ترابا تونسيا مغتصبا داخل دولة تونسية مستقلة وأنه من الشروط الضرورية لاستكمال كل معاني الاستقلال استرجاع قاعدة بنزرت.. وهو ما ترجمه "الزعيم الحبيب بورقيبة" –رحمه الله- حين صرح للصحيفة اللندنية "التايمز" يومان فقط بعد اعلان الاستقلال.." بعد فترة انتقالية يجب على كافة القوات الفرنسية الانسحاب من الأراضي التونسية بما فيها بنزرت".. وفي اعتقادي أن "الزعيم بورقيبة" أعرب لما أشار الى الفترة الانتقالية ضمنيا عن نيته في استرجاع قاعدة بنزرت سلميا وعبر المفاوضات مع الجانب الفرنسي.. تصريح "الزعيم بورقيبة" قابله خطاب شديد اللهجة لوزير الخارجية الفرنسي آنذاك "كريستيان بينو" بتاريخ 12 جويلية 1956 من أعلى منبر الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان) حيث قال إن من بين مهام الجيش الفرنسي في تونس حماية وحدات الجيش الفرنسي التي تحارب في الجزائر وأنه لا يمكن لفرنسا التخلي عن قاعدة بنزرت.. كان رد "الزعيم بورقيبة" واضحا وصريحا.." تتعهد تونس حكومة وشعبا باحتضان جبهة التحرير الجزائرية وجناحها العسكري جيش التحرير الجزائري ومدهما بكل وسائل الدعم والمساندة المتاحة".. ولكن "الزعيم بورقيبة" فهم في نفس الوقت أن لجلاء القوات الفرنسية عن بنزرت ارتباطا وثيقا بحرب الجزائر.. وانطلاقا من يقينه بأن مآل الحرب الجزائرية الفرنسية سيكون عاجلا أم اجلا حلا نهائيا غبر المفاوضات بين الجانبين. فقد حاول بمساعدة الملك المغربي الراحل "محمد الخامس" تسريع الحل السياسي للنزاع الجزائري الفرنسي او على الأقل القبول بمبدئه.. ومنذ شهر أكتوبر 1956 اقترح "الزعيم بورقيبة" عقد قمة مغاربية في تونس تجمع بينه وبين "الملك محمد الخامس" وقادة جبهة التحرير الجزائرية.. ولكن الجيش الفرنسي في الجزائر أفشل الاجتماع حين قام يوم 22 أكتوبر 1956 بتحويل وجهة الطائرة المقلة للقادة الجزائريين حين كانت في طريقها من المغرب إلى تونس اذ أقدم سلاح الجو الفرنسي على تنفيذ عملية قرصنة جوية أجبرت الطائرة على تحويل وجهتها الى مطار الجزائر العاصمة أين ألقي القبض على راكبيها.. ويتبين لنا الى هذا الحد أن الجانب الفرنسي لم يكن مستعدا للتفريط لا في الجزائر ولا في قاعدة بنزرت.. وقد تأكد ذلك يوم 14 فيفري 1957 لما حلّ كاتب الدولة الفرنسي "موريس فور" بتونس وعرض على "الزعيم بورقيبة" فتح مفاوضات سريعة من أجل إمضاء معاهدة حول "الدفاع المشترك" بين تونس وفرنسا تتضمن انشاء هياكل عسكرية مشتركة وتمكين القوات الفرنسية المتمركزة بتونس من التسهيلات الضرورية والسماح لفرنسا بالمساهمة في تكوين الجيش التونسي وبالابقاء على ثكنات في بنزرت مثلما هي الحال في بعض القواعد البرية والجوية الأخرى وكذلك الإبقاء على معدات دفاعية جوية وبحرية.. يتضح جليا أن "معاهدة الدفاع المشترك" التي اقترحها الجانب الفرنسي على هذا الشكل لم تكن الا تعويما لمسألة قاعدة بنزرت من أجل اذابتها وافراغها من محتواها ومدلولاتها وبالتالي يصبح الجلاء عنها أمرا غير ذي موضوع.

تفطن "الزعيم بورقيبة" لذلك فصرح بكل وضوح وحزم "الحكومة التونسية لن تبرم أي اتفاق حول الدفاع المشترك مع فرنسا – تنفيذا لوثيقة الاستقلال في فقرتها الخاصة بالتكافل العسكري بين البلدين- الا بعد جلاء جيوشها عن الأراضي التونسية بما في ذلك قاعدة بنزرت الاستراتيجية".. وتأتي مذكّرة الحكومة الفرنسية الى الحكومة التونسية بتاريخ 31 ماس 1959 لتبعث على الاستنتاج بأن فرنسا تقر ضمنيا وبأن مسألة قاعدة بنزرت أصبحت تمثل فعلا أمرا غير ذي موضوع.. والأمر يزداد تأكدا اثر لقاء "الجنرال ديغول" بسفير تونس لدى فرنسا" الحبيب بورقيبة الابن"- رحمه الله- يوم 4 فيفري 1960 حيث أكد له أن باريس ملتزمة بالدفاع عن العالم الحر في اطار استراتيجيات الحلف الأطلسي وبالتالي فان فرنسا مستعدة للتفاوض على تراتيب بقاء قواتها في بنزرت ولكنها لا تنوي سحبها من هناك.

توجه " بورقيبة الابن" الى مقر الحلف الأطلسي ببروكسيل حيث التقى أمينه العام "السيد هنري سباك" يوم 17 فيفري 1960.." السيد هنري سباك" أورد على مسامع السفير التونسي ما يلي.." الحقيقة أن الحديث عن بنزرت انقطع منذ مدة داخل تنظيمات الحلف والسبب في ذلك يعود الى موقف الحكومة الفرنسية التي لم تفعل شيئا من أجل تحفيز الحلف على انجاز مشاريع تخص البنية التحتية في قاعدة بنزرت.. لذلك أنا بصدد اقتراح يقضي بتحويل المبالغ المخصصة لفائدة بنزرت الى

جهات أخرى.. ومما لا شك فيه أن مردّ أزمة الثقة المتبادلة بين فرنسا والحلف الأطلسي قرارات تباعدية انعزالية من طرف ديغول إزاء الحلف".. ويتأكد لدينا الى هذا الحد أن إصرار فرنسا على البقاء في قاعدة بنزرت لم يكن متعلقا لا بالقضية الجزائرية ولا بالتزاماتها تجاه العالم الحر من خلال استراتيجيات الحلف الأطلسي.

لماذا كانت فرنسا تصر اذن على البقاء في بنزرت؟.. ربما تأتينا الإجابة حين دعا "ديغول" "الزعيم بورقيبة" لزيارة فرنسا من أجل محادثات ذات جدوى.. يوم 27 فيفري 1961 اجتمع "الزعيم بورقيبة" "بديغول" لمدة خمس ساعات في قصر "رامبوياي". فحوى المحادثة بين الجانبين لخصها لاحقا "ديغول" نفسه بالقول خلال ندوة صحفية بتاريخ 5 سبتمبر 1961.." لما استقبل رئيس الجمهورية التونسية من طرفي شخصيا في قصر رامبوياي يوم 27 فيفري 1961 وقد أتت مسألة بنزرت في سياق محادثاتنا. قلت له بالشكل الأكثر وضوحا بأن الوضع على ما كان عليه وان فرنسا لا يمكنها ولا تريد مغادرة بنزرت".. وأتبين شخصيا أن محادثات" رامبوياي" كانت فعلا محادثات ذات جدوى.. لأنها أفصحت بصفة نهائية عن نية فرنسا للبقاء في قاعدة بنزرت الى ما لا نهاية له.. كما أفصحت تلك المحادثات المجدية فعلا عن الأسباب الحقيقية لاعتزام فرنسا إبقاء قواتها العسكرية بقاعدة بنزرت.. هذه الأسباب أوردها "عبد المجيد شاكر" –رحمه الله– بكل دقة في كتابه "منذ 50 سنة.. عشت معركة بنزرت" حيث كتب.." أراد ديغول تجديد عظمة فرنسا وهيبتها ودورها في التأثير على القرارات الدولية ان لم يكن ذلك عبر احتفاظها بمستعمراتها فعلى الأقل بقاعدة من وراء البحار في وقت وضعته الأقدار على رأس دولة أوروبية كبيرة لا محالة ولكنها عضو في المجموعة الأطلسية التي تضم من بين أعضائها الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وهما الأقوى من فرنسا والأكثر حضورا وتأثيرا منها في المجتمع الدولي.. ونحن نعلم كغيرنا كم كان ذلك يحزّ في نفس ديغول ويجعل علاقاته بشركائه الأطلسيين بين مدّ وجزر".. أعتقد أن ديغول كان قد فرض اثر اجتماع "رامبوياي على" الزعيم بورقيبة" الحل العسكري بصفة نهائية لحل معضلة بنزرت.. بل وليس ذلك فقط بل وأعطاه ذريعة لذلك حين أقدمت السلطات الفرنسية خلال شهر جوان 1961 على القيام بأشغال تستهدف تمديد مهابط الطائرات في المطار العسكري للقاعدة.. وكان" ديغول" قد أقدم على نفس الاستفزاز حين عمد" الزعيم بورقيبة" في وقت سابق للتهديد بشن حرب بنزرت يوم 8 فيفري 1960 أي في الذكرى الثانية للاعتداء الغاشم على "ساقية سيدي يوسف" قبل أن يعدل عن ذلك لإتاحة مزيد من الوقت للحلول الدبلوماسية السلمية مؤكدا أن تونس لم تدّخر جهدا في اغتنام كل فرصة متاحة بغية التوصل الى حل سلمي لقضية جلاء القوات الفرنسية عن بنزرت.. حينها تفطنت الحكومة التونسية في أواخر شهر جانفي 1960 من خلال تقارير استخباراتية الى أن قيادة القاعدة تقوم بأشغال سرية مستهدفة بذلك توسيع ساحتها في منطقة الناظور.. وأستشف هنا أن" ديغول" بقدر ما فرض خيار الحرب على" الزعيم بورقيبة" بقدر ما لم يهدر أية فرصة مواتية لجره اليها جرا.. ولكن "ديغول" لم يكن يريدها حربا في بنزرت فحسب.. بل كان يريدها حربا شنعاء.. ضروسا لا تبقي ولا تذر.. فمنذ السادسة من بعد ظهر الأربعاء 19 جويلية 1961 أصبحت بنزرت. ولمدة أربع أيام مسرحا لابادة جموع الشباب الأعزل المتجمهر سلميا حول القاعدة العسكرية المغتصبة وذلك بواسطة جحيم من البارود والقنابل أبدع في نحته المستعمر الفرنسي بواسطة المدافع الرشاشة والطائرات المغيرة والبواخر القاذفة .. لم يكن "ديغول" يريد بقضائه على ألفي شهيد تقريبا في ظرف أربعة أيام وبتلك الطريقة الوحشية واللاإنسانية في اعتقادي الإبقاء على قواته في قاعدة بنزرت فحسب بل كان يريد فضلا عن ذلك الاستحواذ على مدينة بنزرت بأكملها وإخضاعها للنظام العسكري الفرنسي المباشر وهو ما أقدم عليه فعليا لمدة شهرين قبل أن يذعن لقرار الإدانة الأممية الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في أواخر شهر أوت 1961 اثر جهود دبلوماسية جبارة بذلها آنذاك ممثل تونس"المنجي سليم"- رحمه الله-.. ومما يؤيد فرضية الاستحواذ على كامل مدينة بنزرت وإخضاعها للرقابة العسكرية الفرنسية تجاهل "ديغول" قرار الإدانة الأممية في البداية قبل أن ينصاع لضغوط الرئيس الأمريكي الراحل "جون كيندي" الواردة في خطابه بتاريخ 2 سبتمبر 1961.. ليأتي يوم 5 سبتمبر 1961 فيصرح "ديغول".. "ان فرنسا ترجو أن تجد صحبة التونسيين تسوية تتناسق مع العقل السليم".. نسي "ديغول" أوهو بالأحرى تناسى أن "الزعيم بورقيبة" لم يتوخ على امتداد خمس سنوات بداية من تاريخ الاستقلال في مطالبته باسترداد قاعدة بنزرت الا نبراس العقل السليم.. ومنبر "الكونغرس الأمريكي" شاهد على ذلك حين أعرب من أعلاه في بداية شهر ماي 1961- خلال زيارة رسمية الى الولايات المتحدة الأمريكية بدعوة من الرئيس "جون كندي"- أن الشعب التونسي مصرّ على وضع حد لاحتلال بنزرت" وانه في نفس الوقت "لا حاجز لاقامة تعاون مثمر مع فرنسا في اطار الاحترام المتبادل والمصلحة المشتركة".

فعلا لقد فُرضت حرب بنزرت على الشعب التونسي فرضا نتيجة اصراره على استرجاع كامل ترابه واسترداد كامل مقومات استقلال وطنه الذي ضحى من أجله لمدة ثلاثة أرباع قرن بالغالي والنفيس.. فُرضت حرب بنزرت على الشعب التونسي فكان شعبنا في الموعد ليكسبها بفضل وحدة صفه وصلابة ارادته الوطنية ودماء أبنائه الزكية.. دماء ستظل تروي تراب بنزرت الأبية.. كما ستظل تروي قصة معركة ضروس فرضت على الشعب التونسي وجر اليها جرا.. ولم يكن "الزعيم بورقيبة"- كما في سائر مسيرة التحرير والانعتاق- سوى ضمير الشعب الملهم وعقله المدبر..

mahindra Rise
SSANGYONG
BACK TO SCHOOL
BACK TO
DEALS
DES REMISES
& DES AVANTAGES
CLIENTS ALLANT JUSQU'À 10 000 DT
OFFRE VALABLE
DU 15 SEPTEMBRE AU 20 OCTOBRE 2023
AUTOMOBILES ZOUARI
70 130 130

حتى لا ينسى سمير ديلو..

أنس الشابي

في مداخلة له بإذاعة "إي أف م" نقل جانبا منها موقع "الشارع المغاربي" تحدّث سمير ديلو عن إضراب الجوع الذي شنّه بعض المعتقلين في ما يُسمي قضيّة التآمر على أمن الدولة وعرّج في ذات الوقت على اعتقال عبير موسي فقال :"إنّ تهمة الفصل 72 لا يمكن أن تنشأ عن الأقوال أو عن تدوينة أو حتى في مكتب ضبط رئاسة الجمهورية بل تكون باعتداء عنيف المقصود به تبديل هيئة الدولة والانقلاب على السلطة القائمة"، وهو ما يتّفق عليه رجال القانون ولا غبار عليه. وكعادة "الإخوانجيّة" مع خصومهم فإنّهم وإن ذكروا في حقّهم كلمة حقّ يعلمها الجميع فإنّهم سرعان ما يعودون على أعقابهم ويُفسدون قولهم الأوّل بنقيضه، وهو ما حصل هذه المرّة حيث ابتدأ ديلو بالحديث عن الناحية القانونيّة بصفته محاميا ولكنه نكص على أعقابه بعد إتمام جملته الأولى وانتقل إلى البحث عن مبرّرات لاعتقال عبير موسي استمدّها من مقاومة حزبه في البرلمان خلال فترة رئاسة الغنوشي له. وقد أثبتت الوقائع في ما بعد أنّ مقاومة عبير برلمان حركة النهضة ووقوفها في وجهه بمنعه من إصدار جملة من القوانين التي كان من الممكن أن تؤدي إلى المسّ من السيادة الوطنيّة كانا في محلّهما وآتيا أكلهما حيث سارع رئيس الجمهورية إلى قطف ثمار المعركة التي خاضها الحزب الدستوري في فترة ضعفت فيها مؤسّسة الرئاسة إلى الحدود التي أنهى فيها الغنوشي اجتماعا دعا إليه رئيس الدولة للنظر في تعيين رئيس حكومة. فحالما افتتحت الجلسة قال الغنوشي للحاضرين إنّه وقع الاتفاق على من سيتولى رئاسة الحكومة ليرفع الرئيس الجلسة حالا. وممّا زاد الطين بلّة خيانة المشيشي صاحب الفضل في تعيينه وارتمائه في حضن الغنوشي الأمر الذي جعل هذا الأخير الحاكم بأمره في البلاد. أيامها كانت الساحة السياسيّة منقسمة إلى قسمين: قسم محوره حركة النهضة وتوابعها وممّن اشتغل تحت إمرتها وقسم آخر يحتلّه الحزب الدستوري الحرّ وبعض الوطنيين من القوى المدنيّة. وكان من المفروض أن يكون يوم 25 جويلية بداية للتخلّص ممّا سبقه ومؤشّر على تحالف قادم بين رئاسة الجمهورية والحزب الدستوري طالما اتّحدا في مواجهة خصم واحد. غير أنّ اللامعقول تدخّل بسرعة ليعلن الحكم بقاءه في المربّع الذي

كانت تحتلّه حركة النهضة واستعانته بمن كانوا عونا لها في حكوماتها المتعاقبة كأحزاب المغزاوي والبريكي وبعض منظوريها والمنتسبين ليسار الأنابيب وغيرهم. وقد ظهر ذلك جليّا في حمايته بؤرة القرضاوي ورعايته حزب التحرير ليصبح بكلّ ذلك الحزب الدستوري الحرّ الخصم رقم واحد لحكم 25 جويلية فتتمّ محاصرته والتضييق عليه بأساليب شبيهة بالحيل التي عرفناها في مادة الفقه الإسلامي، إلى أن وصلنا إلى مرحلة اعتقال رئيسة الحزب وهي بصدد محاولة تسليم رسالة لمكتب ضبط الرئاسة وهو الاعتقال الذي صرّح رجال القانون بأنّه مخالف للإجراءات. وفي إطار تبرير ديلو هذا الاعتقال ذكر أنّ: "عبير بنت فعلها السياسي على الاستعراض وعلى المواجهة وعلى شكل من الأشكال المحبّذة عند فئة من الجمهور"، متغافلا عن أنّ السياسة التي انتهجتها عبير في مقاومة ما خطّطت له حركة النهضة قامت على أساسين:

1) الالتزام بالقانون وبمقتضيات التصرّف المتحضّر. من ذلك أنّها لمّا مُنعت عنها الحماية الشخصيّة داخل البرلمان لجأت إلى حماية نفسها بما هو متيسّر للدفاع عن نفسها من اعتداءات خُطِّط لها وصرّح الرئيس نفسه أنّه كان على علم بها قبل أيام، وهو ما منع خصومها قبل 25 جويلية وبعده من العثور على ثغرة قانونيّة يمكن أن تؤاخذ عليها.

2) اللجوء إلى الوسائل الحديثة في الاتصال عن طريق نقل الجلسات وما يقع في البرلمان وكذلك أنشطتها مباشرة وهو ما مكّن الشعب من معرفة ما تتستّر عليه حركة النهضة أيامها وما يتستّر عليه حكم 25 جويلية في ما بعد.

أمّا الاستعراض الذي ألصقه ديلو بعبير فهو من اختصاص حركته لأنه يستلزم من الأموال الشيء الكثير للإبهار. ظهر ذلك بجلاء في مؤتمرها العاشر الذي أهدت فيه آلاف الحواسيب واستضافت خلاله عشرات من قادة التطرّف والإرهاب وفي خطب قادتها واستفزازهم الرأي العام وفي دفع أعوانها إلى التظاهر مرّة بسبب آية في رواية وأخرى بسبب عرض شريط في قاعة وثالثة لأنّ إماما ثبت تطرفه نُحِّي وعُوِّض بآخر ورابعة باعتداء ميليشيا علي العريض وزير الداخليّة على المواطنين في عيد الشهداء سنة 2012. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى السياسة الناجعة لا تُبنى على رغبات الجماهير وإرضائها بل تُبنى على الصدق والصراحة والوضوح التي يكون مبناها الثقة. والمتأمّل في المشهد السياسي يلحظ أنّ الحركة التي كان ينتسب إليها ديلو سقطت سقوطا متواصلا في كلّ الانتخابات لأنّ ثقة الناخبين الذين مكّنوها ومكّنوا توابعها ممّا يفوق 170 مقعدا سنة 2011 تلاشت في انتخابات 2019 ونزلت إلى ما هو أقل من الثلث في حين نجد أنّ الحزب الدستوري يكتسح الساحة السياسيّة. ظهر ذلك في الانتخابات الماضية والدور الأساسي الذي لعبته كتلته في حلّ البرلمان وفي الأنشطة السياسيّة التي يقوم بها. فهو الحزب الوحيد القادر على التجميع والتظاهر السلمي في بلد عملت به النخب الحاكمة منذ سنة 2011 على قتل السياسة باستبعاد الكفاءات وتوجيه الإعلام توجيها يستهدف تسطيح الرأي العام وتبليد الذوق وهو ما نلاحظه في تراجع قيمتي العلم والعمل لفائدة الجهالة التي تنشرها الجمعيّات الدينية ولفائدة مصطلح تدبير الرأس أو الفهلوة. والغريب في الأمر أن حكم 25 جويلية يواصل انتهاج نفس السياسة النهضويّة ولم يغيّر منها سوى بعض الأسماء في حين بقيت الأدوات هي ذاتها، ولم يفتح أي ملف قضائي جدّي لمعالجة الفساد الذي استشرى في عشريّة الخراب المتواصلة.

علّمنا التاريخ أنّ أيّ تغيير لا يكون مسنودا إلى القوى الشعبيّة هو إلى زوال محتّم. فالإدارة لا تصنع التاريخ، والويل كلّ الويل لِمن لا يحسن قراءة الخارطة السياسيّة ويجيد تقدير القوى الفاعلة في المجتمع.

زيت الزيتونة في تونس:

شم وخبّي... وعد ربّي...

منير الفلّاح

الزّيت وما أدراك ما الزّيت،زيت الزّيتونة طبعا! في كلّ دار،فقيرة وإلّا غنيّة،تلقى الزّيت في مقدّمة»الخزين»يعني المشتريات الّي تحرص كلّ عيلة على توفّرها لحدّ أنّ ديارنا الزّمنيّة كانت تخصّص مكان لعولة الزّيت بالضّبط كيف عولة القمح ومشتقّاته...نعرف أنا قديم وولّيت»نهزّ من الجابية ونحطّ في الخابية»(بين قوسين حتّى المثل هذا فيه إحالات للزّيت) لكن حتّى في وقتنا الحاضر والمنازل العصريّة تلقى الزّيت يحتلّ مكانة خاصّة وكلّ دار وأرطالها ! يعني فمّة الّي مازال يستنّى الميسرة ويشري عولة الزّيت وتلقاه النّهار وطوله وهو يسأل على الأسوام في المعاصر وفمّة الّي عندو بلاصة يشري منها كلّ عام وهكّة يكون متأكّد أنّو زيت السّنة وموش عقاب مخزون العام الفارط وفمّة،الّي ما عندو حيل،يشري ال»مكشتي»من عند تاجر الحومة وإلّا الصبّة من عند بيّاع البهارات! المهمّ زيت الزّيتونة لازم منّو على الأقلّ لشويّة عصيدة أو سلاطة أو دواءللحلق...والحلق هالأيّامات شايح شيوحيّة الطقس!

المهمّ وأنا هنا باش نعترفلكم بسرّ باش يخلّيني»ضحكة»عند الصّفاقسيّة،بنات وأولاد جيهتي،وفالي مخزون زيت الزّيتونة الّي عندي فمشيت لفضاء تجاري باش نشري،حتّى يطيح الزّيت الجديد،فكانت الصّدمة! دبيبزة في العادة أكثر من شطرها نستعمله مع عصيدة سومها بهاك الحساب...ايه ايه حتّى صبعي رافض باش يكتب السّوم متاع ربع ليترة متاع زيت صافي! وبما أنّي ما عندي حتّى إختيار بخلاف أنّي نشري،هزّيت هاك الربيّع ليترة وقعدت نتفرّج في أسوام النّصف ليترة واللّيترة...وبما أنّي ربّي عطاني ملكة الضّحك من كلّ شيء وكلّ حدّ،مشيت طول طول للمسؤول على الفضاء هذاكة وقلتلو راهي فمّة غلطة في تنظيم السّلع! إستغرب وقالي كيفاش،قلّي وبارك اللّه فيك من الفوق! جاوبتو أنّو هاك الدّبابز البلّار متاع زيت الزّيتونة مكانهم المناسب هو في قسم العطور ومواد التّجميل الرّاقية...ضحك وقالي اللّه يجازيك خير على هالضّحكة أمّا اللّه غالب هذيكة الأسوام في كلّ بلاصة!

ما نطوّلش عليكم روّحت وأنا»معنّق»هاك الدّبيبزة،رشّيت منها شويّة على السّلاطة ومليت رواريّا بريحة الزّيت ومن بعد ومن غير حتّى ربع تفكير هزّيتها وحطّيتها على»الكوميدينو»وفي الصّدارة زادة وهكّة نكون عطيتها حقّ قدرها وزيد كلّ وين نتلفّتلها نلقاها وهرة وكار وصورتها في المرايا تزيد تزرع فيّا فرحة»دوبل»...

لكن ويظهرلي تعرفو مليح أنّي صحيح أنتريتي وكذا لكن مانيش «خارف»فقلت بيني وبيني روحي يلزمني نفهم،ولو شويّة،شنيّة أسباب هالأسوام الخياليّة.لقيت أنّو برشة عوامل تنجّم تكون بداية باش الواحد يفهم شويّة(وراني ما قلتش نتفهّم!)،أوّلها وأوضحها للنّاس الكلّ الجفاف الّي ضرب بلدان ضفاف المتوسّط الكلّ والحرايق وبطبيعة الحال نتج عليه نقص في الصّابة عند البلدان الكلّ منها اسبانيا وإيطاليا والمغرب وطبعا تونس،في اسبانيا مثلا تراجع الإنتاج بقرابة النّصف(48% تحديدا)وبالنّسبة لتونس التّراجع كان بنسبة الرّبع(25%)والإنتاج في حدود 180 ألف طنّ لكن حافظنا على المرتبة الأولى في القارّة،آه مالا تونس راهي صعيب باش تسلّم في هاك اللّقب متاع»الأولى عربيّا وإفريقيّا»!

ولقيت زادة،بسبب النّدرة،أنّو الأسعار العالميّة ولّات تزاحم في هاك الّي يسمّيوه»ذهب أسود»يعني

ومبدئيّا عائدات بيع زيت الزّيتونة التّونسي في الأسواق العالميّة بالعملة الصّعبة باش تزيد بصورة واضحة وهكّة تتنفنف الميزانيّة ونزيدو نرجّعو هاك الدّيون الهابطة على روسنا من كبيرنا لصغيرنا... يقول القايل إمّالا لاباس!صحيح لاباس لكن يبقاوا حويجات يلزم نتحدّثو عليهم وطبعا تعرفو أنّي ما نتحدّث كان على حاجة قدّ مخّي ويزيد مخّي هذا يتحلّ وقت يقترن الموضوع بكرشي!

وبما أنّي جبدت موضوع كرشي،الّي ما تختلفش ياسر على كروش بقيّة التّونسيّات والتوانسة،خلّيني نبدأ بهالموضوع:توّة ماعادش بركة نتحدّثو على الزّيت كمادّة أساسيّة في مطبخنا،ولّينا زادة نتحدّثو على القيمة الغذائيّة العالية والصحيّة وبدأ الحديث على الأكلة المتوسّطيّة ودورها في التوقّي من برشة أمراض خطيرة وكلّ وين يتجبد هالموضوع يتصدّر سي الزّيت القائمة وحتّى أهميّة»القمح والشعير ومشتقّاتهم»يوخّروا لتالي...باهي أحنا رانا من قبل نعرفو الّي الزّيت،وبالتّعريف نقصدو زيت الزّيتونة،ماهوش صالح للطّبخ بركة لكن زادة للتّداوي والتّجميل(دهنان الجلدة والشّعر) منذ نزول الرّضّع من كروش أمّهاتهم،زيد الزّيت الّي تقلى(وقبل يقولوا ميّت)ينجّم يدخل في تركيبة صناعة الصّابون إلخ...

الزّيت هذا الّي فيه الغذاء والدّواء،شنوّة نصيبنا منه،يا سيدي حتّى كان موش هالعام متاع الزمّة،بأبعادها المتعدّدة؟زعمة كيف تنقص ديون البلاد إنجّم على الأقلّ نشري في مرحلة أولى دبوزة بليترة كاملة وإلّا لا؟وعلاش إحنا ما نبداوش نخطّطوا ونزيدو بصورة كبيرة في مساحات غابات الزّيتون المحلّي متاعنا الّي يصبر على العطش؟هكّة على الأقلّ نخضّرو الدّنيا وبعد سنوات يجمعوا أولادنا وحفادنا الزيتون وتكبر محاصيلنا من زيت الزّيتونة...وفي الإنتظار،شنوّة باش نعملو في حكاية الزّيت بكلّ أصنافه؟هاهو حتّى المستخرج من غير الزّيتون غالي نار !

بون،فمّة ناس تفهم خير منّي على ما يبدو يقولوا أنّ حكاية إرتفاع الأسعار ماهيش بركة من النّدرة المتأتّية من قلّة المحصول وفمّة شكون متحكّم في السّوق ويشيّح في السّوق الدّاخليّة،هاذي ما نيش فاهمها مليح ونخلّي العالمين بمواضيع المنظومات الإنتاجيّة يعوموا بحرهم!

الحاجة الأخرى الّي حبّيت نحكي فيها هي ما نسمع بيه من أنّو النّسبة الأكبر من الزّيت المُصدّر للخارج يمشي»صبّة»وغادي الّي شراوه بسوم»شيلة بيلة»يلبّسوه لبسة»SIGNÉ»ويولّي برّاني أكثر منّو تونسي، علاش ما يتصدّرش وهو بلبستو التّونسيّة وهكّة يتحرّك مرشي آخر متاع خدمة:تصوّر أوعية جديدة وصناعتها وشبيبة تبتكر وتخدم والدّولاب يدور !وهكّة يتصدّر المُحتوى والحاوي والكفاءات الّي صنعت!

زيد حتّى كان باش ندخّل حديث في حديث، حكاية تصدير زيت زيت الزّيتونة التّونسي يلزم يولّي مُعلّب باش ينجّم يتحطّ عليه إضافة لبلد المنشأ LABEL حلال وهنا خلافا لما يمكن تخمّمو فيه راهي حاجة هامّة برشة وجديّة على خاطر سوق تجارة البضائع»حلال»هي سوق قاعدة تتطوّر بصورة مدهشة ويشمل كلّ السّلع موش بركة كيف ما يعتقدوا غالبيّتنا خاصّة باللّحوم وطريقة ذبحها وهنا نحب نقوللكم سر: شوية لا عملت تنبيرات على زيارة المفتي لمصنع الطماطم وتصديقه على أنها حلال ولكن وما نعرفش علاش الفرانات متاعي خدمت في آخر لحظة وقالتلي يزي من التغفيص راهو موضوع جدي وهذاك هو البروتوكول... وإذا احنا توجّهنا لتصدير الحاجات الّي تدخّل برشة عملة أجنبيّة،يلزمنا نعملو كل شيء باش تسهال عمليّات التّصدير ومنها تعليب زيتنا،الحلال مُحلّل،على خاطر صعيب شويّة كان انجّمو نكتبو على الصبّة»حلال»!

زيت الزّيتونة هو واحد من مفاخرنا كتوانسة منذ العصور القديمة وحان الوقت باش يولّي مفخرة للأجيال الحاضرة والقادمة وهكّة تولّي الحُرقة على دبيبزة الزّيت المتصدّرة بحذا دبّوزة العطر مرحلة وتتعدّى.

إدارات متعاقبة تورّط SNTRI في انتدابات غير قانونية وساعات عمل وهمية

محمد الجلالي

في تأكيد لما كانت أسبوعية "الشارع المغاربي" قد كشفت عنه قبل قرابة سنتين في تحقيق بعنوان "في الشركة الوطنية للنقل بين المدن: مئات الانتدابات بالرشاوى والمحسوبية وإدارة تكرّس الإفلات من المحاسبة" حصلت الصحيفة على وثائق رسمية ومعطيات تشير الى أن المنشأة العمومية عرفت بين 2014 و2021 جرائم إدارية ومالية على مستوى التصرف في الموارد البشرية كبدتها خسائر متفاوتة أثرت بدورها على مردوديتها ونجاعتها.

التجاوزات تراوحت بين اثقال كاهل المؤسسة بعشرات الانتدابات خارج إطار المناظرات الوطنية وأخرى بالاعتماد على تناظر صوري مع اخلالات صاحبت اسناد خطط وظيفية وتغاضي الإدارة عن تمتّع مئات الاعوان بساعات إضافية وهمية دون وجه حق.

على غير الصيغ القانونية

بلغ عدد أعوان الشركة الوطنية للنقل بين المدن (SNTRI) في أكتوبر 2021، تاريخ خضوع المؤسسة الى تدقيق معمق في مختلف أوجه التصرف المالي والإداري، 651 عونا.

وتشير معطيات مؤكدة حصلت عليها أسبوعية "الشارع المغاربي" إلى أنه تم بين 2014 و2021 "تفخيخ" المؤسسة العمومية بتشغيل 140 عونا موسميين ومتعاقدين وهي طريقة مقنّعة لفرض انتدابات مباشرة عوض اللجوء الى مناظرات وطنية قائمة على الكفاءة والشفافية والنزاهة وتكافؤ الفرص.

وكنتيجة لذلك تم انتداب 140 عونا بطريقة مباشرة و8 أعوان فقط عن طريق المناظرة وفق ما جاء في تقرير رسمي يعود الى سنة 2023 مع العلم ان الامر المتعلق بضبط شروط الانتداب المباشر بالمؤسسات العمومية نص على ان يكون هذا النوع من الانتداب استثنائيا مع اللجوء اليه عندما تستدعي الضرورة القصوى ذلك للعمل وفي 3 حالات هي:

- تنفيذ أشغال متأكدة أو إصلاحات طارئة أوجبتها ظروف استثنائية
- ارتفاع غير منتظر في النشاط
- اجراء أعمال موسمية

كما نص القانون على الا تتجاوز مدة التعاقد في كل الحالات سنة على أقصى تقدير.

ورغم تراجع نشاط المؤسسة في السنوات الأخيرة فقد كان النصيب الأكبر في

الانتدابات غير القانونية لأعوان موسمين (81 عونا) إضافة الى 4 منتفعين بالعفو التشريعي العام.

الملاحظ ان الإدارة جدّدت عقود الانتداب المباشر لسنوات متتالية دون ان يتم اعلام وزارة النقل بذلك وأنها عمدت في مرحلة لاحقة الى تسوية وضعية 81 عونا بما كبّد المؤسسة خسائر مالية بـ 3،4 مليارات دينار بين 2015 و2016 وفق مصدر مطّلع على الملف.

المصدر أفاد أيضا بأن الإدارة لم تتّخذ في 2015 التدابير اللازمة في حق أعوان موسمين كانوا قد اعتدوا على مدير عام المؤسسة آنذاك وبأنها سوّت وضعياتهم رغم تتبعهم أمنيا.

من جهة أخرى ثبت وفق تقرير تفقّد ان الإدارة تعمدت أيضا تسوية وضعية عون موسمي رغم تفطنها الى تقديمه شهادة مدرسية مدلّسة.

وتفيد معطيات مؤكدة حصلت عليها أسبوعية "الشارع المغاربي" بأن العون اكتفى بتقديم شهادة مدرسية من مدرسة عمومية تؤكد أن مستواه التعليمي لا يتجاوز الخامسة ابتدائي وليس التاسعة أساسي بعد مطالبته بالاستظهار بالشهادة الاصلية.

الانتدابات طالت حتى من تورّط في اختلاس أموال المؤسسة وثبوت التهمة الموجهة إليه. في هذا السياق تؤكد وثيقة رسمية ان إدارة SNTRI اتخذت سنة 2012 قرارا يقضي بعزل عون بعد ثبوت استيلائه على أموال عمومية وأنها ارتكبت خطأ إداريا لفائدة العون المعزول بما مكنه من الحصول على حكم قضائي ببطلان اجراءات العزل واعادته الى سالف عمله.

واعتبر تقرير رقابي عدم لجوء إدارة المؤسسة إلى القضاء وارتكابها اخلالات إدارية عند إحالة العون على مجلس التأديب تهاونا في حماية المؤسسة والحفاظ على المال العمومي.

كما تم في 2016 ترسيم عون ضالع في عديد التجاوزات من بينها اقتراف اعمال عنف في حق حريف ومغادرة مركز عمله وفق نفس التقرير الذي كشف أن ملفه التأديبي يزخر بالإخلالات الجسيمة.

عون أخر تمتع بالترسيم بالشركة سنة 2016 رغم ثبوت تعاطيه نشاطا تجاريا موازيا عبر تسويغ اصل تجاري كائن بمحطة النقل البري في باب سعدون التابعة للمؤسسة بما يعتبر تسترا على جريمة تعاطي عون عمومي نشاطا بمقابل حسب ما ورد في نفس التقرير.

وحتى مناظرة الانتداب الوحيدة التي أجرتها الشركة لم تسلم من التلاعب عبر تغيير مراحل الاختبارات ومنهجيتها بما يمس من شفافية الإجراءات.

واللافت حسب وثائق رسمية اطلعت عليها أسبوعية "الشارع المغاربي" ان مراقب الدولة الذي يفترض ان يكون ممثلها داخل مجلس إدارة الشركة كان في مارس 2017 وراء اقتراح يتعارض مع منهجية المناظرة ومراحلها المضبوطة بمقرّر فتحها وتنظيمها.

خطط شاغرة وأخرى متنافرة

ملف الخطط الوظيفية لم يسلم بدوره من اخلالات مختلفة من بينها تعدد الشغورات في عديد الخطط ولفترات امتدت لسنوات بما ان الهيكل التنظيمي للشركة عرف بين 2014 و2019 شغورات في 12 خطة بإدارات حساسة من بينها إدارة التفقد والتدقيق وادارة التدقيق الداخلي ومصلحة الشراءات ومصلحة الصيانة الوقائية ودائرة الاستغلال وبمكتب الضبط المركزي.

وبتدقيق احدى هيئات الرقابة في عيّنة من الخطط الوظيفية خلصت الى جمع عديد الاطارات بين خطط وظيفية متنافرة كالجمع بين إدارة التزويد وإدارة الصيانة وبين إدارة التنمية التجارية وإدارة المالية إضافة الى اكتشاف عدم عرض التسميات على انظار مجلس إدارة الشركة وعدم اخضاعها لتأشيرة وزير النقل مع تمتع احد المديرين طيلة أكثر من تسعة أشهر بامتيازات مرتبطة بالخطة الوظيفية دون ان يكون قد باشرها.

والساعات الإضافية !

ينص النظام الأساسي لأعوان المنشأة العمومية على الا يتجاوز عدد ساعات العمل الأسبوعية للعون 60 ساعة في كل الحالات باستثناء وجود اعمال متأكدة. ورغم ذلك تمتع خلال سنة 2019 المئات من الأعوان بآلاف الساعات الإضافية كلّفت الشركات أكثر من 520 ألف دينار.

من بين الاعوان المتمتعين بساعات إضافية مضخمة قابض بوكالة الشركة في مدينة القيروان حصل خلال مارس 2016 على 340 ساعة عمل إضافية وهي تفوق ساعات العمل المسموح بها شهريا والتي يفترض الا تتجاوز 250 ساعة في الشهر.

في هذا السياق علمت الصحيفة ان مصلحة التدقيق الداخلي كشفت ان عدد الساعات الفعلية التي كان يقضيها العون في العمل أقل بكثير مما تم التصريح به.

من جهة أخرى تم الوقوف على تمتع أعوان حاصلين على جرايات تعويض عن حوادث شغل بساعات إضافية في مخالفة للقانون المنظم لنظام تعويض الاضرار الحاصلة عن حوادث الشغل والامراض المهنية مع العلم ان بعضهم انتفع بعدد ساعات إضافية يتجاوز الحد الأقصى المسموح به.

كما تم الوقوف على تمكين عديد الاعوان من ساعات عمل إضافية رغم انهم غير مشمولين بها.

جرائم مالية وإدارية مرتكبة في الانتدابات والخطط الوظيفية والساعات الإضافية يفترض ان يقابلها تحرك وزارة النقل وإدارة الشركة الوطنية للنقل بين المدن لاتخاذ إجراءات إدارية وقضائية رادعة. ولمعرفة الخطوات المتخذة على مستوى الوزارة والشركة أرسلت أسبوعية "الشارع المغاربي" يوم 27 سبتمبر الماضي اليهما بريدا الكترونيا في الغرض ولكنها لم تحصل الى حدود كتابة هذا المقال على أية إجابة منهما.

فشل خبراء التربية في ضبط الكفايات واختيار البرامج والنصوص و بناء المفاهيم والأهداف والمعايير

صلاح بوزيّان، باحث في الحضارة

1/ دليل الأستاذ وليس دليل المعلّم :عكفْنَا على قراءة مقدّمة ومضامين كتاب(دليل المعلّم في اللّغة العربية السّنة السادسة من التعليم الأساسي رمزه 501603)، ولاحظنا أنّ وزراة التّربية لم تستبدل بَعْدُ كلمة معلّم بكلمة أستاذ، ويتأكّد تغيير عنوان الكتاب (دليل الأستاذ في اللغة العربية السّنة السّادسة من التعليم الأساسي). ومبلغ العلم أنّ كلّ العاملين في التعليم الابتدائي أساتذة وِفْقَ المسارين المهني والعلمي ،ومنهم من عوّل على جهده الشّخصي وشمّر عن ساعد الجدّ وتحصّل على الماجستير والدكتوراه. وتكرّرالخطأ جهويًا أيضا في حركة النّـُقل(الصّفة: مدرّس) والمذكّرات الشخصية(إمضاء المدرّس) مرّة تُكتب عبارة مدرّس ومرّات عبارة معلّم في الوسائل البيداغوجية مثل هذه الكتب التي تصدر عن المركز الوطني البيداغوجي. ورغم أنّ جُهد هذا المقال يَنْصَرِفُ إلى نصوص ومضامين الكتاب، إلاّ أنّ تذمّر أساتذة التعليم الابتدائي من هذه الأخطاء قد خلق أحيانا نوعا من الإنزعاج توجّب التّنبيه إليه . فثمّة أستاذ تعليم ابتدائي وليس معلّما ولا مدرّسا، وتوجّب إصلاح الوثائق والمطبوعات. ولا يمنع ذلك من التّنويه بوجود رغبة إصلاحية حقيقيّة مبثوثة في (دليل المعلّم في اللّغة العربية)،و نتلمّس النّفس التنويري في معاني الكفايات، وفي دلائل أخرى ربّما نتناولها بالدّرس تباعا في أوقات لاحقة كلّما لانت لنا فرصة.و سنحاول أن نبيّن ملامح النّفس الإصلاحي في المناهج والنّصوص .

2/ دلالة العنوان .. مقدّمة الكتاب.. تقويمٌ وليس تقييمًا : للعنوان علامة دالّة تؤدّي وظيفة تعيينيّة، ومِن داخل العنوان يمكننا أن ندرك كثيرا من الفاعليّة والأسس التعبيريّة والمفاهيم التنظيريّة التي تأسّس عليها هذا الكتاب ، فالدّليل يحمل في مضمونه جهازا نظريا يتضمّن : نظام الوحدات والمقاربة بالكفايات في مجال اللغة العربية وفيه شرح لأنواع الكفايات وكفايات مواد اللغة العربية، ولأهم المفاهيم النّظرية.لا شكّ إنّ ابتداء تأليف هذا النّوع من الكُتب جاء بعد جهود المرحوم محمّد الشرفي الإصلاحيّة داخل سياق اجتماعي ثقافي كوني،جهود حاول فيها نقل التّعليم التونسي من التّلقين إلى التفكير،ويبدو المنزع العقلاني التّنويري واضح متجذّر في الهوية وفي القيم الكونية ، فهل ستكشف قصدية العنوان(دليل المعلّم في اللغة العربية) عن نفس مقاصد القسم التنظيري والكفايات والنّصوص؟ وهل ستكشفُ عن تأسيس لكفايات تونسيّة بخصوصيّات تنظيريّة ومصادر ومراجع تونسيّة ؟ أم أنّ دواعي التّأليف رَجْعُ صدى لتأثّر بالمدرسة الفرنسية ليس فيه بادرة استثمار ولا إبداع بيداغوجيّ؟. وردت المقدّمة موجزة وموغلة في التعريفات والمفاهيم والتّدقيق الاصطلاحي، والشرح والتّوضيح ، أتت على كلّ مضامين الكتاب، فهي تفسّر المقام التواصلي وتعرّف المقام، كما تشرح مفاهيم: القرائن المحدّدة للوظائف والقرائن المعنوية ، والمقطع السردي وأركانه ومكوّناته وتحيل على مراجع مهمّة(أهمّ نظريات اكتساب اللّغة ووجوه تطبيقاتها على تعليم اللغة العربية/ الهادي بوحوش أطروحة دكتوراه، *بنية النّص السّردي من منظور النّقد الأدبي / حميد لحمداني 1993). ويبدو أنّ المؤلّفين أرادوا الإشارة إلى خضوع نصوص القراءة لمنطق البرامج الرّسمية والكفايات ، كما تقصّدوا إبراز ما بذلوه من جهدٍ علميّ وعناء لإتمام ذلك، فاستهلوا الكلام قائلين:»هذا دليل وضعناه لمعلّمي السّنة السّادسة مكمّلا «1. وجعلوه دليلاً وأرادوه مرجعًا لأستاذ الابتدائي. إنّ هذا التّأليف يكشف عن اهتمام الوزارة بالأستاذ ويدلّ على رغبة في الارتقاء بمعارفه وتجويدها ومؤازرة العمل التربوي اليومي داخل قاعات التدريس، والسعي لتوفير كلّ الظروف المساهمة في إنجاح الدّرس، فقد تمّ تخصيص جزء مهمّ في الكتاب للجانب العملي ويتعلّق بتوزيع الكفايات والأهداف المميّزة على الوحدات مع مجموعة من مذكّرات لتنشيط الدّروس وجزء للتّقويم، وهنا نشير إلى خطأ لغوي في المصدر من فعل قَوَّمَ ورد في الصفحات:(خطأ/ تقييم القراءة صفحة89التصويب:تقويم القراءة ـ خطأ/تقييم الإنتاج الكتابي صفحة 108 التصويب:تقويم الإنتاج الكتابي ـ خطأ/تقييم استعمال قواعد اللغة صفحة 115 التصويب: تقويم استعمال قواعد اللغة)2. ورغم ذلك وفي تقديرنا أنّ توفير دليل مرجعي لا يكفي لمساعدة أستاذ التعليم الابتدائي على تذليل الصعوبات المعرفية ولا على اكتساب مهارة الإبداع المعرفي والخلق الإشكالي،ولا يرشّد إلى أهمّية التّعلم وتطوير ثقافته البيداغوجية والمعرفية عموما. كتاب توجيهي إلزاميٌّ وإن حاول المؤلّفون في مقدّمتهم أن يقنعوا أستاذ الابتدائي بحرّيته في توزيع المحتويات على حدّ قولهم « لأنّه الأكثر دراية بواقع قسمه وبنسق تعلّم منظوريه وبمكتسبات منظوريه «.

3/ تكوين أستاذ التعليم الابتدائي .. ضمانة لتعليم ناجح :إنّ ما نؤكّد عليه انطلاقا من قراءتنا المتأنّية لهذا الدّليل التعليمي هو ضرورة إيلاء تكوين أساتذة التعليم الابتدائي، أهمّية أولى.والشّروع في إلزامية التّكوين المستمرّ عبر قنوات مركز التكوين المستمر بباردو وتعميمها في المراكز الجهوية، وإتاحة فرصة مواصلة التّعلم لكلّ أستاذ راغب في ذلك، وتشجيع جميع الأساتذة على التسجيل في التكوين وسَنّ حوافز أدبية وإحكام توزيع ساعات التدريس بما يسهّل للأستاذ التوفيق بين التدريس والتّعلّم. وأمر الإصلاح لا يقوم له قائم طالما المعوّقات الماديّة واللوجستية والبيداغوجية مازالت حيّة تسعى تساير خطى أستاذ التعليم الابتدائي وتشكّل له ألوانا من المعضلات ، تحول دون الارتقاء بالكفاءة العلمية لهذا الإطار التربوي الفاعل والمهمّ في تكوين وتربية وإعداد الأجيال .فيُمكن إثراء هذه المحاولة الورقية المرجعية(دليل المعلّم) بحلقات تكوين أثناء العُطل (الصّيف،الرّبيع)، فتكون فرصة للتكوين والتّرشيد والإحاطة البيداغوجيّة تبثّ الأمل فيه وتفتحُ له آفاقا أرحب في عمله وفي مناحي الحياة . وتثري زاده المعرفي في علاقة بمهنته ورسالته التربوية، إنّ أستاذ التعليم الابتدائي هو الأقدر والأقرب إلى تنشئة الطّفولة التونسية تنشئة سليمة، وكلّما كان وضع الأستاذ مريحا وملائما وهنا لا نتحدّث عن جنّة الخلد ولا عن نعيم الأغنياء ، ولكنّنا نقصد بالقول ، كلّما كان الأستاذ محترما في ظروف عمله وظروف تعلّمه إلاّ وكان عطاؤه أكبر وأقوى وأعمق ، إذ التربية لا تقتصر على التّعليم ولكنّها تتجاوزه إلى التّربية النّفسية والاجتماعية والفكرية والأخلاقية ، فأستاذ الابتدائي هو الذي سيترك في عقل وروح التّلميذ أثرا لا ينمّحي

4/ أستاذ التعليم الابتدائي مهندس الطفولة التونسيّة: كلّنا مدينون لمعلّمينا الذين اشتغلوا زمن السبعينات والثمانينات في ظروف جدّ هادئة وطيّبة، ثمّ تداولت الأيّام والسنون، وتغيّرت المفاهيم واختلفت النُظم والترتيبات، فمعلّم الأمس العاقل الأريب هو أستاذ اليوم الحكيم، إلاّ أنّ الرّسالة قد ثَقُلت موازينها وعظـُمت أكثر من ذي قبل، فمعلّم الأمس هو مصدر المعرفة والتّربية لا ينازعه فيها أحدٌ وهو الطبيب النّفساني والمرشد الاجتماعي والمنظّر للتّعليم وله سلطة الأب وأكثر، لأنّه رمز النخبة المثقّفة بل هو رأس هذه النّخبة. بينما اليوم تراجع دور الأستاذ في عالم يقدّس المال والبراغماتية وينبذ القيم ، فتضاءلت رمزية رجل التّربية باعتباره رمز للقيم والأخلاق والعلم ، وأصبح مجرّد موظّف تربوي مجرّد من كاريزمائيته الحقيقيّة وهيبته العلمية والأدبيّة، وتدخّلت أطراف أخرى غريبة عن رسالة التربية والتّعليم ، أتاحت لها ظروف حياة المجتمع العصرية التسلّل والتموقع ،فتعدّدت مصادر التربية أو الفاعلة في التربية، أطراف عجيبة خلقتها العولمة وصنعتها ظروف التمدّن والاقتداء بالغرب المتقدّم ، فأصبحت تكنولوجيا الاتّصال والإعلاميّة والعالم الافتراضي والهاتف النّقال والمواقع الإلكترونية مصادر للإزعاج والتعويق أحيانا، إذا استعملها الأطفال في اللهو واللعب والعبث وإضاعة الوقت والمشاكسات، وقد تؤدّي أحيانا إلى الخمول والتّفسخ الأخلاقي والجنوح وتقليد الآخر الغريب بفكره ومعتقده وقيمه، وقد تؤول إلى توحّد التّلميذ وانبتاته من الأسرة والمجتمع فيهجر الحياة المجموعتية، ويميلُ إلى العنف أوالتّزمّت أوالأنانية ،ولا نُنكرما لهذه الوسائل من توظيف إيجابي يفيد الإنسان، ولكننّا نتحدّث عن تأثّر سلبيّ بهذه الأطراف، وهي أطراف قلّصت دور أستاذ التعليم الابتدائي، وتغوّلت على الحدود الأخلاقية والضوابط المجتمعيّة،وحاولت أن تتدخّل في الدور التربوي وتُربكه في إطار دعم الحرّيات والتّحرر وحقوق الإنسان التي أسيء فهمها في الأوساط الشعبيّة.

5/ الإصلاح .. تركيز إلزامية التكوين :و نقترح فتح مراكز جهويّة أو إقليميّة وبرمجة حلقات تكوينية تعاضد دروس الأساتذة الذين يواصلون تعلّمهم داخل نظام مركز التكوين المستمرّ بباردو، وتعاضد من استكملوا تكوينهم ونالوا حظّا من علوم التربية.وننصحُ بالتخطيط لتكوين الأساتذة في وحدات تعليميّة تتعلّق بالحياة والتنشيط الثقافي والعمل الجمعياتي ووحدات تتعلّق بهندسة الزّمن، ووحدات تكوينيّة في علم النّفس التربوي والآداب والفنون والفلسفة ، كلّها تساعد على الارتقاء بمعارف الأستاذ وتعود بالفائدة على التّلاميذ فتكون الدّروس مجوّدة وشاملة.

6/خاتمة القول مبتدأ الإصلاح : فشل خبراء التربية الذين استخدمتهم وزارة التربية لضبط الكفايات واختيار البرامج والنصوص وبناء المفاهيم والأهداف والمعايير، في بناء كفايات تونسيّة بخصوصيات ثقافية واجتماعية، ولذلك تعثّرت كلّ تجارب الإصلاح التربوي السّابقة منذ بدايتها، ولعلّ من بين أسباب التّعثر اكتفاء وزارة التربية سابقا بفئة قليلة ومحدودة من متفقدي التعليم الابتدائي والتعليم الإعدادي والثانوي وتشريكهم في محاولات الإصلاح وإقصاء الآخرين ومنهم من هو قادر على صياغة مخطّط إصلاح تربوي بخصوصيات تونسية وفق المقاييس البيداغوجية والعلمية، وتأسيس إصلاح عميق ومتين يستجيب لانتظارات المجتمع.و في تقديرنا أنّ إنجاز إصلاح تربوي الآن وبناء كفايات تونسيّة هو تحقيق لاستقلال تربوي ثقافي . ولا جرم أنّ أمر إصلاح حال أستاذ التعليم الابتدائي هو جوهرالإصلاح التّربوي وضمان الأمن التربوي للمجتمع، وكلّ الشعوب التي ارتقت وتقدّمت اعتمدت على نظام تربوي متين متجذّر في الهوية محترم للإنسان:(الأستاذ .. التّلميذ). ولقد أصاب من اعتبر إصلاح التعليم في تونس أساس إصلاح أوضاع المجتمع، ودَرْكُ هذه الغاية بالعقول المستنيرة. ويقترن التعليم بالأدب والأخلاق والمنطق، ولذلك يستوجب مشروع الإصلاح التثبّت وتّخيّر الحكماء المكلّفين بالغربلة وضبط المضامين والبرامج وهندسة الزّمن المدرسي. وإنّ أخطر الأدوار في الإصلاح للعارفين العاملين الأكياس،لأنّه بناء الإنسان التونسي الناشئ .والإصلاح أمانة وبلاء عظيم ولا يُستطاع إليه سبيلا إلاّ بالأعوان والنّاصحين والخبراء والعلماء ورجال التّربية، صفوة القوم ولا يخلو إنسان من معايب ، ومن كانت عيوبه لا تضرّ ورأيه ينفع وعلمه يُفيد فهو أهل للتّشريك في بناء نظام تربويّ جديد يتلاءم مع تشوّفات المجتمع، ويهيئ لتنشئة جيل قادرعلى مواجهة التّحدّيات القادمة بآليات متطوّرة وفكر وقّادٍ وروح متشبّعة بالوطنية والهويّة، طامحة إلى الرّقي والتألّق. وما ذلك بعزيز على أخيارنا ولا على شعبنا الذي خاض ملاحم واجتاز الصّعاب، شرط أن تلتزم وزارة التربية بالكفّ عن مَنْح رُخَصٍ المدارس الخصوصيّة، والاعتناء أكثر ببنية المدرسة العموميّة وإرجاع هيبتها والمساهمة في تجويد مردوديتها التربوية، والحال أنّ واقع التعليم أمسى سوقا تجارية داخل المدارس الخاصّة وتنافسا على تحصيل أرفع نسبة من المرابيح وجلب أكبر عدد من التلاميذ واستقطاب الكفاءات بعد الإحالة على شرف المهنة.

1) دليل المعلّم في اللّغة العربية للسّنة السادسة أساسي ، وزارة التربية ، مطبعة بيطا ، 2018 .ص3 .

2) المرجع السّابق ، ص ص 89 ، 108 ، 115.

قراءة تربويّة في مفهوم المقاومة...

محيي الدّين الكلاعي، أستاذ مبرّز
المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات بالكاف

لا شكّ أنّ فكرة المقاومة تثير بحدّ ذاتها عديد التساؤلات الفلسفيّة والإحراجات الإتيقية المربكة سواء لمبادئ الفكر السياسي أو لقواعد الحياة الاجتماعيّة والسياسية. ولا شكّ أيضا أنّ هذه التساؤلات الفلسفيّة والإحراجات الإتيقية باتت تشكّل في العقود الأخيرة خاصّة معضلة نظرية وعمليّة قلما نجد ما يناظرها في الفكر السياسي الحديث. ذلك أنّ النظر في مفهوم المقاومة يضعنا مباشرة حيال فكرة الدّعاية والأدلجة والعنف والإرهاب والسيادة والشرعيّة والقيم الكونيّة...الخ. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ الفكر الفلسفي والسياسي لم يحسما بعدُ الجدل بشأن مفهوم المقاومة فإنّ السؤال الذي يُطرح هو كيف بإمكان الفكر التربوي والبيداغوجي أن يحسمه؟ أي كيف بإمكاننا أن نربيّ أبناءنا على المقاومة، بل كيف بإمكاننا أن نعلّمهم إيّاها، دون الوقوع في هذه الإحراجات الإتيقية والسياسيّة؟ ثمّ بأيّ معنى، ولأيّ غرض، نتحدّث عن درس في المقاومة؟ وأيّ درس في المقاومة تبيحه الدّولة لأبنائها؟ هل هو الدّرس المخفّف والمعلّب أو المقولب بسياستها وعقيدتها ونظام مصالحها أم الدّرس الحرّ؟ وإلى أيّ مدى يمكن للمدرسة أن تلعب هذا الدّور؟ ألا تخشى الدولة، بما في ذلك الدولة الديمقراطية، أن يرتدّ درس المقاومة عليها فيربك قواعدها ويهدّد شروط إمكاننا؟ أليست كلّ مقاومة فعلا ثوريّا ولا سياسيّا يتعيّن خارج أفق الدّولة وخارج المنطق السياسي الذي يحكمها؟ وهل يعني ذلك في النهاية أن كلّ مقاومة حقيقية هي مقاومة لا مدرسيّة؟

نشير في البداية إلى أنّ تنزيل المقاومة في سياق تربويّ وبيداغوجي ليس ضربا من «الفبركة» الإشكالية والفلسفيّة للقضايا، ولا ضربا من الإقرار بشرعية التوظيف الإيديولوجي والسياسي للمدرسة. ويمكن أن نذهب إلى حدّ القول إن السياق التربوي والبيداغوجي للمقاومة هو السياق الأوّل والمرجعي لكلّ سياق آخر. ولا يعني ذلك أنّ التربية والتعليم هما الحصانة العقلانية والأخلاقية للمقاومة بقدر ما يعني أنهما الإطار النظري والمنهجي والعملي لبناء الوعي الذاتي والجماعي بالمقاومة والخلفيّة الأساسيّة لكل فعل مقاوم حيّ وأصيل. وحينما نقول إنّ التربية والتعليم، أو بعبارة أشمل وأوضح، إن المدرسة هي المسؤول الأول عن تعليم المقاومة أو عن تعليم مقاوم أو عن التربية على المقاومة فإنّ ذلك لا يعني أنّ المقاومة مجرّد درس تاريخيّ أو أدبي عن سير الأبطال تتكفل بعض المواد التعليمية بعرضه للصبيان بل هي درس في الطبيعة البشرية، وفي منطق تفكيرها وإحساسها ووجودها، وهذا الدرس لا يعطى ولا يُدرك، بل يُفهم ويبنى ويُعاش. درس مخصوص يبدو أنّ المدرسة لم تدرك طبيعته ولا قيمته حتى الآن.

تعتبر المدرسة إذن الفضاء الطبيعي والمنطقي لا للحديث عن المقاومة فحسب بل للتربية عليها. صحيح أن هذا الإقرار يبدو إلى حدّ ما مفارقيّا، إلا أن هذه المفارقية تزول بمجرّد مراجعتنا لدلالة المفاهيم. فمتى تصورنا التربية على أنها طاعة وامتثال بدت لنا المقاومة نقيضا جوهريا لها أي ضربا من التمرّد والتحرّر من كل طاعة. ومتى فهمنا التربية على أنها مشروع فهم للذات والحياة، وعملية بناء للوعي الفردي والجماعي وتحصينهما ضدّ كل الأوهام والمغالطات والأحكام المسبقة والمخاوف وقوى القهر الاجتماعية والسياسيّة بدت لنا المقاومة قوام الفعل التربوي ذاته. وهكذا فإنّ المقاومة لا تكون نقيضا للعملية التربوية وعدوّا لها، بل وخطرا عليها، إلا في منوال تربوي وتعليمي سلطوي يخشى العقلانية، والتفكير النقدي، والحريّة، واستقلالية الإنسان والفكر. وقد ذهب العديد من علماء النفس العرفاني وعلماء الاقتصاد والبيداغوجيين مثل أوليفييه هودي Olivier Houdé وستانسلاس دوهان Stanislas Dehaene ودانيال كانمان Daniel Kahneman إلى أنّ الدّماغ البشري يعمل وفق مبدأين أو نظامين (Système 1, système 2)، الأول عفوي أو حدسي، «يعمل بالحد الأدنى من الجهد أو في غياب تام لأيّ جهد (...) يطمئنّ للأوهام، ولا يبالي بالغموض ويرفض الشك، يركّز على الحجج الموجودة أو المتاحة ولا ينشغل بالحجج المنقوصة، له حساسية إزاء التغيّر أكثر من الاستقرار، يستهين بالاحتمالات الضعيفة، وتكون ردود فعله في حالة الخسارة أشد من حالة الربح»1. واللافت هنا أنّ أكثر من ثمانين بالمائة من الأفراد يفكرون ويتصرفون وفق هذا المبدأ! أما المبدأ الثاني فهو تحليلي، يعمل من خلاله الدّماغ بشكل حذر أو رصين، ويستند فيه إلى الخيال أي إلى القدرة على الانتقال من استراتيجيا تفكير إلى أخرى وذلك بمقاومة الاستراتيجيات الأوتوماتيكيّة والمألوفة، وهو ما يُصطلح عليه بالذكاء السائل. وتعني المقاومة هنا «أن نعرف كيف نقول لا، لا لمعتقداتنا، ولأفعالنا الخاصة (...) والبحث عن الحقيقة ضدّ أو من خلال نفي المعتقدات المغلوطة، والاستدلالات المغالطة، والأفعال والاستراتيجيات غير الملائمة»2. ويؤكّد هؤلاء المفكرون على ضرورة اعتماد بيداغوجيا خاصّة لتعزيز هذه القدرات الذاتية في المقاومة، وعلى تكوين المدرّسين تكوينا علميّا يتيح لهم الوعي بالعوائق الذهنية والنفسيّة التي تكبل قدرات الأطفال والمراهقين على التفكير والفعل واتخاذ القرارات المصيرية. وقد ناقشت هذه المسألة بشكل أعمق في مقال حول جون بياجيه ضمن كتابي «في الدفاع عن الفلسفة الموجهة إلى الأطفال، قراءات» ورد تحت عنوان: «أخطاء بياجيه أو بيداغوجيا (ت) المقاومة العرفانية ومبادئ فلسفة النفي لدى الأطفال والمراهقين».

المقاومة من هذا المنطلق إذن هي مبدأ متأصّل في الدماغ البشري والطبيعة الإنسانية بعامّة، وهي بالتوازي مع ذلك قاعدة عمل كل فكر تربوي وبيداغوجي. إنها معرفة بالذات، وتعزيز لقدرتها على مواجهة الخطأ والخداع والتسرّع في الأحكام والقرارات والمواقف والأفعال. إنها قانون الطبيعة البشرية وقاعدة تربيتها في آن واحد، إذ أنّ التعلّم كما شدّد على ذلك بنوا بونيكو Benoît Bunico هو «الحدّ من التبعيّة»، ولعلّ أسوأ أشكال التبعيّة هي تبعية الفرد لنفسه. ويمكن القول بعبارة أخرى إن المقاومة لا تتعيّن كردّة فعل ولا كحالة حماسة بل كركن لكوجيتو جديد هذا نصّه: «أن نفكّر هو أن نرفض، أن نقول لا، أن نفكّر ضدّ أنفسنا». إلا أنّ هذا الكوجيتو لا يتعيّن هذه المرّة كقاعدة لفلسفة جديدة على النحو الذي تمثّله ديكارت، ولا كمقولة ثورية على النحو الذي تمثّله ماكسيم غوركي بقوله: «جئت إلى العالم لكي أحتج»، بل هو قاعدة لعلم نفس جديد ولمنوال تربوي وبيداغوجي جديد. وما يهمنا من كلّ ذلك هو هذا التأسيس الإبيستيمولوجي للمقاومة والذي يعطي للمدرسة لا شرعية الاهتمام بها فحسب بل شرعيّة العمل على قاعدتها: أن نعلّم المقاومة Apprendre à résister 3 وأن نعلّم ونربّي أيضا بمقتضاها.

ويمكن القول من جهة أخرى إنّ التأسيس الإبيستيمولوجي والتربوي للمقاومة لا يختزل في البعد العرفاني الذي أشرنا إليه بل يتعدّاه نحو البعد الاجتماعي والسياسي. ذلك أنّ المقاومة في سبيل الحق تقتضي لا فقط معرفة بالحق، بل معرفة بتجربة الحق، نصّا وممارسة، أي معرفة بسرديّة الحق التاريخية والإنسانية، الأدبية والدّمويّة. ولا تستقيم المعرفة بالحق دون وعي نقدي بإحراجات الحق المنطقية والأخلاقيّة والموضوعيّة، ودون وعي نقدي بإمكانات الذات وحدودها لتحقيقه. ومن ثمّ فإنّ المقاومة ليست ردّة فعل اعتباطية، مزاجية أو حماسيّة، يقتضيها حدث ما أو مشهد ما أو وضعية ما، بل هي فعل واع مدروس ومسؤول. وبقدر ما تحتّم المقاومة الاجتماعيّة والسياسية معرفة بالحق ووعيا به وبإمكانات الذات وحدودها فإنها تحتّم بالقدر نفسه معرفة بعدوّ الحق، بفكره، وبمنطق تفكيره وسلّم قيمه. إنّ النجاح في مقاومة الطاغية أو المحتل أو أيّ شكل من أشكال الظلم والتسلّط الديني والسياسي والاجتماعي يقتضي فهم بنية تفكيره ومظاهر قوته ومساءلة المبادئ والأفكار والقيم التي تؤسّس فكره وممارساته. ولا يكون هذا الفهم ممكنا إلا بتعلّم لغته، إن كان ينتمي إلى لغة أخرى، إذ لا يمكن كسر حلقة جبروته إلا بفك شفرة لسانه. فاللغة ليست مكمن جميع الحقائق فحسب، بل مكمن جميع التناقضات والأخطاء والأكاذيب والأوهام والوثوقيات والمغالطات. وطالما أنّ الطغاة والغزاة والمتسلّطين يسخّرون في الغالب، ولا سيما في واقعنا المعاصر، كل أجهزتهم المعرفية والأدبيّة والإعلاميّة والاتصالية والخطابية لحجب الحق أو الاستخفاف به وبأصحابه أو لتقويض مشروعيته وإدانة من يطالب به فإنّ المقاومة الحقيقية يجب أن تستند إلى العقل بكلّ دلالاته وإمكانياته. إن المقاومة لا تكون للنتائج إنما تكون للأسباب، ولا تكون للأشخاص والجماعات بل تكون للأفكار وطرق التفكير والثقافات. وإن فقدان المقاومة لهذا الأساس العلمي والثقافي سيحوّلها لحركة انفعاليّة عابرة وهشّة. وأنا أتحدّث عن المقاومة هنا كفكرة ومبدأ لا كتوصيف إيديولوجي لجماعة أو منظمة. أتحدّث عن المقاومة من جهة ما هي مشروع تربوي وتعليمي تضطلع به المدرسة دون سواها. ذلك أنّ الخطر الأكبر يكمن في تلقي الطفل أو المتعلّم بعامة لدرس المقاومة من العوالم الافتراضية والمعارك الإعلامية والحزبيّة والدينيّة ومن الحشود دون أدنى تفكير. إنّ المدرسة وحدها القادرة على هذا الدرس، غير أنها لن تفلح فيه إلا متى كفّت عن تقديمه على حدّ عبارة ميشال سار، فأن نعلّم ذلك يعني أن نكفّ عن التعليم، والكف عن التعليم إنما يعني الكف عن التلقين والانخراط في تجربة نقاش حرّ وجريء وعميق وشامل لكلّ القضايا التي تشغل الفرد والمجتمع، الكف عن التعليم انخراط أصيل في تجربة الإبداع، والمقاومة الحقيقية ليست شيئا آخر سوى إبداع.

لقد دأبت مدرستنا منذ عدّة عقود على تلقين أبنائنا دروسا مختصرة وخجولة وموجّهة عن المقاومة. وتقدّم هذه الدّروس في الغالب بنفس عجائبي وأسطوري ونرجسي، بل بنفس حنينيّ وإحيائيّ للماضي، درس من الذّاكرة وللذاكرة، لا درسا للحاضر والمستقبل. إنّ المدرسة الحقيقية هي التي تستحدث المسافات بين الماضي والحاضر، وبين العالم والعامي، وبين المربي والسياسي، وبين المربي ورجل الدّين أو الداعيّة، وبين الصناعة الإيديولوجية للأبطال والأحداث وبين الصناعة الفكرية والعقلانية. واستحداث المسافات لا يعني استحداث القطيعات، وإن كانت القطيعات في بعض الأحيان ضرورية. إن استحداث المسافات إنما يعني أن نسأل: ماذا يعني أن نكون مقاومين؟ ولم ينبغي أن نكون مقاومين؟ وإلى أي مدى؟ وهل كنا مقاومين بحق حينما قاومنا؟ وماذا يعني أن نقاوم بحقّ؟ ولماذا نخشى على المقاومة من العامي والسياسي ورجل الدّين؟ وهل من الضروري أن نتلقى دروس الحرية والاستقلالية والشجاعة والعدالة والخير والبطولة من الذاكرة السردية للمقاومين؟ إنّ التفكير في هذه الأسئلة يقتضي في تقديري جهازا علميّا ضخما، يقتضي الفلسفة والعلوم السياسية والاجتماعية وعلوم النفس والمستقبليات ودراسة الأديان وعلم التاريخ والدراسات الألسنية. فالمقاومة فكرة مركّبة ومعقّدة وليست مجرّد ظاهرة اجتماعية أو سياسية أو دينية لها أسبابها الموضوعية وستزول بزوال هذه الأسباب. بل يمكن القول إنّها هويّة إنسانيّة لا مجرّد حق إنساني أو حق في الإنسانيّة. ويجب أن تفكك هذه الهوية وتؤوّل من منطلق فلسفي وعلمي لا من منطلق شعري أو موسيقي أو مسرحيّ... الخ. نحن بحاجة متأكدة لفهم وإعادة فهم العلاقة بين العقل والحماسة أي إلى التساؤل: كيف تكون الحماسة قوة عمل للعقل [المقاوم]؟ وكيف تتحرّر المقاومة ذاتها من نشوة أو غبطة الحماسة المعطّلة للفكر والعمل؟ صحيح أنّ أبناءنا بحاجة إلى الحماسة، حماسة النصر أو حماسة السبيل إليه، وصحيح أنّ الحماسة علاج للروح من صدمة النكبات والنكسات وعقد الخوف والعجز والقلق، وصحيح أنّ الحماسة وثبة نحو حلم يجاوز القدرة، الحلم المغامر، كلّ ذلك صحيح، إلا أننا بحاجة إلى أن نذهب أبعد من الأحاسيس والمشاعر، وأن نذهب أبعد لا يعني أن نتجاوز الواقع، فالواقع على حد عبارة هشام جعيّط يعاش ولا يُتجاوز وله في كلّ مرّة هدف وعنوان.

2 - Olivier Houdé, Les 100 mots de la psychologie, ED. PUF, Paris. 2018, p. 46

3 - Olivier Houdé, Apprendre à résister, Ed. Le Pommier, Paris 2017

هل كان من الضروري قدوم السياح حتى تنتعش وتتجمل صفاقس؟

وفاء الجبالي

عندما نقول صفاقس نقول عاصمة الجنوب واقتصاد الدولة التونسيّة، نقول جنّة الزيتون وصاحبة أكبر الموانئ التونسيّة، نقول عاصمة الثقافة العربيّة لتعدّدِ المراكز الثقافية بالجهة واهتمامها بالأنشطة والندوات الثّقافية، نقول جزيرة قرقنة ذلك الأرخبيل الساحر، نقول باب الجبلي وباب الديوان ومتحف القصبة ومتحف دار الجلولي والمدينة العتيقة والجامع الكبير وغيرها من المواقع التاريخيّة والسّياحيّة للبلاد.

لكن ابان الازمة البيئية التي مرت بها عاصمة الجنوب أو بالأحرى عاصمة النفايات والفضلات المتراكمة في كل الطرقات والتي جعلت الوضع كارثيا بعد أن ضاقت بها مكبات المدينة التي تجاوزت طاقة استيعابها القصوى، علاوة على لجوء البعض الى التخلّص من هذه الفضلات بحرقها مما أدّى الى انبعاث الغازات السامة والروائح الكريهة وهو ما شكّل خطرا على المواطنين وخاصة حاملي الامراض التنفسية. وبعد مضي سنة عن هذه الأزمة وبعد أن استوفت كل الحلول المؤقتة التي وُضِعَتْ لتطويقها، بدأ زحف أفارقة جنوب الصحراء إلى أنهج وحدائق وطرقات صفاقس «البيّة» مما زاد الطّين بلّة، ليدخل قاطنو هذه المدينة في دوّامة من التساؤلات عن سبب وكيفيّة قدوم هؤلاء المهاجرين خاصّة وأن الوضع الاقتصادي والمعيشي للبلاد لا يُحسد عليه. وبعد سلسلة من التصادمات وأحداث الشّغب وصلت إلى جريمة قتل شاب أصيل المنطقة على يد مهاجرين غير النظاميين أشحنت المواطنين وزادت الاحتقان بينهم. مما انجرّ عنه تحمل كلّ هذه الفئة من المهاجرين وزر ما اقترفه البعض من عنف وتجاوزات وفساد أخلاقي، فحُرِمُوا من أبسط الحقوق كالسّكن والشغل حتّى استيقظ الصفاقسيّون على مشهد عشوائي وُصف بغير الطبيعيّ والكارثي: الاف من المهاجرين يسكنون الشوارع والحدائق يفترشون الأرض ليلا في أذلّ حالٍ يمكن أن يعيشه الإنسان. كلّ هذا والسّلطات المعنيّة بالأمر لم تتحرك البتّة. الى أن حدد موعد «الزيارة والنيارة والساعات الطويلة في الطيارة» وتزامنا مع تسرب خبر قدوم رحلة سياحية فرنسيّة على متن باخرة «روناسونس» للمدينة المنسية انقلب الحال فجأة واستيقظت ضمائر السلطات والبلديات، بدأت عمليّة اخفاء مؤقت للضيوف غير الشرعيين لاستقبال الضيوف الشرعيين فحرصت على اخلاء المرافق العمومية من هؤلاء المهاجرون وتوزيعهم على أرياف للة البية. ثمّ بدأت مراسم التحضير والاستعداد لاستقبال الضيوف، وللبلاد التونسية عامة طقوس متعارف عليها في هذا الامر، وهو ما شاهدنا في الاسبوع المنقضي في صفاقس. حيث اختفت كل مسببات الفوضى ثم انطلقت أشغال الكنس والغسيل وطلاء الواجهات وتعطير الطرق الرئيسيّة وتزيينها وتعليق الأعلام وترميم البنايات واصلاح كلّ الحفر التي تمتاز بها طرقات صفاقس، ثم أُنيرتْ كلّ الفوانيس، بل وتصبح متعددة الألوان، وعند الوقوف أمام ساحة 100 مترا ومشاهدة المنتجات الحرفيّة والصّناعيّة المعروضة تصيبك الدّهشة حتى أنني خلت نفسي في حلم أو أنّ صفاقس سُلِخَتْ. ومن المضحكات المبكيات تلك اللافتة المُرحّبة بالضيوف «مرحبا بكم في مدينة صفاقس» كان الأجدر كتابة «مرحبا بنا وبهم في مدينة صفاقس». لأول مرة منذ سنين أتعرف على صفاقس «المزيانة»، لأول مرة أتجوّل في طرقات نظيفة و»ريحة البلاد» تفوح عنبرا وياسمين، ولأوّل مرة أعي أنّ صفاقس مدينة ذات طابع أثري وتاريخ ولها هويّة، ورغم ما أكده السيّد يوسف ولها كاتب عام بلدية صفاقس في تصريح له لديوان أف أم أن هذه الحملات ستتواصل وليست مرتبطة بقدوم هؤلاء السياح إلا أنني لأوّل مرة أتساءل هل كان من الضروريّ قدوم سياح لمدينتنا حتى نُنْعشها؟ سياح يبلغ عددهم 200 سائح تمتعوا بالفرجة والتقاط صور في أنحاء مدينة يسكنها أكثر من 950 نسمة يجهلونها ويرونها للمرّة الأولى في هذا اللباس. ومن المسؤول عما كانت عليه حال البلاد قبل القدوم المبارك؟ هل هو تقصير من السلطات في تحديد استراتيجية متواصلة للعناية بالبيئة، أم هو نقص المسؤولية والوعي لدى المواطن؟ وهل نحتاج قدوم رحلات سياحيّة داخليّة وأجنبيّة لتظلّ مدينتنا نظيفة يحلو فيها العيش وحتى لا تكون مدينة عبور فحسب كما صرّح السيّد فتحي زريدة المندوب الجهوي للسياحة بصفاقس؟ وهل المردود البسيط جدا الذي جاءت به هذه الرّحلة الخفيفة المدعّمة يستحق كلّ تلك الاستعدادات المنحصرة في النظافة فقط؟ فمثلا التميّز الفلاحي للجهة يحتاج اليوم أن يسلّط عليه الضوء في برنامج واضح المعالم بعيدا عن الفلكلوريات والتكرار. وماذا لو حصلت كل هذه التحضيرات في مناسبات أخرى تفوق هذه المناسبة أهميّة: عند قدوم وفود وبعثات رجال الأعمال ورؤوس الأموال وهياكل غرف التجارة العالمية للماديبات مثلا، أظن قد فاتنا الكثير في جعل تونس بوابة افريقيا وجعل مطاراتها وموانئها نقاط عبور لجميع معاملات الاستيراد والتصدير بين افريقيا ودول العالم بدل تفرّد المغرب الأقصى بذلك. لبلادنا موقع جغرافيّ وسياحيّ قيّم يتطلّب أسس عمليّة تتمثّل في الارتكاز على هويّة كلّ جهة وخصائصها وثرواتها لخلق سياحة في خدمة الفلاحة والصناعة، أما النظافة فهي من تحصيل الحاصل.

مذكرات الدكتور أحمد الخصخوصي

الأمين العام لأول حزب معارض زمن الزعيم بورقيبة والرفيق الوفي للأستاذ أحمد المستيري

الأبطال يَبدُون عند... ويخفَوْن عند...

لم تكن الاستمارة القائمة بين المنخرط من ناحية وحركة الديمقراطيين الاشتراكيين من ناحية أخرى هي الوثيقة الوحيدة المتداولة في المستوى المحلّي بل كانت هناك وثيقة أخرى عنوانها في ما أذكر "إعلام بتكوين فرع" تُقدَّم إلى المعتمدية في عدد من النظائر وتُثْبتُ بها أسماء المسؤولين عن ذلك الهيكل التنظيمي، على أن لا يقلّ عددهم عن سبعة أفراد، ويمكن أن يزداد هذا العدد فرديا تبعا لتزايد عدد المنخرطين.

غير أنّ المسؤولين عن الفرع غير مطالبين بالقائمات التي تُفصح عن هوّيات باقي المنتسبين إلى الحزب.

كان المسؤولون المحلّيون يسيرون على هذا السَّنَنِ استجابة لمتطلّبات قانونية إدارية، وكانوا يجدون في ذلك هامشا من الحرّية من هوامش الحرّية النسبية بحيث لا يكشفون عن جمهورهم، هذا الجمهور الذي يُشفقون عليه من التضييقات المراد بها تكبيلهم وتعطيلهم والحدّ من أنشطتهم خاصّة وهم- على العموم- يتحرّكون وسط محيط ريفي لا عهد له يُذْكر بتعدّد الأفكار السياسية وتنوّع المشارب الفكرية فضلا عن التعدّدية الحزبية، فما بالنا بحياد الإدارة أو ما كان يسمّى في ذلك الوقت بفصل الحزب عن الدولة وفكّ الارتباط بينهما، هذا الفصل الذي لم تر بوادره النور إلّا إثر انهيار الحكم القائم وذلك بعد انتفاضة سنة 2011.

يضاف إلى ذلك أنّ المناضلين الجدد يتصدّى لهم باندفاع وشدّة مسؤولون سياسيون وإداريون وحزبيون يتوكّؤون- في كلّ أمر تقريبا- على عصا الدولة الغليظة ويهُشّون بها على مصالحهم المادّية والمعنوية الموازية، زيادة على أنّ لهم فيها مآرب أخرى لا يكاد يدركها الإحصاء، هذا إلى جانب جماعات "الميليشيات" الحزبية المتعصّبة التي لا تتقيّد بقانون ولا تلتزم بأخلاقيات تذكر، هذه الميليشيات التي كانت تصول وتجول في عهد الرئيس الأسبق الحبيب بورقيبة والتي اختفت - وهذا ما يتعيّن تسجيله وفاء لمبدإ الأمانة "التي سوّدت الغراب" مثلما هو قارّ في الذاكرة الجماعية الشعبية خاصّة- لقد حصل ذلك التغيّر -في الواجهة على الأقلّ- غداة 7 نوفمبر 1987 إذ ألحقت السلطة الجديدة مهمّات الميليشيات "الفوضوية" ووظائفها بأسلاك الأمن الوطني حرسه وشرطته.

والواقع أنّ الحزب المندمجة هياكله في أجهزة الدولة حزب واحد على الرغم من أنّ الدستور لا يمنع التعدّدية السياسة، واللون الواحد ولو أنّه يرمز إلى الشهادة، هذه الشهادة المشاعة مبدئيا وعمليا بين كلّ الذين يستحقّونها وينالونها بصفتها أسمى معاني التضحية والفداء، والصوت واحد لا يسمَعُ بإزائه صوت آخر ولو كان في قالب همسات محتشمة.

لم تكن الطرق مفروشة كما يقال ولا كانت السبل سالكة بل كانت عامرة بوعث الصحاري زاخرة بمهالك المفاوز، ويكفي تقديما لذلك واختزالا له وتجسيما أنّ قول القائل:" فلان ديمقراطي" يمثّل تهمة قائمة الذات وبدعة منفّرة. ولقد أضحى بمثابة الأمر الطبيعي أن لا تُقبل ترشّحات المنتمين إلى الحزب الجديد عسى أن يشتغلوا بالجيش الوطني أو ينتموا إلى أسلاك الأمن الوطني حرسا وشرطة إضافة إلى سلك الديوانة.

وفي مثل هذه الحالات المعروضة لم تمّح من ذاكرتي- على الرغم من مرور ربع قرن تقريبا- حالة واقعية استغرب لحدوثها كلّ من سمع بها، فالشابّ (ر.س) اجتاز بنجاح مناظرة من مناظرات ضبّاط الصفّ ثمّ اجتاز بنجاح كذلك كلّ ما توجبه المدّة المطلوبة التي قضاها في الدراسة والتكوين والتدريب ليتخرّج عريفا في الإشارة والمخابرات.

وكم كانت المفاجأة مذهلة بعد مدّة من تقليد الرتب عندما أُبلغ الشابّ المتخرّج بأنّ كلّ ما جرى لاغ، فقد أُبطل كلّ شيء وأُخرج العريف- شاء أم أبى- من حظيرة الجيش الوطني وكأنّه مشكوك في أعزّ ما يعتزّ به: وطنيته ووطنيّة عائلته

رياض السمعلي

المضيّقة وأسرته الموسّعة.

أمّا والده (ي-س) فلم يستغرب كثيرا من تلك الواقعة وهو يروي لي تفاصيلها، فولده في آخر الأمر ما هو إلّا ابن الكاتب العامّ لجامعة حركة الديمقراطيين الاشتراكيين بجهة الكاف، وقد فهم للتوّ أنّ المقصود بالمعاقبة ليس ابنه إذ لم يكن منتميا في ذلك الوقت إلى أيّ تنظيم سياسي موال أو معارض بل المقصود الفعلي هو ردع الأب، والمقصود الحقيقي خاصّة هو رسالة ردع مضمونة الوصول إلى كلّ "من تحدّثه نفسه" بنيّة الانتماء إلى تنظيم حزبي مثل الحركة، هذه الحركة السياسية التي تتوخّى الطرق السلمية وتعتمد الوسائل القانونية المتاحة والتي تعمل في العلن اقتناعا ذاتيّا من مؤسّيسها.

شعر الأخ كاتب عامّ الجامعة بالمرارة والغبن و"ظلم ذوي القربى". ألسنا منتمين إلى وطن واحد: لنا الحقوق نفسها وعلينا الواجبات نفسها، والأصل المنطقي في الأشياء هو أن نتقاسم جميعا وسوّيا بالعدل والقسطاس مختلف المصاعب والتضحيات والتحدّيات إذا وجبت وتوزيع ثمرات البلاد وخيراتها إذا توفّرت. ألسنا نقرّ في إطار حركة الديمقراطيين الاشتراكيين بالمبدإ الثالث من مبادئها ألا وهو الاشتراكية بما تعنيه من عدالة اجتماعية لا تفرّق بين هذا وذاك دون تمييز أو إقصاء؟

ومع ذلك كلّه لم يعتبر الأخ الكاتب العامّ للجامعة حرمان ابنه وحرمانه هو خسارة لأنّ الخسارة تكون في الأعمال التي لا تنفع فيها ولا مبدأ. أمّا ما تعرّض له وابنه فهو تضحية من التضحيات وشتّان بين الثرى والثريا، وزاد على ذلك بأن التفت إلى تسمية الهيكل التنظيمي الجهوي الذي يتولّى مسؤوليته الأولى، وهو "الجامعة"، وهي مقتبسة من مصطلحات الحركة الوطنية التي كانت قبل الاستقلال تسمّي هيكلها التنظيمي على مستوى الجهة "جامعة" فيقال مثلا "الجامعة الدستورية ببنزرت" أو "الجامعة الدستورية بصفاقس" أو "الجامعة الدستورية بسوسة". ثمّ يُضيف قوله وما هي قيمة هذه التضحية التي يُقدّمها ولدي وأُقدّمها بدوري خاصّة إذا ما قيست بتضحيات الوطنيين من المقاومين والمناضلين الصادقين؟

كان مجمل ذلك في الواقع جزءا لا يتجزّأ من عقيدته، فقد أدرك عهد الاستعمار وهو في أوّل صباه. والعجيب -وليس ذلك من باب الصدف- أنّ زملاء الأخ الكاتب العامّ للجامعة في مختلف الجهات لا ينادونه باسمه بل يسمّونه "بشير بن سديرة" لقصر قامته ومضاء عزمه وجرأته وإقدامه. وللتذكير فإنّ بشير بن سديرة قد ولد في جهة عمرة شرقي مدينة قفصة حوالي سنة 1894 أو 1892 واستشهد غدرا قرب جبل عرباط خلال الليلة الفاصلة بين 22 و23 جويلية سنة 1920 وهو من طلائع المقاومين للاستعمار الفرنسي حتّى قبل أن تلاقي حركة المقاومة التحريرية المسلّحة في خمسينات القرن الماضي مثله في البطولة كمثل البطل الدغباجي (1924-1885) الذي أقيم له تمثال بمدينة الحامّة تخليدا لجهاده واستشهاده ومجمل مآثره الوطنية.

وبالرجوع إلى الحديث عن بشير بن سديرة/ الحركة أُتيحت لي فرصة إثارة هذا الموضوع وطرحه بعد سنة 2011 على السيّد وزير الدفاع الوطني (ع-ز) وهو رجل وطني جدير بكلّ احترام وتقدير فأرجأ جوابه ليعود إلى الملفّ الغريب الذي أنفقت فيه المجموعة الوطنية ما أنفقت من وقت ثمين وعرق جبين وجهد متواصل ومال باطلا "كالتي نقضت غزْلها من بعد قوّة أنكاثا" ذهب كلّ ذلك سدى حتّى ذلك الوقت غير أنّ السّيد الوزير لم يلبث أن أجابني -مشكورا- عبر الهاتف دون أيّ تلجلج أو تردّد أنّه وجد الملفّ على الصورة المنقولة إليه إجمالا، وأضاف بأنّه يشعر بالخجل الشديد وأشار عليّ بتقديم قضيّة في الغرض لدى المحكمة الإدارية سبيلا وحيلة عسى أن يعود الحقّ والاعتبار إلى أهله الشرعيين.

يقال- في ما جرت به الأمثال-: "العادة طبيعة ثانية"(L'habitude est une seconde nature) كما يقول الناطقون بلغة الغول (Les Gaulois) وفعلا فقد أضحى في حكم الأمر الطبيعي وبمثابته ألّا تُقبل ترشّحات المنتمين إلى الحركة إلى أسلاك الأمن الوطني من شرطة وحرس وألّا يُقبلوا كذلك في الديوانة، وكأنّ المنتمي إلى الحزب الحكم المحكوم به -وإن شكليا- وطني والمنتمي للمعارضة الوطنية غير ذلك. وكفى بذلك ميزا وحيفا وتقسيما للمجتمع وتشجيعا على الفئوية والزبائنية والانغلاق بدلا من تقوية اللحمة الوطنية والتماسك الاجتماعي والانسجام الثقافي التي يقلّ وجودها في بلدان العالم، وهي -لحسن الحظّ- مقوّمات ايجابية قائمة "أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كلّ حين".

والغريب أنّ مثل هذه الظواهر السلبية المبتدعة والمسقطة على مجتمعنا إسقاطا تعوزه الوطنية وخدمة الصالح العامّ لم تكن لتقف عند تلك الحدود القطاعية بل كانت تتخطّاها لتشمل وظائف ذات طابع مدني صرف أو اجتماعي بحت. فالمعلّم "الديمقراطي" على سبيل المثال ينجح مرّة أولى ومرّة ثانية في الامتحان الكتابي الخاصّ بالارتقاء إلى خطّة متفقّد عندما تكون الأرقام سرّية وأسماء المترشّحين محجوبة بحكم ما يسمّى بالانختام (وتقابله في الفرنسية عبارة Cachetage). وما إن تكشف الأسماء وتنزع عنها السرّية وتصبح معروفة بفعل عملية فضّ الانختام (وتقابله في الفرنسية عبارة (Décachetage ويستعدّ المترشّحون للاختبارات الشفوية حتّى يقع الانتقال إلى مرحلة أخرى سابقة لامتحانات الشفاهي ويضحي الحكم أو بالأحرى الغربلة الأمنية هي المعيار إذ تُحكّم التقارير الأمنية التي هُذّبت صفتها في ما بعد لتتّخذ صيغة أخرى تسمّى بمقتضاها "التقارير الاجتماعية". وهكذا هُذّبت الصيغة وبقيت الطبيعة على حالها وظلّت وظيفة الانتقاء والإبعاد والإقصاء كما هي.

وفضلا عن تضرّر الضحايا ظلما وعدوانا شاملين ألا تحضّ مثل هذه الممارسات على اكتساب العادات السيّئة بتشجيعها على إفساد الضمائر بدلا من أن تقوم الأعمال

والمهامّ على قواعد صحيحة وأسس سليمة في مقدّمتها الجدارة والاستحقاق والكفاءة ؟ ثمّ ألا تشجّع مثل تلك الانحرافات على انتهاج المضطرّين للأعمال السرّية عامّة على خطورتها، ثمّ ألا يُكره كلّ ذلك طالبي الشغل والطامحين إلى تحسين وضعياتهم المهنية على الرياء والنفاق واللغات المزدوجة؟ وما حاجتنا الوطنية حينئذ إلى مدرّس خانع أو موظّف منافق أو مربّ مراء؟ أبهذه الطرق نُنشّئ الناشئة وعلى هذه الأساليب المتخلّفة نُربّي الأجيال الصاعدة وعلى هذه العادات اللاأخلاقية نكوّن إطارات الدولة ونؤطّر المجتمع ونجعل الناس يمردون على المنافسات غير الشريفة القائمة على البهتان والغشّ وغيرها من الخطايا.

وما مثال المعلّم -وهو يجتاز الاختبارات الكتابية والشفوية- إلّا مفردة من المفردات التي يتعرّض لها الموظّف العمومي والعامل عامّة والتي يمكن أن نقيس عليها لأنّ المعاملات هي تقريبا في أغلب المجالات. نذكر من ذلك خاصّة المنح المدرسية والمساعدات الاجتماعية وحتّى العمل في الحظائر على هشاشة وضعه وضعف مردوده المالي وتقطّع الانتساب الفعلي إليه باعتبار أنّ العامل يشتغل-إذا اشتغل- مدّة واحد وعشرين يوما في الشهر. ولعلّه من المضحكات المبكيات أنّ مثل تلك الانحرافات وصلت حتّى إلى الأعلاف المدعومة (كالشعير والنخّالة و"السدّاري") بحيث تُحرم قطعان الماشية من العلف حين يكون مالكها معارضا معارضة علنية وفقا للصيغ القانونية والتراتيب الإدارية الجاري بها العمل، فالمالك "الديمقراطي" محروم من أن يعلف مواشيه باعتبار العلف مادّة حيوية تكون من نصيب الشياه "الدستورية" على وجه الاقتصار، وكأنّما توجد في إنتاجنا الفلاحي أبقار "حمراء" محظوظة نظرا إلى انتماء صاحبها إلى حزب الحكم ولو كان ذلك الانتماء ناتجا عن الخوف من المنع والحرمان والطمع في النوال والامتيازات. وكأنّما توجد من جهة أخرى "بقرة" خضراء محكوم عليها بالهزال والتلف خاصّة في أوقات الجفاف والجدب ممّا جعل عددا من المتابعين يتندّر بالبقرتين الخضراء والحمراء تندّر السخرية المرّة ويتضاحكون تضاحك "الغلبة" والمقت من تفرّد الحيوانات التونسية بالتحزّب والانتظام السياسي.

تلك مجرّد عيّنات معبّرة تدّل على عقليات المسؤولين السياسيين والإداريين والحزبيين في حزب الحكم وفي أجهزة الدولة، "وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا".

غير أنّ المناضلين الجديرين بهذه التسمية كانوا ينظرون إلى مظاهر التمييز وممارسات الظلم على أنّها تضحيات متفاوتة الأهمّية والقيمة لا بدّ من تحمّلها لأنّ "الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم".

ولسائل أن يسأل عن ملامح الخلفية الفكرية والثقافية لهؤلاء المتطوّعين (والمقصود بالثقافية هو المعنى السوسيولوجي باعتبار الثقافة فكر وممارسة في الوقت نفسه)، وذلك للوقوف على المعين الذي ينهلون منه إرادة واختيارا وتطوّعا.

التقرير الأسبوعي لـ "التونسية للأوراق المالية" :

التجاري بنك بامتياز، قفزة لأوفيس بلاست وكبوة لبنك الأمان

منحى السوق :

حافظ المؤشر المرجعي للبورصة خلال الأسبوع الممتد من 9 الى 13 أكتوبر 2023 على وضعية شبه مستقرة مسجلا ارتفاعا طفيفا بـ 0.1 ٪ ليقفل عند النقطة 8486.36 ولتبلغ بذلك أرباحه منذ بداية السنة + 4،6 حسب تحليل الوسيط ببورصة الأوراق المالية بتونس.

تحليل تطوّر الأسهم

- تصدر سهم أوفيس بلاست Office Plast قائمة الترتيب بتحقيق ارتفاع بـ 10،9 ٪ بسعر 1،220 دينار وسط حجم أموال متواضع بـ 12 ألف دينار.
- كان سهم الشركة التونسية للبنك STB من أكبر الرابحين خلال الأسبوع المذكور محققا ارتفاعا بـ 3،4 ٪ بسعر 3،620 دينار جاذبا حجم أموال هزيل بـ 100 ألف دينار على امتداد الأسبوع.
- تذيّل سهم بنك الأمان Amen Bank الترتيب مسجلا تراجعا بـ - 12،9 ٪ بسعر 0،330 دينار وسط حجم أموال شبه منعدم.
- سجل سهم الشركة العالمية لتوزيع السيارات القابضة UADH تراجعا بـ 11،5 ٪ بسعر 0،230 دينار جاذبا حجم أموال لم يتعد 22 ألف دينار.
- كان سهم التجاري بنك Attijari Bank الأكثر تداولا خلال الأسبوع المذكور جاذبا 20،7 مليون دينار بما مثل 60،8 ٪ من حجم التداولات التي شهدها الأسبوع المذكور.

مستجدات السوق

اعلان عن فتح عرض عمومي للسحب يتعلق بأسهم

شركة الإنتاج الفلاحي بطبلبة SOPAT:

يعلم مجلس السوق المالية العموم والمساهمين في شركة SOPAT والوسطاء بالبورصة ان شركات مجمع «MEDIGRAIN : La Role Blanche» و Les Grands و Les Aliments composés du Sud و Silos du Sud و UNAGRO و La Société Tunisienne de Production و Nord-ACN و Les Grands Moulins du Cap و Alimentaire – STPM التي تملك بالاشتراك مع شركات نفس المجمع : Les Minoteries des Centres et Sahel و Gallus و Les Couscousseries du Sud و Reunies-MCSR و Pâtes Warda 36213253 سهما SOPAT تمثل 95،65 ٪ من حقوق التصويت في الشركة المذكورة تطلق عرضا عموميا للسحب بهدف شراء أسهم لا تمتلكها الشركات المذكورة أنفا في رآسمال شركة SOPAT وذلك في اطار الفصل 173 من القانون العام للبورصة. وتمثل الأسهم موضوع العرض العمومي للسحب المذكور 4،35 ٪ من رأسمال SOPAT (4،35 ٪ من حقوق التصويت) وذلك بمقدار 1647977 سهما.

سعر العرض : 2،050 دينار عن السهم.

مدّة صلوحية العرض : العرض مفتوح على امتداد 15 حصة تداول بالبورصة من 11 أكتوبر 2023 الى 31 أكتوبر 2023 بدخول الغاية.

وثيقة

التضامن التونسي- الفلسطيني (1947 - 2016): أحداث ومحطات

عادل بن يوسف (جامعة سوسة)

اقترح علينا كاتب هذا الملف حول علاقة تونس بالقضية الفلسطينية تجزئته إلى ثلاثة أجزاء تنشر تباعا كل أسبوع. أسرة التحرير ارتأت ان تنشر كامل النص دفعة واحدة حتى يتسنّى توثيقه بسهولة.

وثيقة

مقدمة:

إنّ المتتبع لتاريخ المقاومة الفلسطينية للاحتلال الصهيوني والحروب العربية –الصهيونية والمحن التي تعرّض لها الشعب الفلسطيني، يلاحظ الحضور المكثف لتونس والتونسيّين في أشكال مختلفة، وذلك بدءا بصدور قرار التقسيم سنة 1947 الحرب الأولى «النكبة» سنة 1948، مرورا بحرب 1967 فحرب رمضان في أكتوبر 1973 فالقصف الصهيوني لحمّام الشط في غرّة أكتوبر 1985، وصولا إلى الانتفاضات المتتالية: انتفاضة الحجارة الأولى في ديسمبر 1987 إلى الانتفاضات اللاحقة فاغتيال المقاوم التونسي محمّد الزواري ببيته بمدينة صفاقس يوم 15 ديسمبر 2016 إلى غاية التظاهرات الرياضية الدولية مؤخرا.

وبعيدا عن المداخلات والورقات العلمية التي تقدّم في الملتقيات والمنابر الأكاديمية ومقاييسها الصارمة كالمدخل النظري والمصادر النادرة من أرشيفات وحوارات وشهادات حيّة والمراجع الحديثة والإحالات... الخ، وبغاية التبسيط وإيصال المعلومة إلى القرّاء على نطاق واسع، سنتولى في هذه الورقة استعراض أبرز المحطات والأحداث والمواقف التي تؤرّخ للتضامن التونسي – الفلسطيني (الرسمي والشعبي) ورموزه ومساهمته في دعم القضية الفلسطينية إقليميا ودوليّا وذلك باستخدام بعض الصّور التي تؤرّخ لأهمّ المحطّات من تاريخ النضال المشترك بين الشعبين، الفلسطيني والتونسي.

أولا: إثر صدور قرار التقسيم وإبّان الحرب العربية- الصهيونية الأولى «النكبة»: 1948-1949:

1) التنديد بقرار تقسيم فلسطين:

يجدر التذكير أنه ظهرت في تونس قبل صدور قرار تقسيم فلسطين في 29 نوفمبر 1947 أدبيات متصلة بالقضية الفلسطينية والمشروع الصهيوني بفلسطين وذلك تفاعلا مع: اتفاقيات سايكس _ بيكو ووعد بلفور والثورة العربية الكبرى (1936-1939)... في شكل مواقف وخطب ومقالات للوطنيّين والمثقفين التونسيّين بمختلف مشاريعهم الفكرية والسياسية: قوميّون- عروبيّون، دستوريّون، يساريّون نقابيّون ومستقلّون... الخ.

وعلى إثر صدور قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة في 29 نوفمبر 1947 أتت ردود فعل التونسيين من قبل عامة الشعب التونسي والنخب الفكرية والسياسية منددة ورافضة للتقسيم باستثناء الحزب الشيوعي التونسي الذي بارك القرار تماهيا مع موقف الاتحاد السوفياتي...

في خطوة أولى بادر الزيتونيّون مدّرسون ومشايخ وطلبة بالجامع الأعظم و«جمعية الشّبان المسلمين» (تأسّست سنة 1936) برفض قرار التقسيم وقاموا بالتعبئة الروحّية والسياسية لنصرة المسلمين فكونوا «لجنة إغاثة فلسطين» التي تولّت تنظيم اجتماعات وتجّمعات شعبية حاشدة بتونس العاصمة في الساحات العامة وداخل المساجد والجوامع والزوايا... الخ.

وداخل البلاد وانطلاقا من مبادرات فرديّة ونداءات بعض الجمعّيات الثقافية والاجتماعية الناشطة، تعالت خطب الأئمة وتواتر صدور المقالات الصحفّية وتوزيع المناشير الداعية إلى جمع التبرعات وتنفيذ الإضرابات... الخ. ففي يوم 4 ديسمبر 1947 وقع تجّمع كبير انتظم بالعاصمة بجامع صاحب الطابع والساحة المحيطة به، وضّم أكثر من 3.000 شخص.

كما فُتحت مكاتب استقبال المتطوّعين وتحوّلهم إلى الحدود مع طرابلس الليبية في الجنوب. ففي تقرير للمقيم العام الفرنسي بتونس في 20 جويلية 1948، ورد أنه قبل ذلك التاريخ بيومين، أحصت الأجهزة الأمنية 2.676 تونسيا متطوعا، إمّا جرى احتجازهم على الحدود مع طرابلس، أو تم إيقافهم قبل عبورهم الحدود الليبية.

وتفيد برقية ثانية من المقيم الفرنسي بتاريخ 17 ماي 1949 (أي بعد تثبيت الهدنة على معظم الجبهات وتوقف القتال)، أنّ هناك 188 تونسيا لا يزالون عالقين في طرابلس، وتعمل السلطات على ترحيلهم إلى تونس.

ويورد صاحب التقرير الفرنسي أنّ عدد المتطوعين الذين حاولوا الدخول إلى فلسطين، بلغ قرابة 3.000 تونسي، بعضهم تمّ احتجازه أثناء العبور. ومن استطاع الدخول إلى فلسطين فقد حارب في صفّ المتطوّعين السوريّين أو ضمن متطوّعي مصر أو لبنان أو انضم إلى الفصائل الفلسطينية المسلّحة.

وكان توزيع هؤلاء المتطوعين حسب الجهات: من تونس العاصمة وأحوازها (657 متطوعا)، تليها صفاقس (276 متطوعا)، ثم سوسة والساحل (256 متطوعا) وقابس والجنوب (222 متطوعا). وكان جلّ هؤلاء من الفقراء: حرفيّين وعمّال وفلاّحين فقراء وعاطلين عن العمل وطلبة يدرسون بجامعة الزيتونة... و1.256 متطوعا آخر من الوسط والشمال.

وقد شهدت بعض القرى الصغيرة وحدها عددا قياسيا من المتطوعين على غرار قصور الساف بجهة الساحل من عمل المهديّة (65 متطوعا).

وبرزت أعلى درجات الاستعداد للتضحية لدى المرأة التونسية. فنجد في برقيّة أنّ امرأة من الرديّف كانت تتوسل للقائمين على التطوع ليقبلوا ابنها. وتفيد برقية ثانية من المقيم الفرنسي بتاريخ 17 ماي 1949 (أي بعد تثبيت الهدنة على معظم الجبهات وتوقف القتال)، أنّ هناك 188 تونسيا بقوا عالقين في طرابلس، وتعمل السلطات على ترحيلهم إلى تونس.وقد لعبت إذاعات المشرق العربي "صوت العرب بالقاهرة" وإذاعة بغداد وإذاعة دمشق و«ب.ب.س» BBC» العربية، دورا في تعبئة الشباب للتطوع وقوى أخرى يتقدمها: الحزب الحر الدستوري القديم «اللجنة التنفيذية» والحزب الدستوري الجديد... بحكم وجود بورقيبة في مصر وتحديدا بمكتب المغرب العربي بالقاهرة منذ مارس 1945.

ولا يزال البعض ممّن توجهوا إلى فلسطين سنة 1948 (اثنان أو ثلاثة) على قيد الحياة رغم تقدّمهم في السنّ يحتفظون بذكريات وقصص نادرة عن «مغامرة» رحلتهم إلى فلسطين برا والمعارك التي شاركوا فيها أو يحتفظون بصورة جماعية أو فرديّة تؤرّخ لهذه المشاركة... الخ.

حضور لبعض المتطوعين التونسيّين في معارك حرب 1948مع أشقائهم العرب والفلسطينيّين

ثانيا: خطاب الزعيم الحبيب بورقيبة بأريحا وطرحه لمبدأ «خُذ وطالبْ» (03 مارس 1965):

خلال جولة رسمية له بالبلاد العربية في ربيع 1965: مصر، المملكة العربية السعودية، الأردن لبنان...، إبّان زيارته للملكة الأردنية وبعد لقائه بالملك حسين، تحوّل الرئيس الحبيب بورقيبة يوم 3 مارس 1965 من عمّان إلى مدينة أريحا الفلسطينية حيث ألقى خطابا دعا فيه الفلسطينيين إلى التخلي عن مطلب «الكُلّ وإلاّ بَلاش» وهي سياسة فاشلة لم يحصل منها الشعب الفلسطيني إلا تواصل محنته إلى عقود.

كما دعا الفلسطينيين إلى الجلوس إلى طاولة المفاوضات مع الإسرائيليين وذلك على أساس القرار الأممي 181 للجمعيّة العامة للأمم المتحدة بتاريخ 29 تشرين الأول/ نوفمبر 1947 القاضي بتقسيم فلسطين. ونظرا للقيمة التاريخية لهذا الخطاب الذي لا يعرفه غالبية التونسيّين، لا سيّما الشبّان منهم والجيل الحالي، فقد ارتأينا وضع نصّه كاملا.

1) نصّ الخطاب:

«إنني شديد التأثر من هذه المناظر، وشديد الاعتزاز كذلك، أما تأثري فلما شاهدت من آثار

النكبة التي منينا بها في فلسطين منذ 17 سنة وأما اعتزازي وتفاؤلي فلما لمسته من حماس وإرادة حديدية وتصميم على استرجاع الحق كاملا غير منقوص.

تعلمون أن الشعب التونسي كان إبان النكبة مغلوبا على أمره يعاني وطأة الحكم الاستعماري المباشر ومع ذلك فقد أسهم في القيام بالواجب المقدس وشارك في حرب فلسطين إذ وفد التونسيون شبابا وكهولا من كل أنحاء القطر التونسي كي ينالوا شرف المشاركة في النضال من أجل أرض إسلامية عربية شقيقة لا يفرقون بينها وبين الأرض التونسية، ثم خاضت تونس معارك عنيفة وكفاحا مريرا حتى تخلصت من الاستعمار ووقفت على قدميها وأقامت دولة عربية إسلامية في أرض مطهرة من كل ازدواج أو احتلال ومن كل هيمنة أو نفوذ أجنبي.

لكننا نعتبر في تونس أننا لا نزال مقصرين وأن علينا واجبات يتحتم أن نقوم بها لتخليص كل شبر من الوطن العربي الكبير وقد أكدت في الكلمة التي ألقيتها في مؤتمر القمة العربي الأول أن تونس تسخر كل إمكانياتها لتدعيم الصف العربي وللخروج من هذه المعركة الفاصلة والنصر المبين يكلل جبيننا، لكن ما أريد أن ألفت إليه نظركم أصحاب الحق السليب كما كنا نحن أصحاب الحق الذي استبد به الاستعمار في تونس هو أنه يجب أن تكونوا في الصف الأول من هذه الواجهة التي تعمل على حماية فلسطين أنني أصارحكم بما اعتقده في قرارة نفسي وما آمنت به من بعد تجربتي في الكفاح من أجل التحرر والانعتاق التي دامت 34 سنة فإن دوركم في المعركة هو الدور الأول، وهذا ما يجب أن تضعوه نصب أعينكم وفي قرارة نفوسكم وعقولكم، وإذ أخاطب في هذه اللحظة الأمة العربية وكل العرب الذين يعتبرون هذه القضية قضيتهم أريد أن ألفت نظركم إلى تجربتي الشخصية في كفاحي الطويل أكدت لي أن العاطفة المشبوبة والأحاسيس الوطنية المتقدة، التي أرى نموذجا حيا منها على وجوهكم لا تكفي لتحقيق الانتصار على الاستعمار فهي وإن كانت شرطا أساسيا وضروريا غير كافية، بل لا بد مع الحماس والاستعداد للتضحية والموت والاستشهاد من قيادة موفقة تتحلى بخصال كثيرة ولا بد من رأس يفكر ويخطط وينظر إلى المستقبل البعيد.

إنّ الإكثار من الكلام الحماسي أمر سهل وبسيط للغاية أما ما هو أصعب وأهم فهو الصدق في القول والإخلاص في العمل ودخول البيوت من أبوابها وإذا اتضح أن قوانا لا قبل لها بمحق العدو ورميه في البحر فعلينا أن نتجاهل ذلك بل يجب أن ندخله في حسابنا وأن نستخدم، مع مواقفنا حتى نتقدم نحو الهدف مرحلة بعد مرحلة مستعينين في ذل بالحيلة والجهد فإن الحرب كما لا يخفى كر وفر فهكذا انتصر أجدادنا في المعارك العظيمة التي دوخوا بها العالم وإذا كان من حق الشخص العادي أن يتحمس للهدف النهائي ويتخذ منه قمرا يعينه على السير إلى الأمام فإن على الزعيم المسؤول عن المعركة أن يتثبت من الطريق الموصل إلى الهدف وأن يدخل في حسابه المنعرجات التي قد يضطر إلى اتباعها لاجتياز العراقيل والصعوبات والمنعرج لا ينتبه إليه في غالب الأحيان من تسيطر عليهم العواطف لأن العاطفة تأبى إلا أن تسير في خط مستقيم لكن عندما يدرك الزعيم أن الخط المستقيم لا يمكن أن يوصل إلى الغاية فإنه يضطر لاتباع المنعرج فيبدو في الظاهر وكأنه ترك الهدف جانبا، الأمر الذي يثير ضجة الاتباع وفي هذه الحالة يجب على القائد أن يفهمهم أنه اضطر إلى ذلك اضطرارا وأنه سيعود إلى الطريق بعد اجتياز الصعوبة التي واجهته وتسلق الجبل الذي اعترضه وأن يقنعهم بأن إمكانياته المتواضعة فرضت عليه ذلك وأنه لن ينسى الهدف بل سيواصل بعد تخطي تلك العقبات السير حتى يصل إليه.

ويبدو أن هذا الأمر قد تعذر على كثير من الزعماء العرب والواقع أن الكارثة التي مُنينَا بها ووقوفنا على حدود فلسطين العربية دليل على أن القيادة لم تكن موفقة فإن عجز الجيش عن تحقيق النصر مع توفر الحماس يدل على خطأ القيادة بدون شك وكما قلت لكم فإننا نعمل بجد واجتهاد على رفع مستوى القيادة وجعلها في مرتبة مسؤولياتها بالاجتماعات الدورية وبمؤتمرات القمة وغيرها لكن هذا وحده لا يكفي بل لا بد لأمثالكم سواء في المشرق أو في المغرب من أن لا يعرقلوا بحماسهم إلى وضع الصعوبات في طريق تنفيذ الخطة التي ربما استقر عليها رأي الساسة ولا شك في أنه لا يمكن لأي زعيم عربي يتهم لحديثه عن الحل المنقوص أو عن الحل الوقتي بالخيانة ويوصف بأنه صنيعة الاستعمار أن يواصل عمله في أتون من المهاترات.

والكفاح المركز يقتضي فهم نفسية العدو ومعرفة إمكانياتنا الحقيقية وتقدير إمكانيات الخصم وضبطها بأكثر ما يمكن من الموضوعية والتحري والتثبت حتى لا نرتمي في مغامرة أخرى تصيبنا بنكبة ثانية وتعود بنا أشواطا بعيدة إلى الوراء هذا ما يجب أن نفكر فيه ونقرأ له حسابه ولذا لا بد لنا من الصبر ومن التخطيط ومن توفير الأسباب وتهيئة البشر والعتاد وحشد الأنصار والحلفاء ويجب أن نعطي لهذا العمل وقتا كافيا وأن لا نتسرع ونرتمي في المعركة الحاسمة قبل أن نوفر أكثر ما يمكن من أسباب النجاح على أننا مهما وفرنا من هذه الأسباب فلا بد لنا من أن نتكل على الله فنحن على حق والحق يعلو ولا يعلى عليه. إن توفير أسباب النجاح من خصائص القادة والزعماء والمسؤولين وهذه الأسباب كانت تنقصنا في السنين الماضية حين خضنا المعركة وسنعمل إن شاء الله بكد وجد وإخلاص وصدق على توفيرها للمعركة المقبلة وسيكون هذا نصب أعيننا في ندوات القمة وفي الاجتماعات التي تليها وفي كل أعمالنا الإيجابية. وعلينا أن ننتفع بالتجارب السابقة وأن نمعن النظر لكي نتمكن من ضبط المعطيات التي تتغير وتتطور بتطور الزمن ومن ضبط القوى التي يمكن أن نعتمد عليها والقوى التي يستند إليها العدو ولقد بدأنا هذا العمل الإيجابي ولكنه لم ينته بعد وهو يحتاج إلى جانب عظيم من الصدق والإخلاص والجدية والشجاعة الأدبية.

ولو رفضنا في تونس عام 1954 الحكم الذاتي باعتباره حلا منقوصا لبقيت البلاد التونسية إلى يومنا هذا تحت الحكم الفرنسي المباشر ولظلت مستعمرة تحكمها باريس. وهكذا فالمهم أن تكون للقيادة حرية اختيار السبل وحرية التصرف لكن مع الصدق والإخلاص والنزاهة والتفاني والحكمة حتى تكون كل مرحلة تمهيدا لما بعدها من مراحل وهذا ما أردت أن أقوله لكم بصفتي أخ له تجربة في الكفاح أكثر منكم ولا سيّما في الكفاح ضد الاستعمار وهذا ما غرسته في قلوب التونسيين حتى صاروا يتبعون كل الخطط التي نرسمها وقد تضايقهم بعض هذه الخطط أحيانا ولكنهم يقبلون على تجربتها ذلك لأنهم جربوني في الماضي وكانت النتيجة والحمد لله ما ترونه فقد أصبحنا أحرارا في بلادنا أسيادا في وطننا.

هذا ما أحببت أن أقوله لكم في هذه الزيارة التي سيتذكرها دائما هذا الرجل المتواضع أخوكم الحبيب بورقيبة، وهذه هي نصيحتي التي أقدمها لكم ولكل العرب حتى تضعوا في الميزان لا العاطفة والحماس فقط بل وكذلك جميع معطيات القضية بناء على ما قاله لكم رجل نزيه لا تشكون في صدقه وإخلاصه وتفانيه وهكذا نصل إلى الهدف ولا نبقى سبع عشرة سنة أخرى أو عشرين سنة نردّد (الوطن السليب.. الوطن السليب..) دون جدوى.

إنّنا إذا اقتصرنا على العاطفة سنظلّ على هذه الحال مئات السنين. هذا ما أنبهكم إليه وأعتقد أنه يجب أن يبرز من صفوف العرب رجال لهم الشجاعة الكافية على مصارحة الشعب ومواصلة الكفاح بجميع منعرجاته وأطواره ومراحله وحيله وكره وفره حتى نضمن لا لأنفسنا فقط، بل وللأجيال التي من بعدنا النصر الكامل واسترجاع الحق السليب.

هذا ما أردت أن أقوله لكم في هذه الزيارة وأطلب منكم إمعان النظر فيه ولا شك في أن كل واحد لا بد أن يحاسبه الله وضميره على ما يعمل وما ينوي وإنما الأعمال بالنيات وأخيرا أدعو لكم بالتوفيق وسعة الصبر حتى نوفر أسباب النجاح، وأدعو للمسلمين بالتكتل وللقادة بالانسجام والابتعاد عن المركبات سواء كانت مركبات النقص إزاء العدو باعتباره في منتهى القوة أو مركبات الغرور والتهوّر والارتماء على الهزيمة المحققة التي يمكن تلافيها بإمعان النظر وهكذا نضمن النجاح ولله العزة ولرسوله والمؤمنين.

و السـلام عليكم ورحمة الله «.

2) ردود الفعل تجاه خطاب بورقيبة:

ثارت ثائرة العرب إثر إلقاء بورقيبة لخطابه بمدينة أريحا يوم 03 مارس 1965، فانهالت عليه وعلى تونس حملات الإدانة والشجب والاستنكار من كل مكان في العالم العربي واعتبروا بورقيبة «خائنا» و«عميلا للصهيونية» و«عميلا « للغرب والولايات المتحدة حليفي الكيان الصهيوني» و«جاء خصيصا لإقناع العرب بقبول الكيان الصهيوني» وهو «يريد التفريط في حقوق الشعب الفلسطيني إلى الأبد»... وغيرها من التهم. ومثل هذه التهم ليست جديدة، بل هي مألوفة لدى الكثيرين من المعارضين لسياسة بورقيبة التحديثية منذ مطلع الاستقلال في مجال الدين والمرأة والقوانين والإدارة والتعليم... الخ.

وبتاريخ 23 أفريل 1965 أصدرت منظمة التحرير الفلسطينية بيانا شجبت فيه تصريحات الرئيس بورقيبة. كما دعا الأمين العام للجامعة العربية أحمد الشقيري مجلس الجامعة لدورة استثنائية، لإقرار فصل تونس عن الجامعة ومجلس الدفاع المشترك، وجميع الهيئات واللجان المتفرعة عنها.

كما عقد المجلس الوطني الفلسطيني دورة ثانية في القاهرة، خلال الفترة من 31 ماي حتى 04 جوان 1965، بحضور الرئيس المصري جمال عبد الناصر وأعلن أنّ «تصريحات الحبيب بورقيبة هي خيانة عظمى للقضية الفلسطينية». وفي 27 أبريل 1965، ناقش مجلس الأمّة المصري تصريحات بورقيبة، وطالب عدد كبير من الأعضاء بدعوة السفير المصري من تونس وطرد نظيره التونسي من القاهرة.

وفي 28 أفريل، خرجت تظاهرات في القاهرة، استنكارا لتصريحات الرئيس بورقيبة، وحاصرت سفارة تونس بالقاهرة وحاولت حرق منزل السفير التونسي حمادي بدرة.

وفي العراق قال الدكتور فؤاد الركابي، السكرتير المساعد للاتحاد الاشتراكي العربي: «إنّ هذه التصريحات من الطعنات التي وجهت، حتى الآن، إلى القضية الفلسطينية..». وأعلن رئيس الحكومة العراقية طاهر يحيى: «إنّ شعب العراق لا يمكن أن يقبل أي مساومة أو حلول وسط للمشكلة الفلسطينية».

أمّا في سوريا فقد خرجت يوم 16 مارس 1965، مظاهرات كبرى صاخبة في دمشق، تستنكر تصريحات بورقيبة، وأصدر كميل شمعون، رئيس الجمهورية اللبنانية الأسبق، بيانا اتهم بورقيبة بالجهل ببعض نواحي كارثة فلسطين.

غير أنّ بورقيبة ردّ على هذه الحملة وكل هذه الاتهامات التي استهدفته قائلا: «...إنّ هذه نصيحته للفلسطينيين وهي نابعة من سياسة رجل مجرّب وواقعي...».

وعموما وبمرور الزمن أثبت خطاب أريحا بُعد نظر الزعيم بورقيبة وبراغماتية لا مثيل لها في التعامل مع القضية الأولى للعرب عملا بمبدأ «خُذْ وطَالِبْ» و«سياسة المراحل» التي توخّاها في تعامله مع فرنسا خلال فترة النضال الوطني بتونس. وقد أثبت التاريخ صحّة رؤيته تلك بعد سنوات قليلة فقط من إلقائه للخطاب وذلك بشهادة القادة الفلسطينيّين أنفسهم وفي مقدمتهم أبو عمّار في جلّ لقاءاته بالرئيس الحبيب بورقيبة بتونس منذ استقرار المقاومة الفلسطينية بها في صائفة 1982.

الزعيم الحبيب بورقيبة في حوار على انفراد مع الزعيم جمال عبد الناصر بالقاهرة حول القضيّة الفلسطينيّة أثناء زيارته الرسمية لمصر.

خطاب الرئيس الحبيب بورقيبة أمام الفلسطينيّين وسط مدينة أريحا يوم 03 مارس 1965.

ثالثا: إبّان حَرْبَيْ 1967 و1973 (النكسة وملحمة العبور):

1) إبّان حرب الستة أيّام (حيزران/ جوان 1967):

إثر اندلاع حرب الستة أيّام بين العرب والصهاينة في مطلع شهر حيزران/جوان 1967اندلعت مظاهرات صاخبة بتونس العاصمة وكل المدن التونسية امتدت لحوالي ثلاثة أيّام... تخلّلتها عمليات حرق لحارة اليهود وبعض المتاجر والمعالم على ملكهم (كَنِيسَيْ تونس وجرجيس)... ومظاهرات ضد قدوم نائب الرئيس الأمريكي «هوبرت هنفري » (M. Hubert Humphrey) إلى تونس.. الخ.

أمّا المشاركة العسكرية تونسية الرسمية في حرب الستة أيام (النكسة) خلال شهر جوان 1967 على فيلق عسكري للعمل إلى جانب القوات المصرية. غير أنّه لأسباب مختلفة، لعلّ أهمها الانتصار الإسرائيلي السريع والساحق على الجيوش العربية لم يتجاوز هذا الفيلق الحدود التونسية حيث اضطرّ إلى العودة إثر وصوله إلى مدينة قابس.

وفي أيلول/ سبتمبر 1970 أرسلت تونس فيلقا لمراقبة وقف إطلاق النار بالأردن بين القوات الأردنية والفلسطينية إلى حين توقيع اتفاقية سلام بين المتنازعين، كان من بين أفراده الجنرال المرحوم الحبيب عمّار... وفي 21 سبتمبر تحوّل الوزير الأول الأستاذ الباهي الأدغم إلى القاهرة للقيام بدور الوسيط بين الأردنيّين والفلسطينيّين...

2) إبّان حرب تشرين الأوّل/ أكتوبر 1973 أو «ملحمة» العبور:

إثر اندلاع الحرب في 6 أكتوبر 1973 بين مصر وسوريا من ناحية والقوات الإسرائيلية من ناحية أخرى قرّر الرئيس الحبيب بورقيبة إرسال قوات من الجيش إلى جبهة القتال للمشاركة إلى جانب القوات المصرية. وتم تشكيل فيلق مشاة محمولة تعد 1.200 ضابط وجندي بداية من 10 أكتوبر 1973 لمؤازرة القوات المصريّة من أجل استرجاع الأراضي العربيّة المحتلّة منذ جوان 1967.

وفي حفل توديع عناصر الفيلق، ألقى الرئيس الحبيب بورقيبة كلمة ممّا جاء فيها :»لقد قررت المساهمة في الحرب لأنّ تونس تحارب وتقاتل دوما من أجل الحرية ومن أجل الكرامة ومقاومة الظلم والعدوان والتسلط الاستعماري التوطيني والصلف الاستعماري المتحدي للرأي العام العالمي وللمنظمات الدولية...هناك أمران في هذه المعركة: «النصر أو الاستشهاد..». (جريدة الصّباح بتاريخ 10 أكتوبر 1973).

وبالتوازي مع ذلك طلب من التونسيّين في خطاب 6 أكتوبر 1973 عدم التظاهر في الشارع كما حصل في جوان 1967، قائلا: «إنّ أعداء تونس في هذه المعركة لا يوجدون في تونس، بل هم في إسرائيل»،

من جهة أخرى أشار بورقيبة إلى أنّه وجه رسالة إلى الرئيس الأمريكي نيكسون عبر فيها عن»تأثره العميق للمساعدة الضخمة والمتنوعة التي تمنحها حكومتكم لإسرائيل.. ما يضع أصدقاء الولايات المتحدة، مثل تونس، والعربية السعودية في موقف حرج». (جريدة الصّباح بتاريخ 16أكتوبر 1973).

وقد استقرّ الفيلق التونسي بقيادة الجنرال الراحل عبد العزيز سكيك والعقيد أحمد البرقاوي... وغيرهم من الضباط في منطقة «دلتا النيل» لحماية ظهر القوات المصرية المتقدمة في عمق صحراء سيناء. وقد أبلى هذا الفيلق البلاء الحسن بشهادة العسكريّين والمدنيّين المصريّين أنفسهم. فبعد حدوث ثغرة الدفرسوار بالضفة الشرقية لقناة السويس حيث تدخّلت القوّة التونسية صباح يوم 17 أكتوبر 1973 وحاصرت الفرق المدرّعة الثلاث للقوات الإسرائيلية بقيادة الجنرال إريال شارون وقتها وأوقفت تقدّم فرقته وفرقتيْ مساعدَيْهِ بقيادة أبراهام أدان و كِلمان ماجنفيما فيما تولّى الجيش الثانى المصرى بقيادة العميد عبد الحليم أبو غزالة قصف المدفعية الإسرائيلية.

وفي جانفي 1974 أُرسِلَ فيلق القوات الخاصة لتعويض الفيلق المذكور ولم يعد إلى تونس إلا في 19 ماي 1974.

هذا وقد تحوّل عدد من الأطباء والممرّضين إلى سوريا والأردن لمداواة الجرحى الوافدين من مصر وفلسطين... إضافة إلى شحنات من الأدوية والأغطية والدماء والمساعدات الغذائية نحو مطارَيْ دمشق وعمّان...

و فتح الاتحاد العام التونسي للشغل اكتتابا لتمكين العمال من المساهمة في «معركة الصمود والنضال والقيم»، إضافة لتنظيم حملة للتبرع بالدم وأرسل للمنظمات النقابية الأوروبية والآسيوية طالبا منها « التشهير بالعدوان الصهيوني ومساندة الحق العربي..». (الصباح 1973-10-21).

كما أصدر الاتحاد العام التونسي للصناعة والتجارة بيان تضامن مع «شعوب فلسطين وسوريا ومصر»... وغيرها من مواقف المساندة الشعبية التونسية للقضيّة الفلسطينيّة في ملحمة العبور.

رابعا: احتضان تونس للقيادة الفلسطينية في أوت 1982 والاعتداء الصهيوني الغاشم على حمّام الشط وارتداداته:

صباح يوم 28 آب/أوت 1982 تهادت السفينة «سولفرين» (Solfirino)، نحو ميناء بنزرت، وهي تحمل على متنها 1.200 فلسطيني رُحلوا من بيروت يوم 22 آب/أوت، وبدأت مرحلة جديدة من تاريخ المقاومة والقيادة الفلسطينية وعلى رأسها أبو عمّار ببلدهم الثاني تونس: واحتشد المواطنون في استقبال شعبي بمدينة بنزرت بحضور الرئيس الحبيب بورقيبة وحرمه وسيلة بن عمّار وأعضاء الحكومة... وقد تمّ نقل حفل الاستقبال على المباشر عبر وسائل الإعلام التونسية والأجنبية.

استقرت القيادة السياسية بقمّرت بالضاحية الشمالية للعاصمة فيما استقرّ المقاومون أولا بمخيّم وادي الزرقاء شمال غربي مجاز الباب من ولاية باجة على بعد 78 كلم عن تونس العاصمة ثمّ بحمّام الشط بالضاحية الجنوبية للعاصمة على ساحل البحر.

وصول السفينة "سولفرين" (Solfirino) إلى ميناء بنزرت قادمة من ميناء بيروت صباح يوم 28 آب/أوت 1982 وعلى متنها المقاومون الفلسطينيّون وقادة منظمة التحرير الفلسطينية.

الاستقبال الشعبي الذي حضي به المقاومون الفلسطينيّون وقادة منظمة التحرير الفلسطينية بشوارع مدينة بنزرت صباح يوم 28 آب/أوت 1982 قبل تحوّلهم إلى مخيّم وادي الزرقاء.

ومنذ استقرارهم بهذا المكان بدأ جهاز المخابرات الصهيوني في عمله الاستخباراتي بمتابعة نشاطات وتحركات القادة الفلسطينيين، لا سيّما القوة 17 العقل المدبّر لغالبية العمليات الفدائية خارج فلسطين... إلى أن كانت الغارة الجوية السافرة للطيران الصهيوني على مقرّ القيادة الفلسطينيّة بحمّام الشطّ أو ما يعرف بعملية «الساق الخشبية» صباح غرّة تشرين/أكتوبر 1985 التي أدّت إلى سقوط 68 شهيدا (40 فلسطينيا و28 تونسيا) وعشرات الجرحى من الفلسطينيّين والتونسيّين وهدم مبنى المنظمة والمباني المجاورة لها بالكامل.

وكان من نتائج هذا العدوان السافر أن اندلعت مظاهرات صاخبة في كامل أنحاء البلاد وتقدّمت الحكومة التونسية بشكوى إلى مجلس الأمن الدولي واستدعاء الرئيس بورقيبة للسفير الأمريكي بتونس، إلى مكتبه وتهديده بقطعه للعلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية. فما كان من الولايات المتحدة نتيجة ضغوط عدة أطراف إلاّ التراجع خشية فقدان صداقتها لتونس التي تعود إلى القرن 18 م إلى الأبد. لذلك انتزعت القرار عدد 573 لمجلس الأمن يوم 04 أكتوبر 1985 الذي أدان الغارة الصهيونيّة الوحشيّة على تونس مقابل امتناع الولايات المتحدة عن التصويت. وهو ما يحصل لأول مرة في تاريخ المجلس منذ نشأة الكيان الصهيوني سنة 1947 واعتبر نصرا للدبلوماسية التونسية حينها.

صورة للغارة الجوية على مقرّ القيادة الفلسطينية بحمّام الشطّ في غرّة تشرين الأول/ 01 أكتوبر 1985.

أبو عمّار والسفير الفلسطيني حكم بلعاوي وبعض القادة الفلسطينيّين يتفقّدون آثار الغارة الجوية على مقرّ القيادة الفلسطينية بحمّام الشطّ في غرّة تشرين الأول/ 01 أكتوبر 1985.

موكب دفن شهداء الغارة الجوية على مقرّ القيادة الفلسطينية بحمّام الشطّ في غرّة تشرين الأول/ 01 أكتوبر 1985 وعيّنة من المسيرات وبيانات المنظمات الوطنيّة التونسية الصادرة بالصّحف المحلّية المنّددة بها.

أبو عمّار ووزير التعليم العالي، الأستاذ عبد العزيز بن ضياء يترحّمان على أرواح شهداء الغارة في ذكراها الرابعة (01 أكتوبر 1989) بالروضة التي أقيمت وسط ضاحية حمّام الشطّ.

خامسا: اغتيال مهندسَيْ الانتفاضة الأولى خليل الوزير " أبو جهاد" وصلاح خلف "أبوإيّاد" فوق التراب التونسي (1988-1991):

اغتيال خليل الوزير " أبو جهاد " أفريل 1988:

فجر يوم 15 أفريل/نيسان 1988 تمّ اغتيال مهندس الانتفاضة الفلسطينية الأولى الشهيد خليل الوزير أبو جهاد في بيته بضاحية قمّرت من طرف وحدة كومندوس يتألف من 20 مسلّحا من فرقة خاصة قدموا من البحر على متن زورق مطاطي أقلّته على ضفاف الساحل الشمالي لتونس العاصمة سفينة أجنبية تمّ تجهيزها من قبل المخابرات الصهيونية للغرض.

ونجد في الجزء الأول من كتاب "سيريت ماتكال" الذي يروي عملية اغتيال الوحدة للشهيد خليل الوزير أبو جهاد في منزله بتونس، ويصف سنوات من التحضير الاستخباراتي والتدريبات التي سبقت تنفيذ العملية بمشاركة العشرات من عناصر الوحدة والاستخبارات. وحسب هذا الكتاب يدعى القاتل "ناحوم" وكان يحمل بيده صندوقا للهدايا وبداخله بندقية قصيرة ومسدس كاتم للصوت الذي أجهز به على حارس منزل أبو جهاد ثمّ انطلق إلى غرفته بالطابق الأول للبيت وصوّب نحوه 08 رصاصات أمام ابنته وزوجته...

وحسب نفس المصدر كان يدعمه المدعو "يوحيى" المتخفّي بزي امرأة يوفر له الدعم والدرع الواقي ويتعقب عن بعد "ناحوم". وقد مكثت عناصر "الموساد" في تونس أيّاما من قبل لدعم الوحدة وتنفيذ العملية، وهم الذين أبلغوا الوحدة بوجود أبي جهاد منزله وربما سيغادره عند الساعة الثالثة فجرا.

2) اغتيال صلاح خلف " أبو إيّاد " 14 جانفي 1991:

تمّ يوم 14 جانفي 1991 اغتيال القائد صلاح خلف " أبو اياد " وعضوين بارزين في القيادة السياسية والعسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية بتونس في منزل هايل عبد الحميد المكنّى أبو الهول وأبي محمد العمري الملقّب بـ فخري من طرف جهاز الموساد الإسرائيلي على يد العميل "حمزة أبو زيد" حيث كان الثلاثة يعقدون اجتماعا في منزل "أبي الهول"، الذي كان أحد أفراد طاقم الحراسة للشهيد "أبي الهول". وقد فتح العميل نيران رشاشه وأخذ يطلق النار حتى قتلهم جميعا واحتجز رهينتين وطلب طائرة خاصة لنقله خارج تونس. وتفاوضت معه القوات التونسية والفلسطينية لستّ ساعات ثمّ تمّ اقتحام المنزل وإلقاء القبض عليه وتحرير الرهينتين.

و محمد العمري كان مسؤولا أمنيا رفيع المستوى والرجل الثاني في جهاز الأمن الموحد الذي يترأسه أبو إيّاد. وهو صاحب فكرة عملية ميونخ والمسؤول المباشر للمجموعة المنفذة باسم حركي (طلال). كما قاد عملية الرباط أثناء قمّة الرباط 1974 واعتقل مع 13 فدائيا، لكن أفرج عنه مع رفاقه بعد تدخل "أبي إيّاد". وقد جرت محاولة لاغتياله في لبنان سنة 1978 ومحاولة أخرى لاغتياله في يوغسلافيا سنة 1979 فقد على أثرها السمع بالأذن اليمنى.

وقد خلّفت عمليتا اغتيال أبي جهاد وأبي إيّاد استياءً كل التونسيّين دون استثناء ومن ملامحها خروج مسيرات شعبية صاخبة في كامل أنحاء البلاد وصدور بيانات استنكار من جميع المنظمات الوطنية وأحزاب المعارضة والقوى الحيّة وكتابات في شكل مقالات وأشعار عبّر من خلالها أصحابها عن استنكارهم لتراخي الأمن التونسي وعدم قدرة نظام بن علي على تأمين سلامة قادة منظمة التحرير وتضامنهم مع الشعب الفلسطيني... الخ.

سادسا: حضور التونسيّين بالأراضي الفلسطينية بين 1988 و2003

إثر عمليتي اغتيال أبي جهاد في أفريل 1988 وأبي إيّاد في جانفي 1991 فوق التراب التونسي انخرط بعض الشبان التونسيّين في حركة المقاومة الفلسطينية منذ 1988 ونجح بعضهم في تنفيذ عمليات فدائية داخل الأراضي الفلسطينية المحتلّة وعلى الشريط الحدودي بين لبنان وفلسطين واستشهدوا هناك.

ومن أبرز العمليات: عملية شهداء قِبْيَة يوم 26 أفريل 1988 حيث تمكنت تشكيلة الشهيد الطيار الملازم الأول، أبي عمّار أدهم من اقتحام معسكر قيادة المنطقة الشمالية لجيش الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين. وقد أصيبت طائرة ميلود بن الناجح نومة، فاضطرّ إلى الهبوط. وفي صباح اليوم الموالي اشتبك مع قوات التمشيط الصهيونية واستشهد 03 تونسيّون. وقد نسج على منوال هرلاء الشبّان الثلاثة عديد الشبّان، استشهد 05 منهم في عمليات مختلفة فوق الأراضي الفلسطينية بين 1995 و1998 وهم على التوالي:

1- الشهيد ميلود بن ناجح نومة: وهو من مواليد منطقة سيدي بو مخلوف بتطاوين استشهد يوم 25 نوفمبر 1988 إثر تنفيذه لعملية فدائية جريئة في عمق الأراضي الفلسطينية المحتلّة واستعملت في هذه العملية لأول مرة الطائرات الشراعية.

- 2 الشهيد عمران بن الكيلاني المقدّمي: أصيل منطقة قصر قفصة استشهد في 26 أفريل 1988 في عملية بطولية بإصبع الجليل في فلسطين المحتلة أطلق عليها اسم «أبو جهاد» وكانت عملية ثأرية لاغتيال المناضل أبي جهاد.

3- الشهيد خالد بن صالح الجلاصي: من مواليد نصر الله القيروان، استشهد في 28 ديسمبر 1988 في عملية فدائية بمنطقة المنارة بالجليل الأعلى بفلسطين المحتلّة. دفن في لبنان مباشرة بعد العملية حيت تسلمه الصليب الأحمر الدولي من الكيان الصهيوني وسلّمه إلى التنظيم الذي تبنى العملية. وورود اسمه في قائمة من تبادلهم بين حزب الله وإسرائيل.

4-الشهيد سامي بن الطاهر الحاج علي: أصيل جزيرة جربة استُشهد يوم 19 جانفي 1995 إثر قيامه بعملية استشهادية ضد دورية إسرائيلية في منطقة الطيبة بجنوب لبنان على بعد كيلومترين من بفلسطين المحتلّة.

5-الشهيد رياض بن محمد الهاشمي بن جماعة: أصيل مدينة صفاقس كان طالبا جامعيا قبل رحيله إلى فلسطين. استُشهد يوم 19 جانفي 1995 إثر قيامه بعملية استشهادية ضد دورية صهيونية في منطقة الطيبة بجنوب لبنان على بعد كيلومترين من فلسطين المحتلّة.

6- الشهيد كمال بن السعودي بدري: مولود في 27 جانفي 1975 بمدينة المتلوي وهو أصيل منطقة المكارم بسيدي بوزيد، زاول دراسته بمعاهد قفصة وعرف بتفوقه الدراسي (باكالوريا تقنية بمعدل 14.68) وحسن سلوكه ودماثة أخلاقه وقد ذكر لنا والده أنه من عائلة مناضلة :جده علي بن عمر كان من مساعدي القائد البشير بن سديرة وجده وعمه انخرطا في صفوف الثورة ضدّ الاستعمار الفرنسي بجبال عرباطة وسيدي بوزيد كما شاركوا في معركة الجلاء ببنزرت. استُشهد يوم عيد ميلاده الواحد والعشرين في 27 جانفي 1996 في عملية فدائية في منطقة السريرة (قضاء جزين) في جنوب لبنان.

7- الشهيد بليغ بن محمد أنور اللجمي: أصيل مدينة صفاقس وهو ينتمي إلى عائلة نقابية مناضلة استشهد في العملية نفسها التي استُشهد فيها رفيقه كمال بدري وذلك يوم 27 جانفي 1996 في منطقة السريرة بجزين جنوب لبنان.

8- الشهيد فيصل الحشائشي: أصيل مدينة قابس، كان طالبا بتونس قبل انضمامه إلى صفوف المقاومة الفلسطينية. استشهد يوم 8 جويلية 1993 إثر مشاركته في عملية فدائية جريئة ضد دورية إسرائيلية في منطقة العيشية جنوب لبنان.

صور التونسيّين الثمانية الذين استشهدوا فوق الأراضي الفلسطينية او جنوب لبنان بين 1988 و1998.

سابعا: اغتيال جهاز الموساد للمهندس التونسي محمّد الزواري ببيته بمدينة صفاقس (15 ديسمبر 2016):

كشفت وزارة الداخلية تفاصيل اغتيال المهندس التونسي محمّد الزواري في ندوة صحفية أجرتها يوم 12/12/2018 بمقرّ الوزارة عن ملابسات الجريمة في ذكراها الثانية. وقد أفاد سفيان الزعق الناطق الرسمي باسم وزارة الداخلية حينها، أنّ أحد المنفذين نمساوي يدعى "كريستوفر"، وقد قدّم نفسه على أنه مهتم باختراعات الزواري خاصة مشروع التحكم بالغواصّة عن بعد. اثنان آخران من الجناة يحملان الجنسية البوسنية هما "ألفير ساراك" و"آلان كانزيتش"، وقد دخلا التراب التونسي عبر ميناء حلق الوادي يوم 8 ديسمبر 2016 وبقيا لمدة سبعة أيام وقد تحولا في اليوم الأول الى مدينة المنستير حيث أقاما بكاب مارينا المنستير بالغرفة عدد 97 والتحق بهما في نفس اليوم دليل سياحي لمرافقتهما في اليوم الموالي.

وحسب نفس المصدر صرف جهاز الاستخبارات الصهيونية، الموساد أموالا طائلة لتصفية الزواري في مخطط سري تمّ الإعداد له منذ عام 2015 في أوربا الشرقية ونيويورك، وشارك فيه تونسيّون لم يكونوا على دراية بالجريمة. وقد اعتمد فريق التحقيق على كاميرات المراقبة في صفاقس لكشف المسارات والسيارات التي استخدمها الجناة بجانب

عمليات تعقّبهم للزواري في حادثة القتل والانسحاب.

وقد تعقب العنصران البوسنيان سيارة الزواري قبل يوم من الاغتيال وتمكنا من اختراق هاتفه ومنه تمت عملية مراقبته، وهو ما يعزز فرضية إتلاف القتلة هاتفه بعد اغتياله. وقد تمّ التعرف على كل الأماكن التي توجه إليها منفذو العملية بسرية وذهبوا إلى مدن مختلفة قبل الجريمة للتمويه: تونس، المنستير القيروان..، ثمّ حلّوا بصفاقس قبل يوم من تنفيذ الجريمة، ووجدوا قرب مسرح العملية قبل ساعتين من مقتل محمّد الزواري.

وعلى إثر الإعلان عن هذه الجريمة الدولية أدانت منظمات تونسية اغتيال المهندس التونسي محمد الزواري في مدينة صفاقس واعتبرت ذلك انتهاكا للسيادة الوطنية وطالبت الحكومة بالتحقيق العاجل في الإخلالات التي أدت إلى وقوع هذه العملية. وكانت حركة حماس قد نسبت العملية إلى إسرائيل وأنّ الزواري كان أحد قادتها. كما نددت المنظمات التونسية بدخول مراسل القناة العاشرة الإسرائيلية إلى تونس وتغطيته للحدث.

كما أقيم بمدينة صفاقس ميدان يحمل اسم الشهيد محمّد الزواري تألّف من نصب تذكاريّ رخاميّ تضمّن طائرة أبابيل (AP 1- 001) التي قام بتصميمها بفلسطين، تمّ بأسفله تثبيت الرايّة الفلسطينية على اليمين والراية التونسية على اليسار واسم الميدان.

هذا ولم يقتصر التضامن التونسي- الفلسطيني على هذه المحطّات الأليمة فحسب، بل سجلنا حضورا لفلسطين في جلّ المناسبات الرياضية كانت آخرها بمناسبة انعقاد مباريات الكأس العربية لكرة القدم (تشرين الأول- تشرين الثاني/ نوفمبر- ديسمبر2021) ثمّ انعقاد كأس العالم بقطر (تشرين الأول- تشرين الثاني/ نوفمبر- ديسمبر2022).

الجمهور التونسي يرفع الراية الفلسطينية إبّان مباريات الفريق الوطني التونسي بألعاب الكأس العربية وكأس العالم لكرة القدم بقطر (تشرين الأول- تشرين الثاني/ نوفمبر- ديسمبر2022).

خاتمة:

يمكن القول في خاتمة هذه الورقة أنّ التضامن التونسي – الفلسطيني قديم، يقارب اليوم 76 سنة بالتمام والكمال. أمّا أسباب هذا التضامن، فهي عديدة من أهمها إيمان الشعب التونسي بعدالة القضية الفلسطينية والمظالم المنتهكة في حق الشعب الفلسطيني منذ سنة 1947 إلى غاية اليوم.

ولم يقتصر دعم التونسيّين لأشقائهم الفلسطينيّين على البيانات واللوائح والكتابات والتنديد الرسمي بممارسات وانتهاكات الكيان الصهيوني في المحافل الدولية فحسب...، بل تجاوزه ليصل إلى غاية الكفاح المسلّح المشترك والنضال بالقلم والفكر واحتضان المقاومة الفلسطينية إلى درجة اختلاط دماء الشعبين معا في أكثر من محطة وحدث...

وعلى الرغم من إكراهات السياسة والسياسيّين، فإنّ النضال المشترك بين الشعبين التونسي والفلسطيني لا يزال متواصلا في أشكال أخرى: دبلوماسية – ثقافية – اجتماعية...الخ، إلى حين تحرير كامل فلسطين من العدوّ الصهيوني الغاصب وعاصمتها القدس الشريف !

السّوق السياسي

السوق السياسي إضافة تسعى «الشارع المغاربي» من خلالها إلى الخوض في الصور التي تُخامر أذهان التونسيين بشأن سياسييهم وشخصيّاتهم العامّة، بهدف متابعة مدى تطوّر أدائهم الملتصق أساسا باللحظة الراهنة. فليس المغزى من السوق السياسي القيام بتقييم صارم، فالذاتية ركن ركين في أيّ توصيف لأداء الغير. وقد يرقى من رأيناه هنا والآن حبيسا في مرتبة الرديء إلى عتبة المتوسّط أو حتّى الحسن... دمتم أهلا وسهلا في سوقنا...

✔ الفاهم بن يفهم

حسن جدا

منتدى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية

رغم خفوت أصوات عديد الجمعيات واضمحلال أخرى خلال الآونة الأخيرة لا يزال المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية في صدارة قلة قليلة من المنظمات التي تحافظ على دورها الريادي في تبني قضايا اجتماعية واقتصادية وحتى بيئية حارقة.

هو بحق منتدى جامع ومرجع ثابت في متابعة الحراك الاجتماعي بعد أن دأب منذ 2011 على رصد نبض المجتمع وتسجيل التحركات الاحتجاجية بالأرقام والإحصاءات والمعطيات المستفيضة بشكل دوري.

هو أيضا ملاذ أخير للفئات الهشة ممن انتُهكت حقوقهم الاجتماعية والاقتصادية على غرار العاملات في الفلاحة والمتضررين من التلوث ممن تناستهم السياسات العمومية فتحولوا الى لقمة سائغة لدى المتكالبين على الإثراء السريع.

المنتدى اتخذ أيضا من ملف الهجرة قضيته الأساسية كاشفا تارة عن تقصير السلطة في التعاطي مع "الحارقين" تونسيين كانوا أم أجانب ومتُّهما طورا آخر الدول الأوروبية بالسعي لتحويل تونس إلى حارس للبحر الأبيض المتوسط.

لا يمكن إذن التطرّق إلى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية دون المرور حتما بما ينتج المنتدى من إحصاءات ودراسات اجتماعية واقتصادية وحتى بيئية أو العودة بالضرورة إلى شهادات حية وثّقها خبراؤه وأعضاؤه في مختلف المدن والأحياء وحتى القرى النائية أو الاستئناس بقضايا عدلية رفعها بمؤسسات عمومية أو خاصة دفاعا عن متضررين.

ورغم حداثة تأسيسه كمنظمة (2011) افتك المنتدى مكانا له بين كبريات المنظمات الوطنية الفاعلة والمؤثّرة.

لكل ذلك نال المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية ملاحظة "حسن جدا" لهذا الأسبوع.

رديء جدا

محمود عباس

في اتصال هاتفي بالرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو قال رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس حسب نص نشرته وكالة الأنباء الرسمية التابعة لسلطته "ان سياسات حركة حماس وأفعالها لا تمثّل الشعب الفلسطيني" واعتبر أن "سياسات وبرامج منظمة التحرير هي التي تمثل الشعب باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد له".

كلام عباس ليس بغريب باعتبار ان الشيء من مأتاه لا يستغرب. ففي حين اختارت "حماس" ومعها بقية فصائل المقاومة الكفاح المسلّح من أجل تحرير الأرض المسلوبة من محتلّ متغطرس لا يعترف بالقوانين الدولية ولا حتى بالشرائع السماوية اختارت "السلطة" في اطار اتفاقية "اوسلو" شطب فكرة المقاومة المسلّحة من قاموسها منذ اطلاق ياسر عرفات كلمة CADUC السحرية التي انتظرتها منه اسرائيل لالغاء البند الرئيسي من ميثاق حركة فتح والقاضي بتوخي الكفاح المسلح لتحرير الارض المحتلة.

صورة تتحدث

مشهد من حملة محو الامية التي أقرها بورقيبة والتي شملت كلّ فئات المجتمع حتى بلغت نسبة التعلّم ما يقارب الـ 90 % من الشعب التونسي...

قالوا

قيس سعيد

أنا على يقين ومتأكد من أنه مثلما تحرّرت بنزرت من آخر جندي فرنسي ستتحرر فلسطين من آخر صهيوني.. القضية ليست مع اليهود مثلما يدعون ويزعمون بل مع الحركة الصهيونية العالمية التي تريد أن تسيطر على العالم وعلى العقول ... إما الشهادة أو النصر وإما أن نعيش أعزاء أو أن نموت ونقضي شهداء... الصهاينة يقتلون ويذبحون الأطفال والنساء حيث سقط يوم أمس أكثر من 300 شهيد فلسطيني والعالم الذي يقول إنه متحضر وانه وضع القوانين الإنسانية لم يعترف بها للشعب الفلسطيني ... يريدون مرة أخرى أن يعيدوا تقسيم الشرق الأوسط من جديد.. يريدون أن نكون تابعين لهم ولكننا لن نكون تابعين أبدا.. حق الشعب الفلسطيني في كل أرضه لن يضيع أبدا.

نور الدين الطبوبي

لقد اطّلعت على موقف الاتحاد الدولي للنقابات الذي اعتبره موقفا مستبطنا وغير متناسق مع ما ورد في دستور الاتحاد الدولي من باب الدفاع عن حق الشعوب في الانعتاق من الاستعمار وتقرير المصير. ويبدو ان الاتحاد الدولي نسي ان الاراضي التي جرت فيها العمليات العسكرية ومازالت مستمرة حتى يومنا هذا هي ارض محتلّة مثلما نصت على ذلك العديد من قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن الدولي بشأن القضية الفلسطينية ولم تنفذ منذ صدور قرار مجلس الامن الدولي الاول رقم 181 لعام 1948. وبقيت هذه القرارا ت حبرا على ورق في ظل غياب الارادة الدولية في معاقبة الاحتلال واجباره على احترام الشرعية الدولية والسماح للشعب الفلسطيني بممارسة حقه في العودة الى اراضيه واقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف... ولذلك يجب على المجتمع الدولي ان يتحمل مسؤوليته السياسية والأخلاقية تجاه الشعب الفلسطيني المجرّد من حقوقه عبر احترام ارادته في تحقيق دولته المستقلة ولذلك فان مقاومة الاحتلال هي حق انساني وكوني لا يمكن تخصيصه حسب الاهواء والميولات والعلاقات.

سامي بن عبد العالي

جلسة رفع الحصانة عني تضمنت عديد الاخلالات الاجرائية لان رئيس المجلس تعمد المرور بقوة واعتمد التصويت الالكتروني رغم مطالبة اكبر نسبة من النواب بالتصويت السري لرفع الحرج عنهم لكنه اعتمد التصويت الالكتروني ومثلما تعلمون قبل التصويت توعّد بودربالة النواب وقال لهم ان القائمة ستوجّه الى رئيس الجمهورية واقحم مؤسسة رئاسة الجمهورية في هذا الموضوع وتوعد النواب وقال لهم ان كل من يصوت ضد رفع الحصانة سيتحمل مسؤوليته... اليوم رئيس المجلس اصبح يمثل خطرا على المؤسسة التشريعية وعلى جميع النواب لأنه عوض حماية النواب وخدمة مصلحة المجلس اصبح يرضي بعض الاطراف ولهذا يجب وضع حد لمثل هذه المهزلة.

احمد ونيس

المدرسة الاستعمارية التي تضم إسرائيل والدول الأوروبية الغربية والولايات المتحدة الأمريكية تمهّد لإطلاق محرقة ضد الشعب الفلسطيني مع نكران كل مرجعيات الشرعية الدولية والعالمية في ظل سكوت العالم العربي... للمدرسة الاستعمارية حل لكنها لن تعلن عنه لأنه حل فظيع ومخجل وهو حل جهنم وهي تسعى إلى تنفيذه، ويجب أن نواجههم بالدعوة لندوة سلام عالمية... لا بد من مناداة الصين وإيران وروسيا والعالم العربي بصوت واحد لعقد ندوة عالمية لطرح السلام بحضور الجميع .

هل هي النكبة الثانية أم الحرب العالمية الثالثة؟

ألكسندر نازاروف (محلل سياسي روسي)

قصف جنوني على غزّة ودمار هائل

أعتقد أن النجاح الباهر الذي حققته عملية "حماس" كان بالنسبة للحركة نفسها غير متوقع على الإطلاق، وكذلك عواقب هذه العملية.

في رأيي المتواضع أن الأمور الآن لا تسير وفق خطة "حماس"، وهو ما ينعكس في الخطوات غير المدروسة، مثل التوعد بقتل الرهائن، وهو ما سيلحق الضرر بحماس نفسها بشكل واضح.

السؤال الرئيسي اليوم هو: من هي الجهة الرئيسية؟ وخطة من التي يتم تنفيذها؟ أم أنه لم تعد هناك خطة وان كافة الأطراف تتّجه إلى الارتجال؟

إن عدم الكفاءة المذهلة، والفعالية القتالية المنخفضة، وعدم القدرة على السيطرة على الجيش، وفشل أجهزة الاستخبارات (وهما أو حقيقة) تتعارض تماما مع الصورة الراسخة والإنجازات السابقة لإسرائيل الى درجة أن الجميع بدأوا بشكل لاارادي يشكّون في ما لم تكن على علم مسبق بتحضيرات "حماس" للهجوم ويتساءلون عمّا اذا تعمّدت تلّ أبيب عدم اجهاض هجوم "حماس" لتعلن بعد ذلك حقها في "الدفاع عن النفس" بلا قيود. في رأيي تحمل هذه الرواية قدرا من الوجاهة، لأن كل شيء في الوقت الراهن يتجه نحو حقيقة أن إسرائيل ستصبح المستفيد الرئيسي.

تواجه إسرائيل مهمتين استراتيجيتين: إزالة التهديد المتمثل في النمو الديمغرافي الفلسطيني، الذي سيحوّل إسرائيل إلى دولة فلسطينية في غضون بضعة عقود من الزمن، وتحييد إيران أو على الأقل برنامجها النووي. ومع كل عام يمر، تصبح هذه المهام أكثر صعوبة، ويتعين العمل بشكل أسرع.

والقصف الشامل للمناطق المدنية، وقطع الكهرباء، والمياه، والوعود الإسرائيلية بعدم ترك سوى الخيام في غزة، والضغط المكثف على مصر لسحب سكان غزة، يشير إلى أن القضية تتعلق بتطهير عرقي، وإخلاء غزة من السكان الفلسطينيين، وقد بدأت إسرائيل بالفعل في إنجاز هذه المهمة.

والآن أصبحت لدى إسرائيل فرصة لحل المشكلة الاستراتيجية الأولى، على الأقل في غزة. وللقيام بذلك، لا تحتاج إلى تصفية حماس، ولا تحتاج إلى الذهاب إلى غزة، وهي تصريحات بغرض التمويه من وجهة نظري.

بالنسبة لإسرائيل، يبدو السيناريو الأمثل والأقل كلفة هو "الإبادة الجماعية البطيئة"، حيث ستواصل قصف غزة، وتدمير عدد من المباني وجعل الحياة لا تطاق بالنسبة للفلسطينيين بنسبة 1% مع كل يوم يمر. تطبيق حصار ليس كامل وإنما حصار صارم وإبادة منخفضة الشدة عن بعد، والتي سيعتاد عليها العالم كله تقريبا. وهو أقل من المستوى الذي سيضطر فيه "حزب الله" إلى فقدان ماء الوجه إذا لم يتدخل. وفي هذا السيناريو، ينبغي لحماس أن تبقى، أن تبقى في غزة كذريعة للتطهير العرقي.

في رأيي لا يمكن تفسير التأخير في العملية البرية بالقضية التي لم تحل فحسب، والمتمثلة في فتح ممر إلى سيناء، وإنما أيضا من منظور القيادة الإسرائيلية لتفضيل السيناريو الأقل قسوة لتدمير غزة.

إن تخفيف لهجة المسؤولين الإسرائيليين تجاه "حماس" في الأيام الأخيرة والبدء في تهيئة شروط المساومة يشيران الى تحريك هذا السيناريو "البطيء". وفي اعتقادي سيتم قريبا الالتزام ببعض الليونة في ما يتعلق بإيصال المياه والغذاء والوقود، لفترة حتى فتح الممر إلى مصر، ومن ثم سيكون من الممكن تشديد النظام.

ولكن، ما العمل بالنسبة للضفة الغربية؟ أعتقد أن هذه القضية

ستترك لوقت لاحق، لأنه من الصعب إجبار مصر على قبول حتى سكان غزة. ولا أستبعد لجوء الولايات المتحدة إذا استمر رفض القاهرة العنيد، لتدبير انهيار مالي في مصر من أجل ربط قضية القروض الجديدة بمسألة قبول الفلسطينيين.

سيأتي الدور على الضفة الغربية إذا أو عندما تغرق المنطقة بالكامل في حرب دموية واسعة النطاق، وعلى خلفية الأهوال ستتمكن إسرائيل من طرد الفلسطينيين من الضفة الغربية، حتى إلى الصحراء، دون الاهتمام بأية عواقب على الوضع الإنساني.

إلا أن إنجاز المهمة الأولى في هذه المرحلة يتعارض مع الثانية. ذلك أنه لا يمكن حلّ المسألة الثانية (تحييد ايران) إلا من خلال جر الولايات المتحدة الأمريكية إلى الصراع. ويمكن تحقيق ذلك عبر التصعيد الأقصى للصراع في غزة والذي سيتسبب في إبادة جماعية للفلسطينيين، ممّا سيجبر معارضي إسرائيل على الدخول في الحرب ضد إرادتهم، أو من خلال الهجوم على الولايات المتحدة تحت راية أجنبية.

وبطبيعة الحال، فإن فتح جبهة ثانية هو آخر ما تحتاجه واشنطن على خلفية اقتراب خسارتها الحرب بأوكرانيا والاشتباك المرتقب مع الصين، حيث ستمارس الولايات المتحدة أقصى قدر من الضغط على جميع أطراف النزاع من أجل وقف التصعيد.

فالولايات المتحدة مستعدة لمساعدة إسرائيل على تطهير غزة من الفلسطينيين، إلا أنها ترغب في القيام بذلك بأكبر قدر ممكن من الهدوء، دون زيادة عدد المشاركين في الصراع، ودون تكاليف تضطر هي لدفعها.

بالنسبة لأعداء إسرائيل، فإن الخيارات المتاحة حاليا لا تتضمن خيار تصفية إسرائيل بالوسائل العسكرية، ولا يشكل ذلك، على أقل تقدير، أولوية راهنة. تشتعل المشاعر في الشوارع، لكن قادة الدول يضطرون إلى الاسترشاد بالمصالح العقلانية.

بطريقة أو بأخرى، فإن تدمير إسرائيل أمر مستحيل دون إزالة الولايات المتحدة من رقعة الشطرنج بطريقة أو بأخرى. ولذلك، فإن القصف المتقطع لإسرائيل عبر الحدود ليس سوى إظهار لموقف سياسي، ومسرح يناسب الجانبين. أما الحرب الحقيقية لتدمير إسرائيل فهي حرب مع الولايات المتحدة.

ومع ذلك، فإن الرهانات على الحرب العالمية الثالثة التي قد تندلع هي الحد الأقصى، ونحن نتحدث عن وجود الدول، لذلك يمكنك أن تنسى أي قيود إنسانية أو أخلاقية في مثل هذه الحرب، التي ستتخذ فيها الأطراف أية إجراءات متاحة. وهي حرب ستجلب خسائر فادحة لأي عدو للولايات المتحدة.

فمن ناحية، أصبحت الولايات المتحدة ضعيفة بسبب الحرب في أوكرانيا والأزمة الداخلية، والآن هي اللحظة المواتية للغاية لاستدراجها الى حرب، إذا كنت على استعداد لتحمل الخسائر. ولكن، بالنسبة لـ "حزب الله" وإيران، لا تشكل إسرائيل تهديدا مباشرا لوجودهما، لهذا لا يوجد سبب موضوعي للاستعجال، ويمكنهما أن ينتظرا ويريا، فلربما (وعلى الأرجح) ستزداد الولايات المتحدة ضعفا.

لذلك، وفي رأيي، أنه في هذه المرحلة، لا تهتم إيران ولا "حزب الله" بالمشاركة الكاملة في الحرب. ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال استفزازات ناجحة للقوى الراغبة في جرهما إلى الصراع، والتطورات غير المنضبطة للأحداث.

كما أنه ليس هناك ما يضمن تخفيف مشاركتهما في الحرب من محنة الشعب الفلسطيني على المدى القصير، بل على العكس من ذلك، قد توسع إسرائيل من التطهير العرقي في الضفة الغربية في حالة نشوب حرب مباشرة مع "حزب الله"، ولا سيما إيران.

وإجابة على السؤال المطروح أعلاه، أشك في أننا نسير على خطى خطة الولايات المتحدة أو إيران أو "حزب الله" وخاصة "حماس".. فنتائج هجوم الأخيرة هي نتائج انتحارية لدرجة أنه بدا في بداية الأمر كما لو أنها لا يمكن أن تحدث إلا كجزء من خطة أكبر من قبل لاعب آخر أكبر. ولكن، وحتى لو كان الأمر كذلك، فإن هذا اللاعب ليس في عجلة من أمره لإشراك نفسه في الصراع. في رأيي، الأرجح أننا نسير على خطى إسرائيل، أو أن كل الخطط انتهت، والجميع يرتجل.

ولا أستبعد خلاف ذلك، لكني أفضل أن أتوقع حربا عن بعد في غزة، دون عملية برية. وإذا لم يتم فتح الممر إلى مصر، فسيكون هناك تدمير بطيء لغزة وسكانها. هناك أيضا احتمال كبير بحدوث استفزاز ضد الولايات المتحدة من خلال القتل الجماعي للجنود الأمريكيين، ممّا سيسمح لإسرائيل بتنظيم حرب مباشرة بين إيران والولايات المتحدة.

لو كنت مكان نتنياهو، لاشتريت زورقين مسيرين بريطانيين من أوكرانيا، ورسمت عليهما أعلام "حزب الله" وإيران، وهاجمت حاملة الطائرات الأمريكية. لكنه سيفعل ذلك بعد أن ينجح في كسر مصر، وطرد معظم سكان غزة إلى سيناء.

وبالتالي، أعتقد أنه لن تكون هناك حرب إقليمية كبرى في الأشهر المقبلة.

هذا مجرد رأيي المتواضع، الذي يحتمل الخطأ.

سيمور هيرش :

روسيا ربحت الحرب بأوكرانيا وواشنطن تخفي الحقيقة

رغم غياب نتائج ملموسة على أرض المعارك للهجوم المضاد الذي يشنه الجيش الأوكراني على القوات الروسية منذ أشهر تُواصل واشنطن ومن ورائها وسائل الاعلام الامريكية مغالطة الرأي العام العالمي وإمداده بأخبار زائفة بينما الحقيقة هي أن روسيا كسبت الحرب.

هذا ملخّص مقال نشره الصحفي الأمريكي سيمور هيرش عبّر فيه عن اعتقاده بوجود احتمال حدوث عصيان في صفوف الجيش الاوكراني للأوامر التي يتلقاها من سلطات كييف.

وكتب هيرش في مقال نشره بمنصة "سوبستاك": "لقد انتصرت روسيا في النزاع الدائر بأوكرانيا لكن البيت الأبيض ووسائل الاعلام الامريكية تتجاهل ذلك وتواصل نشر اخبار مخالفة للحقيقة... لقد انتهت الحرب وانتصرت روسيا ولم يعد هناك أي هجوم مضاد أوكراني بالمعنى الحربي الصحيح لكن الإدارة الامريكية ووسائل الاعلام الامريكية مجبرة على نشر أكذوبة الهجوم المضاد حسب ما أكد لي مسؤول من المخابرات الامريكية".

خسائر هائلة

وأضاف هيرش : "مُنيت القوات الأوكرانية بخسائر ثقيلة جدّا خلال هجومها المضاد ووجدت نفسها مجبرة على إيقافه. وبعد أسابيع من خسائر ثقيلة وتحقيق تقدّم لا قيمة له الى جانب

خسائر فظيعة في الدبّابات والمدرعات أوقفت أهمّ وحدات الجيش الاوكراني الهجوم المضاد دون الإعلان عن ذلك".

شبح عصيان؟

ونقل هيرش عن مصدر لم يذكره عدم استبعاده حدوث حركة عصيان في صفوف القوات الأوكرانية وكتب في هذا الصدد : "الحقيقة أنه لو تلقّى الجيش الاوكراني أوامر باستئناف الهجوم المضاد لعصاها... فقد بات الجنود يرفضون الموت وهذا شيء يتناقض مع سخافات إدارة بايدن".

ولا فرصة للانتصار

وواصل هيرش : "نالت سلسلة الإخفاقات التي مُنيت بها القوات الأوكرانية من معنوياتها خصوصا بعد فشلها على كل الجبهات في اختراق خطوط التحصينات الروسية وباتت لا تملك أية فرصة لتحقيق النصر. ويرى عدد هام من وكالات المخابرات الامريكية اعتمادا على تقارير واردة عليها من جبهات القتال أن الجيش الأوكراني تراجع عن فكرة محاولة اقتحام خطوط التحصينات الروسية وحقول الألغام المزروعة حولها. والحقيقة انه لم تعد أمام وحدات جيش الرئيس زيلنسكي التي تلقت ضربات قاصمة أية فرصة لتحقيق الانتصار. وبعد متابعته طيلة 3 أشهر محاولات كييف اختراق خطوط الدفاع الروسية أعلن الرئيس بوتين يوم 4 سبتمبر الماضي ان الهجوم المضاد الأوكراني فشل. ويوم 12 سبتمبر أكد حاكم الكرملين أن خسائر القوات الأوكرانية في الأرواح لا تقل عن 71000 قتيل معتبرا أن كييف "ترسل جنودها ومتطوّعيها للموت وكأنهم ليسوا من مواطنيها".

صفعة لفون دير لاين

موقع "الشبكة العالمية" نقل تغريدة للنائبة الأوروبية Clare Daly ردّت فيها على ما جاء على لسان "رئيسة الاتحاد الأوروبي غير المنتخبة" أورسولا فون دير لاين مؤكدة أن "موقف الأخيرة لا يمثل البتّة صوت الاتحاد الأوروبي الحقيقي في ما يتعلق بمقاربته السلمية على مستوى السياسة الخارجية".

فون دير لاين كانت قد نشرت قبل ذلك تغريدة على موقع X جاء فيها : "اليوم (يوم السبت 7 أكتوبر الجاري) ضرب ارهابيو "حماس" في قلب إسرائيل وأسروا وقتلوا نساء واطفالا أبرياء. من حق إسرائيل الدفاع عن نفسها – اليوم وفي قادم الأيام – والاتحاد الأوروبي يقف الى جانب إسرائيل".

النائبة Clare Daly فقد ردت على فون دير لاين وكتبت : "من تظنين نفسك؟ انت لست منتخبة بل أسقطوك في المنصب الذي أنت فيه وليست لك أية سلطة لتحديد سياسة الاتحاد الأوروبي الخارجية التي يحددها مجلسه. ان أوروبا لا تصطف الى جانب إسرائيل، نحن ندافع عن السلم ولا يحق لك التكلم باسمنا واذا لم يكن لديك شيء إيجابي لقوله، وليس هذا حالك مثلما هو واضح فما عليك إلاّ ملازمة الصمت".

قوة لحفظ السلام ؟

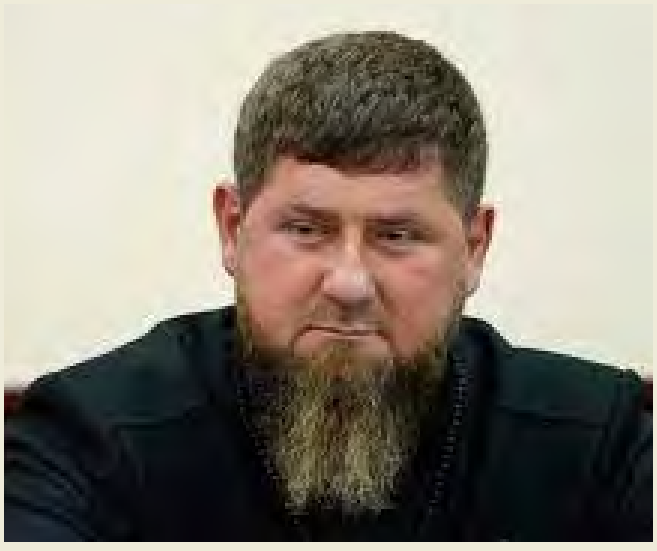

رمضان قديروف رئيس جمهورية الشيشان عبر عن مساندته الصريحة للشعب الفلسطيني واقترح ارسال وحدات من بلاده لتحلّ كقوة لحفظ السلام بين الإسرائيليين وفصائل المقاومة الفلسطينية.

قديروف دعا في نداء نشره على قناة "تلغرام" المجموعة الدولية للتوافق على قرار عاجل بخصوص النزاع الدائر بين المقاومة والجيش الإسرائيلي.

ودعا الرجل قادة الدول الإسلامية لتشكيل حلف

يحاول اقناع أوروبا والغرب بالكف عن قصف المدنيين الفلسطينيين بذريعة مقاومة الإرهاب متابعا : "نساند الشعب الفلسطيني ونعارض هذه الحرب التي يمكن أن تتطور الى نزاع أوسع".

تخطيط

كشف سيرغي ناريشكين مدير المخابرات الروسية الخارجية أن لدى مصالح ادارته معلومات عن وجود مساع بين دول غربية ومنظمات إرهابية بافريقيا للتخطيط لهجمات في دولتي مالي وافريقيا الوسطى.

وقال ناريشكين خلال اجتماع مجلس مدراء مخابرات مجموعة الدول المستقلة المنعقد من 10 الى 12 أكتوبر الجاري : "خلال الأشهر الماضية تحوّلت القارة الافريقية الى محلّ اهتمام خاص من طرف الولايات المتحدة وحلفائها (...) لدينا معلومات موثوق فيها بأن عدة مخابرات غربية تعمل مع مجموعات إرهابية وتحثها على شن هجمات إرهابية وتنفيذ عمليات تخريب تستهدف بنى تحتية ومقرات رسمية بمالي وافريقيا الوسطى".

وحسب ناريشكين "تنظر الدول الغربية بحيرة لتطلعات الدول الافريقية المتزايدة الى سياسة مستقلة وتنويع اتصالاتها الدولية وشراكاتها واندماجها الإقليمي" وان الولايات المتحدة خسرت العديد من مناطق نفوذها في عدة دول بالعالم وتبحث عن "إعادة عالم القطب الواحد".

إدانة

ريشار واغمان، الرئيس الشرفي للاتحاد اليهودي الفرنسي للسلام أدان انحياز الرئاسة والحكومة الفرنسيتين الأعمى لإسرائيل في المواجهة التي تخوضها مع المقاومة الفلسطينية بقطاع غزة.

واغمان اعتبر في تصريح لوكالة "أناضول" التركية أن العالم منقسم الى معسكرين بخصوص الصراع العربي-الإسرائيلي قائلا : "هناك الآن معسكرين على مستوى العالم... هناك الغرب ثم بقية الدول وفي الغرب أي في الاتحاد الأوروبي وأمريكا الشمالية الجميع مصطفون وراء إسرائيل" مستنكرا ما أسماه "تضامن السفارات الغربية مع طرف واحد

هو إسرائيل وغياب أي تضامن مع الفلسطينيين".

وتابع : "يقولون انه على إسرائيل الدفاع عن نفسها ولم ينبسوا بكلمة عن حق الفلسطينيين في الدفاع عن أنفسهم وعن حقهم وأمنهم وحقوقهم الوطنية ونحن لسنا متضامنين مع الضحايا الإسرائيليين فحسب وإنما متضامنين أيضا مع الضحايا الفلسطينيين".

"سي.ان.ان" تعتذر

شبكة "سي.ان.ان" الامريكية اعتذرت في المباشر عن "إذاعة حكاية خاطئة حول قيام مقاتلي حركة "حماس" بقطع رؤوس رضع يهود".

فقد خرجت يوم 12 أكتوبر الجاري الصحفية Sarah Sidner لتشير على المباشر الى معلومة كان رئيس الوزراء الإسرائيلي قد ذكرها قبل ذلك ملاحظة أنه لم يتم تأكيد المعلومة التي ساقها نتنياهو من طرف السلطات الإسرائيلية إضافة الى تصريح مصادر إسرائيلية انها لا تملك دليلا واحدا عن "المجزرة التي تحدث عنها نتنياهو".

ولمزيد تدارك خطئها كتبت Sarah Sidner على حسابها بمنصة X (تويتر سابقا) : "يوم أمس بينما كنا ننقل على المباشر الأحداث، أعلن مكتب نتنياهو تأكيده قيام "حماس" بقطع رؤوس أطفال يهود لكن السلطات الإسرائيلية ذكرت اليوم أنه لا يمكنها تأكيد المعلومات التي وردت من مكتب نتنياهو حول قطع رؤوس أطفال.

عليّ مستقبلا التحلّي بمزيد من الحذر خلال عملي وأقدم اعتذاراتي".

وكان موقع Grayzone الأمريكي قد ذكر أن الموقع الإسرائيلي i24 هو أول من اذاع الخبر الكاذب نقلا عن رئيس المجلس الجهوي بمستوطنة شومرون وعن نائب قائد الوحدة 71 للجيش الإسرائيلي دافان بن زيون.

وأضاف الموقع أن نتنياهو حرص على ترويج الخبر وأن الرئيس الامريكية جو بايدن نسج على منواله وقال : "هناك تقارير تتحدث عن ذبح رضع لأنهم يهود".

يذكر أن شبكة "سي.أن.أن" من أولى وسائل الاعلام الغربية التي تناقلت خبر "المذبحة" ونقل مراسلها Nic Robertson عن مصادر عسكرية إسرائيلية قولها أن مناضلين تابعين لـ "حماس" ارتكبوا اعدامات على طريقة "داعش" وانه تم خلالها "قطع رؤوس الناس بما ذلك أطفال وحيوانات أليفة".

أما نتنياهو فقد وصلت به الوقاحة الى درجة انه كرّر اكذوبته يوم الخميس الماضي 12 أكتوبر الجاري أمام وزير الخارجية الامريكية أنتوني بلينكن الذي زار إسرائيل في اطار جولة بعد نشوب القتال بين "حماس" والجيش الاسرئيلي.

الشارع الثقافي

العدد 378 - من الثلاثاء 17 إلى الاثنين 23 أكتوبر 2023 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

المثقفون التونسيون يتفاعلون مع «طوفان الأقصى»

«المقاومة فكرة خذلها الإنتهازيون»

وقفة

«طوفان الأقصى» أو معضلة الدلالات

بقلم :
لطفي عيسى

وقفة

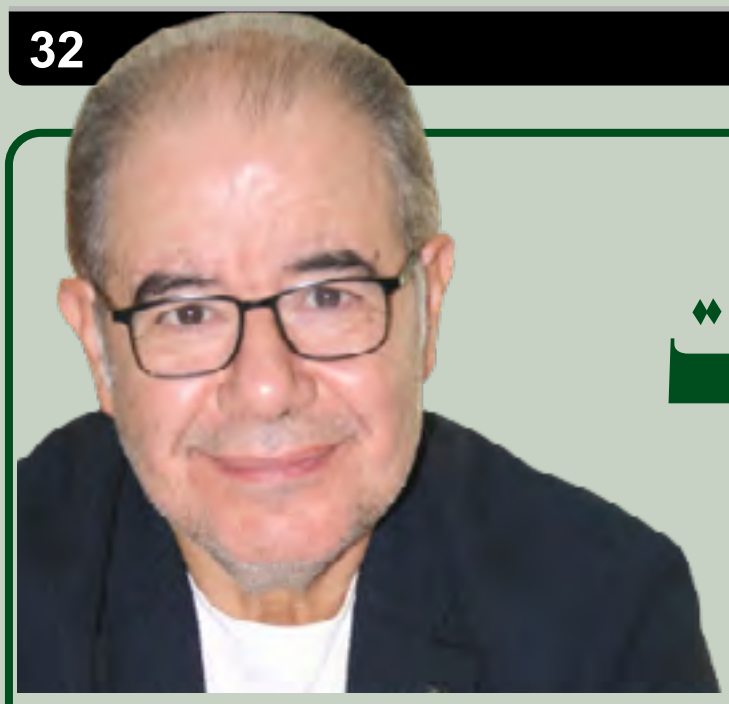

«طوفان الأقصى» أو معضلة الدلالات

لطفي عيسى
أستاذ التاريخ الثقافي بجامعة تونس

لا حديث هذه الأيام إلا على عودة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي على سطح الاحداث واستئثاره باهتمام الراي العام شرقا وغربا. فقد كبّدت العمليات الأخيرة لمنظمة حماس الماسكة بزمام الأمور بقطاع غزة والمصنّفة منظمة إرهابية، نظام الاحتلال العنصري للدولة الدينية الإسرائيلية خسائر فادحة ومذلّة، دفعتها إلى توعد القطاع وسكانه بعقاب جماعي واجتياح بري كامل لا يبقي ولا يذر.

ولا يمكن فهم ما حصل دون رده إلى اختلال موازين القوى منذ عشريات مديدة وتعمد الاستعمار الصهيوني انتهاج سياسة التعالي، والانكار، والتضييق على السكان وتضخيم النزاعات بين الفصائل السياسية للمقاومة، وتدجين السلطة الفلسطينية بالضفة الغربية، وتحويلها إلى واجهة كرتونية فاقدة لمقومات الشرعية، والضغط على منافسيها بالداخل، وجرّ الجميع عنوة إلى مربع العشوائية، والسريّة والسقوط في حبال الإرهاب والسلفية.

وهو ما ألقى بظلاله على تصوّرات العارفين بتفاصيل هذا الملف والخائضين في طبيعة ما ستؤول إليه الأحداث عاجلا أو آجلا، تفاديا للوقوع في شطط الخطابات التحريضية التي تؤثث - ومع بالغ الأسف - السجال الدائر حاليا، وتدفع باتجاه تأبيد تصوّرات التحشيد المنحازة التي تعيد انتاج نفس الشعارات، حتى وإن ران عليها الزمان لدى الطرفين المتصارعين، وكذا لدى جميع من يقف في صف كل واحد منهما أو يتشيّع له تأييدا ومناصرة.

لم ينطلق مسلسل الرعب عبر هذا الاختراق النوعي الذي أفاقت عليه إسرائيل مذعورة واصطفّ ورائها الغرب مواسيا مستنكرا، فقد حصد هذا الاختراق أرواح الآلاف من الضحايا من بين المستوطنين، وردّت عليه الألة العسكرية الإسرائيلية بشراسة مستلحمة تحت وطأة الحنق والتشفي أعدادا أكبر من مدنيي القطاع ومقاوميه. والبيّن أن تمادي حكومة اليمين الاسرائيلية الحاكمة في سياستها المتصلبة العاملة على فسخ الحقيقة الفلسطينية جغرافيا وتاريخيا، هو الذي كان وراء الارتفاع غير المسبوق لمنسوب الاحتقان، بعد أن تعرضت غزة إلى أكثر من خمس اجتياحات متعاقبة منذ سنة 2006 أدى مجملها إلى حصد أرواح ما لا يقل عن 7000 ضحية، وبعد مراوحة المقاومة أيضا بين مختلف أساليب النضال السلمية والعنيفة، من دون أن يقيم المجتمع الدولي لذلك أي اعتبار أو يحرّك لذلك ساكنا. الشيء الذي افضى في الأخير وكما هو متوقع إلى حصول الكارثة، سيما وقد أمعنت قوات الجيش والمستوطنين الإسرائيليين في اذلال الفلسطينيين وسلب مقومات كرامتهم والاسراف في التهور العبثي واعتماد سياسة الانكار وتحريك الضغائن.

ولعل ما ينبغي الاحتفاظ به إذا ما رُمنا تجاوز دفوعات كلا الطرفين ورغبتهما التي لا تكلّ في تأثيم بعضهما البعض، هو الإفصاح عن حقيقة ما حصل، وعن طبيعة دلالته بوجه الدقة. فقد بدا لنا منزع الفلسطينيين ومن ورائهم آلة الدعاية الشيعية لربط ما حصل باستعارات مقدسة: «الطوفان و»الأقصى»، واضح من حيث اتصاله بالمعجم القرآني وابتعاده عن التصورات التقليدية المتعارفة المتصلة بالوطنية أو اليسارية التقدمية، تلك التي انتهى فصلها بالكامل. في حين يبدو إصرار الغرب من ناحيته على ربط دلالة ذلك بشكل معلن ومتسرّع أيضا بـ «جريمة الحرب ضد المدنيين»، أو اعتباره «عملا إرهابيا» بمقتضى التصنيف الذي ارتضاه ميزان قوى المجتمع الدولي، متناقضا بالكامل مع اعتبار الأطراف الـمُنحازة لحماس ما حصل: «انتصارا تاريخيا باهرا للمقاومة الفلسطينية»، لم تنجح في تحقيقه كل حروب العرب ضد الكيان الصهيوني، منذ إعلان دولة الاحتلال سنة 1948.

غير أن الأهم في جميع ذلك هو عودة القضية الفلسطينية إلى دائرة الضوء، بعد أن كاد أمرها أن يتحوّل إلى أثر بعد عين. كما أن استفاقة الغرب على أن منطق الاكراه وفرض حقيقة الواقع على الأرض والهروب إلى الأمام والمكابرة، لا يمكن أن يحجب تورّط الجميع في فخ المناكفة والإصرار على الكذب والمغالطة.

فما الذي يمكن أن تُنتجه دلاليا تسمية: «جريمة الحرب» والحال أن زعيم اليمين الإسرائيلي نتانياهو يباشر في اللحظة والآن عقاب الإبادة الجماعية، تحت أنظار رأي عام غربي يعتبر أن ما يأتيه حُكّام إسرائيل تصرف قانوني وشرعي يندرج ضمن خانة الدفاع من النفس ضد منظمة مارقة دوليا، لم يتوان المنتظم الأممي على تصنيفها تجمعا إرهابيا خطيرا على الإنسانية؟ ثم ما دلالة الإرهاب نفسه حالـما نعمد إلى تكييفه على المقاس والتعمية تبعا لذلك على موقع الظالم قياسا لوضعية المظلوم؟

فقدان الدلالة هو الشرعة/ أو القانون الوحيد لمجتمعات الأشخاص القانعة بسياسات غلاة اليمين وبخطابات تحريض دعاة التطرّف والشعبوية شرقا وغربا، وتلك حقيقية الحقائق فيما تعيش البشرية على وقعه حاضرا. فقد استباح السلوك النمطي للجماعة كونيا حرية الأفراد، وترك العقل مكانه لانتقام الوجدان المعذّب، وتم تقديم الرفاه والكرامة قربانا على مذبح عودة القرون الوسطى من وراء حجاب، مع التهليل عبثيا لمختلف الأساليب اللاأخلاقية في استغلال رخيص فرص الاستثمار بالتعويل على الحيلة وعدم الإنصاف، وتبديد مقدّرات الشعوب، والاسراف في مديح المرونة، وادعاء التمسّك بحوكمة التصرف في الموارد البشرية قصد طحن الفقراء وتطوير أساليب الاستعباد والتلاعب بمستقبل البشرية.

ما من شك في أن التصوّرات السلفية الجهادية قد تمكنت ولاريب من الاتيان على ما تبقى من بريق الحضارة العربية الإسلامية وثقافها النيّرة، وتلك حقيقة ثبت تورّط الغرب في حصولها منذ نهاية القرن الماضي، وتوظيف جميع أشكال الدسائس لاستغلال تبعاتها الكارثية. بيد أن ما يحصل أمام أعين الجميع بعد خروج المطوّقين عن قيدهم بغزة، لا يعدو أن يكون سوى وقوع الحافر على الحافر، بعد أن تم اغتيال جميع الدلالات بدم بارد، والاسراف عنتا في تصفية أمة بأكملها، وذلك بدعوى الافلات من رذيلة التأثيم مجددا عبر ارتكاب ما هو أنكد وأشنع من المحرقة نفسها.

فبمجرد تعافي العالم نسبيا من تبعات جائحة بداية عشرينات القرن الجديد، وصراع الأقطاب حول الاستئثار بمقدرات جنوب غربي آسيا، تحت ذريعة الدفاع عن الديمقراطية بأوكرانيا أو استعادة الوطن المنهوب وفقا للمنطق الروسي، استفاق العالم من جديد على انقلاب جذري في المعادلة الكونية، ليس من السهل القفز عليه أو تخطّيه بنفس الأساليب المعتمَدة سابقا، فكل مكابرة أو إصرار على تشغل أساليب خلط الأوراق وتزييف الدلالات، لن تجني منه الإنسانية إلا مزيدا من الغوغائية واللعب على غموض المفردات والنفخ في الاضغان المستبطنة عميقا، العائدة من مجاهل التاريخ والمندسة بدهاء في تلافيف الذاكرة الجمعية، والدفع تبعا لذلك نحو المجهول.

مثقفون تونسيون يتفاعلون مع «طوفان الأقصى»
«المقاومة فكرة خذلها الإنتهازيون»

عواطف البلدي

مثّلت القضايا الإنسانية الكبرى دوما عبر التاريخ مثار اهتمام المثقف وقضية التزام لديه. ولعل التاريخ يذكر اسماء مثل سارتر أو فانون أو همنغواي أو غارسيا لوركا أو غيفارا الذين وقفوا إلى جانب قضايا إنسانية عادلة وإن لم تكن تخص ثقافتهم. فكان تشبثهم بالإنساني المطلق ورفضوا الصمت وجعلوا انفسهم في طليعة المدافعين عن حق الشعوب في الحرية والأمن والاستقلال وتقرير المصير. يحضر كل هذا في الأذهان ونحن نرى ما يجري هذه الأيام في غزة ونبحث عن دور المثقف عندنا فنجد تراشقا بالتهم على صفحات التواصل الاجتماعي بين المثقفين واتهاما لبعضهم البعض بالصمت والتواطؤ والتهرب من اتخاذ موقف. وهو ما رأيناه مثلا على صفحة الدكتور محمد الحداد في هجومه على الدكتورة ألفة يوسف. كما لاحظنا صمتا مطبقا لدى البعض تهربا من اتخاذ موقف وهو ما دعانا إلى طرح سؤال دور المثقف بين الإصداع بالرأي والصمت امام هذه القضايا الإنسانية الكبرى «الشارع الثقافي» حاول طرح السؤال على عدد كبير من المثقفين فتراوحت اجاباتهم بين التفاعل والاكتفاء بقراءة السؤال وبطلب الاعفاء من المشاركة في ملف اليوم...

مع بداية «طوفان الاقصى» أثار صمت بعض المثقفين التونسيين نقاط استفهام أدت الى تساؤل عدد من المثقفين الداعمين للقضية الفلسطينية حول أسباب تراوح مواقف اولائك بين التردد والصمت والتغاضي او الاستفزاز مثلما ورد بتدوينة الدكتورة ألفة يوسف التي اثارت جملة من الانتقادات والاتهامات من قبل الداعمين للقضية الفلسطينية». وقد ضمّنت يوسف في تدوينتها موقفها مما يحدث في فلسطين كالآتي: «أنا لا أسعد أبدا لمشاهد القتل والدّمار، مهما تكن سياقاتها... أذكر 11 سبتمبر 2001، كنت حينها غرّة مغفّلة...فرحت لمقتل ناس لا أعرفهم، لمجرّد وهم مفاده أنّهم «عدوّ» أو «آخر» أو «مختلف»... وأرجو أن يغفر الله لي هذا...وأحمده على أن فتح بصيرتي على أمر بسيط: الأصل في القتل أنّه أكبر محرّم...والقتل يكون للضّرورة الدّفاعيّة القصوى، ويكون للقاتل أو القتلة فقط...في ما عدا ذلك إجرام يردّ على إجرام يردّ على إجرام يردّ على إجرام...في دائرة عنف لا تنتهي... كم أكره الدّماء...وكم أعشق هابيل... لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إنّي أخاف الله ربّ العالمين...».

الدكتور محمد الحداد المختص في الدراسات الحضارية

لا يجوز توظيف الدين في هذا الموضوع لأن الاستشهاد بآية هابيل سيقابله الاستشهاد بآيات القتال والاستشهاد بالقرآن سيقابله الاستشهاد بالتوراة

لاقت تدوينة د. ألفة يوسف انتقادا واسعا من نشطاء فايسبوك وأيضا من مثقفي تونس على غرار الدكتور محمد الحداد المختص في الدراسات الحضارية الذي قال: «صدمتني هذه التدوينة التي سبقت بأربع وعشرين ساعة خطاب ناتنياهو الذي شبّه فيه عملية طوفان الأقصى بتفجيرات 11 سبتمبر 2001. تفجيرات مانهاتن كانت إرهابية بامتياز لأن الوجود الأمريكي على الأراضي السعودية كان بطلب رسمي من سلطاتها. أما الأحداث الحالية فهي عمل مقاومة لأن الأراضي الفلسطينية في وضع احتلال».

وتساءل الحداد قائلا «كيف يمكن للهثان وراء

«البوز» أن يبلغ بصاحبه هذه الدرجة من التنكّر للمبادئ ومن السفسطة؟ ثم لا يجوز توظيف الدين في هذا الموضوع لأن الاستشهاد بآية هابيل سيقابله الاستشهاد بآيات القتال والاستشهاد بالقرآن سيقابله الاستشهاد بالتوراة وهذا يخرج بالصراع عن طبيعته باعتباره صراعا جيوستراتيجيا. لقد ساندنا دائما القضية الفلسطينية التي شهدت في كل عهودها تناحرا داخليا بين الفصائل والتنظيمات

لكن مساندتنا كانت للقضية وليس لهذا الفصيل أو ذاك. هذه القضية كانت في طريقها الى التصفية، ومنذ صعود حكومة نتانياهو ووزيره المجنون المكلّف بالأمن تم تسليح المستوطنين في ما يدعى بغلاف غزة الذي هو في الحقيقة أراض افتكت من أصحابها لبناء المستوطنات، وكل يوم كان يموت أطفال ومدنيون فلسطينيون وسط صمت عالمي رهيب. كان من المتوقع حصول ردة فعل قوية تعيد خلط الأوراق من جديد».

ولفت الى أن «دور المثقف محاولة توعية الرأي العام بهذا الوضع المعقّد كي لا يسقط ضحية للمغالطة وليس المشاركة في المغالطة. هل كان على تونس أن تقبل الاستعمار كي لا يسقط قتلى؟ وهل نمنع على غيرنا ما نحلّه لأنفسنا؟».

لم يكن الحداد وحده الذي علّق تدوينة الدكتورة يوسف بل أيضا المثقف الشاب ناظم بن إبراهيم الذي لم يدّخر جهدا في انتقاد تدوينة الفة يوسف وغيرها من المثقفين اللذين لم تظهر مواقفهم في ظل ما يدور بقطاع غزة. فقد ذكر بن إبراهيم في اكثر من تدوينة كل من الكاتب شكري المبخوت والشاعر المنصف الوهايبي والكاتب كمال الرياحي وغيرهم.. «الشارع الثقافي» توجّه بدوره بالسؤال الى عدد كبير من المثقفين الا ان البعض منهم اكتفوا بطلب اعفائهم من المشاركة على غرار د. رجاء بن سلامة والدكتور حمادي بن جاء بالله ود. الفة يوسف التي قالت لنا في ردها «ليس لي ما أقول في هذا الموضوع مع رجائي بأن تعود الحقوق الى أصحابها ويعم السلام بعد ذلك...». في حين قال الدكتور فتحي التريكي «أفضّل ان اكتب عندما تهدأ الحرب مقالا مطولا، مع العلم انني اساند القضية الفلسطينية مساندة مطلقة». أما الكاتب شكري المبخوت وعميد كلية سوسة الدكتور كمال جرفال وعميد كلية 9 افريل الدكتور عبد الحميد فنينة وغيرهم فقد اكتفوا بقراءة السؤال وعدم التفاعل... بينما استجاب البقية ممن تواصلنا معهم وهم كالأتي:

الاكاديمي والكاتب عبيد الخليفي :
المثقف التونسي ثمرة فاسدة لرؤية فارغة، صورة منبوذة من الشعب، مدانة في انتهازيتها وعجزها ومحدودية تأثيرها وفعلها

«الشجاعة كسبٌ والخوف فِطرة، والجبن اختيار بائس لحياة ناعمة»، هكذا أرى المثقف التونسي، بل يجب أن نتساءل عن وجود هذا المثقف العضوي من عدمه، هناك الموظف الذي يرتدي لبوس المثقف، ذاك المثقف الذي لم يكن طليعة المقاومة في زمن الإستبداد ففشلت الثورة لأنها لم تجد أرضية معرفية وثقافية من صنع مثقفين عضويين، كانوا دوما في ركاب السلطة والحكام..

يهتز العالم العربي والإسلامي اليوم مع لحظة مقاومة بعنوان «طوفان الأقصى»، لكن للمثقف التونسي حساباته الإقليمية والدولية في تحصيل المعاش وتحسين الهندام.. لأن فعل المقاومة الثقافية لها تكلفة باهظة في الموقف والتاريخ..

أغلب المثقفين التونسيين لهم القدرة العجيبة على التخفي والاختباء، ولهم المهارة في تحصيل الفرص والغنيمة، وتحت عنوان الحياد الجبان يتلونون حسب أهواء الحكام والمؤسسات الغنيمة..

المثقف هو ضمير الأمة، وهم بلا ضمائر في أوطانهم ولا في القضايا الإنسانية، وحسبهم أن كتابا سيخلدهم في التاريخ، لكن التاريخ الحقيقي هو ضمير الإنسانية الذي يحفظ أسماء المثقفين الذين انتصروا لقضايا شعوبهم وزينوا طموحاتهم بتوجيهاتهم وكلماتهم..

المثقف التونسي هو ثمرة فاسدة لرؤية فارغة، صورة منبوذة من الشعب، مدانة في انتهازيتها وعجزها ومحدودية تأثيرها وفعلها..

المقاومة سلاح وفكرة، تحرك السلاح عديد المناسبات، لكن الفكرة خذلها المثقفون الإنتهازيون في جميع المناسبات..

الاكاديمية د. زهية جويرو :
لا أعتبر مثقفا من لا يلتزم بشرط الانتصار لقضايا الحق والحرية والانتصار للقضية الفلسطينية هو الشرط للتمييز بين المثقف العربي الحقيقي والزائف

لا يُنتظر عادة من المثقف بحكم وضعه وموقعه وأدواته إلا أن يرفع صوته ويوظف قلمه في خدمة قضايا الحق والحرية، والانتصار لهذه القضايا هو شرط المثقف، لذلك أنا لا أعتبر مثقفا من لا يلتزم بهذا الشرط، قد يكون متعلما أو باحثا أو جامعيا أو موظفا أو «بائع مواقف» ولكنه ليس مثقفا ، والانتصار للقضية الفلسطينية هو الشرط للتمييز بين المثقف العربي الحقيقي والزائف. فهذه القضية لا تحتاج إلى بحث كثير ولا إلى شهادات عليا حتى نعرف حقيقتها، إنها تبسط أما نظر العالم يوميا شواهد على أنها القضية التي تختبر الضمير الإنساني الحر، فتشريد شعب كامل من أرضه التاريخية التي عاش عليها قرونا طويلة بمسوغات أسطورية تخلط خلطا فاضحا بين التاريخ والأسطورة، ومصادرة كل حقوق من تمسك منهم بالبقاء في أرضه، وفرض الفصل العنصري والحصار الذي لم يعرف له مثيل على مدن يعيش فيها الملايين بدعوى تأمين المستوطنين الذين استولوا على أراضي الفلسطينيين وتقتيل كل نفس تحرري وإنزال أشد وأفظع أنواع العقاب الجماعي بالمدنيين العزل القابعين في بيوتهم في ظروف لاإنسانية وغير هذا من الممارسات الإجرامية، ألا يكفي كل هذا وغيره مما نراه يوميا وليس زمن الحرب فقط حتى يكون للمثقف الموقف والدور المنتظرين منه؟ إن الخلط بين الجلاد والضحية بدعاوى الوقوف مع المدنيين بصرف النظر عن جنسيتهم جريمة سيتحمل مقترفها وزرها، فهل المستوطنون الذين يوقعون بالفلسطينيين يوميا نفس ما يوقعه بهم جيشهم من الجرائم متساوون في الوضع مع الفلسطيني الذي يقتّل يوميا طفلا كان أو مدنيا أو مقاوما؟.

لقد ابتكر المثقفون الأحرار في العالم طرقا وأساليب لنصرة القضية الفلسطينية أقلها حركة المقاطعة العالمية ورفع الصوت المجرّم للكيان المحتل والتوجه إلى الرأي العام العالمي لتوصيل الصوت الفلسطيني المقاوم، أما نسبة لا بأس بها من «المثقفين» الزائفين العرب فإنهم يتعللون بأن الأنظمة العربية في مجملها إما متواطئة مطبعة أو خاضعة صامتة تحاصر شعوبها وتمنعها عن التعبير الحر والفعلي عن مساندة وإسناد المطالبين بحريتهم وبحقهم في الحياة في فلسطين، هذه التعلات لا تعفي المثقف من المسؤولية، فالأنظمة الغربية هي الأخرى متواطئة ومتورطة فعليا ومساندة بكل الطرق للصهيونية المجرمة ورغم ذلك يبتكر المثقف الحر ما يمكنه من ممارسة مسؤوليته، بينما ما يزال الكثير من «المثقفين» الزائفين العرب يثيرون من اللغط وينشرون من المواقف المشككة حول عمل المقاومة ما يثبط العزائم، هؤلاء سيحاسبهم التاريخ وسينزل بهم من الهوان ما يجعل منهم عبرة لكل متخاذل، إذ لا شك أن الهوان والمذلة مآل كل من يصمت على الجرائم التي تقترف الآن في فلسطين على مرأى ومسمع من الجميع وكل من يشكك في جدوى المقاومة وفي مصداقيتها.

بعيدا عن التعميم هناك الكثير من المثقفين العرب الذين جندوا أقلامهم ورفعوا أصواتهم نصرة للحق الفلسطيني في المقاومة دفاعا عن أرضه وعن شعبه، والمعركة المسلحة التي تدور في غزة توازيها معركة إعلامية تدور في كل وسائل الإعلام وحوامله، والرأي العام العالمي والمنظمات الأممية هي هدف هذه المعركة، فأن نكون في مستوى ما يمليه الضمير الحر والمبادئ الإنسانية وأن نعلي الصوت بالحق وأن نجند أقلامنا للتوضيح والتصحيح والإقناع بعدالة القضية وبحق الفلسطيني في أن يقاوم أبشع استعمار استيطاني مازال قائما على الأرض وأفظع نظام عنصري مجرم هو أضعف الإيمان وأقل ما هو مطلوب من المثقف العربي الحر الآن وفي كل مكان

وزير الثقافة الأسبق
عبد الرؤوف الباسطي
بعض الأصوات لم تعد تجد لها حيزا اليوم بين زحمة المؤيدين للموقف الرسمي تأييدا استعراضيا لا يخلو من بعض الإنتهازية أو الساعين إلى المزايدة عليه لإعادة التموقع في مشهد سياسي طغت عليه الشعبوية

في البدء أقول إن في تساؤلك تعميما لا يخلو من بعض الإجحاف في حق العديد من مثقفينا. فكثيرون هم الذين كانت لهم مواقف مبدئية مشرفة في شأن

القضية منذ عقود وقبل طوفان الأقصى. وكانت بعض هذه المواقف غير مرضي عنها وصدعوا بها رغم المضايقات.

على أن ما قد يبرر الانطباع الذي أفرز تساؤلك أن بعض الأصوات لم تعد تجد لها حيزا في وسائل الاتصال الجماهيري اليوم بين زحمة المؤيدين للموقف الرسمي تأييدا استعراضيا لا يخلو من بعض الإنتهازية أو الساعين إلى المزايدة عليه لإعادة التموقع في مشهد سياسي طغت عليه الشعبوية.

ثم إن بعض مثقفينا قد فاجأهم طوفان الأقصى رغم إيمانهم الراسخ بأهمية الدور الحيوي الذي تضطلع به المقاومة في إخراج « قضيتنا المركزية العادلة» من متاهات الدبلوماسية العاقرة.

بعض مثقفينا فاجأهم منعطف 7 أكتوبر ولا يزالوا يجهدون في إعادة ترتيب أولوياتهم وتمثّل سبل ترميم منظومة القيم التي قامت عليها دولة الاستقلال والتي انهارت خلال عشرية الفوضى القيمية والفكرية التي جعلت مفكرا محترما يتحدث عن ثقافة تنتج اللامعنى.

بعض الأصوات التقدمية الشابة أربكها بل أذهلها موقف الغرب «المتحضر» من المقاومة ومما يحدث في غزة من مجازر مروعة وجرائم ضد الإنسانية ،هذا الغرب الذي كان يمثل مرجعا بالنسبة إلى العديد من المثقفين الذين كانوا يستنجدون بدعمه في نضالهم ضد الأنظمة التسلطية، هذا الغرب الذي كان يقدم نفسه راعيا لقيم الحرية واحترام حقوق الإنسان وداعما لقوى التحرر والذي يسوي اليوم بين الجلاد والضحية ويساند النازية الصهيونية.

أظن أن المثقف الوطني مطالب اليوم بإعادة تمثل عناصر الفوضى القيمية التي تشهدها الإنسانية في هذا المنعرج الخطير الذي قد يفضي إلى مزيد من الفواجع في إقليمنا وإلى تشكل نظام كوني جديد.

محمد الشريف فرجاني :
كونية الإنسان وحقوقه لا تقبل التجزئة

مرة أخرى يأتي الانحياز المفضوح واللامشروط من طرف أمريكا وأوروبا لإسرائيل ليفضح زيف خطاب الدول الغربية حول الديمقراطية وحقوق الإنسان، فالتضامن مع ضحايا قذائف حماس وهجوم كتائبه في عملية «طوفان الأقصى» يقابله تواصل التجاهل المتواطئ لآلاف الأطفال والنساء والمدنيين من ضحايا الاحتلال الإسرائيلي منذ عشرات السنين. وفي حين تمنع مظاهرات التضامن مع الشعب الفلسطيني ويتهم كل المنتقدين للسياسات الإسرائيلية بمعاداة السامية، يسمح لغلاة الصهاينة المساندين للسياسة الاستعمارية العنصرية لدولة إسرائيل بالتظاهر بكل حرية وغض النظر عما يرفعونه من شعارات عنصرية تستهدف الفلسطينيين والعرب والمسلمين. وكأن الانتماء للإنسانية درجات وحقوق المنتمين إلى هذا الشعب أو ذاك أقل أو أرفع قيمة من حقوق المنتمين إلى شعوب أخرى، وكأن هناك عنصرية مقبولة وأخرى غير مقبولة. وبمثل هذا التعامل يقع التنكر لكونية حقوق الإنسان تماما كما كان الأمر في زمن العبودية والإمبراطوريات الاستعمارية، وقبل الإعلان العالمي عن حقوق الإنسان بعيد فضائع الحرب العالمية الثانية. وقد اعتمدت حركات التحرر من الاستعمار على هذا الإعلان للمطالبة بحق شعوبها في تقرير مصيرها، كما اعتمد السود في أمريكا وفي جنوب إفريقيا. على مبادئ هذا الإعلان لمقاومة العنصرية. وذلك ما يجب إتّباعه في مقاومة آخر شكل من أشكال الاستعمار العنصري الذي تمارسه دولة إسرائيل في الأراضي الفلسطينية بمساندة الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية التي مازالت تحن إلى ماضيها الاستعماري ولم تتخلص من نزعتها الاستعمارية تجاه شعوب الشرق الأوسط والشعوب الإفريقية والمستعمرات القديمة. ومما يسهل على إسرائيل والقوى الداعمة لها التمادي في انتهاك حقوق الشعب الفلسطيني والشعوب التي مازالت تعاني من شتى أنواع الاضطهاد، تهاون الدول العربية والأفريقية ودول الجنوب بحقوق شعوبها وانتهاكها لحقوق مواطنيها. فمن ينتهك حقوق شعبه لا يمكن التعويل عليه في مقاومة السياسات الاستعمارية وسياسات القوى التي ترسي هيمنتها باسم الديمقراطية وحقوق الإنسان التي لا تعترف بها لغير شعوبها. والتشبث بكونية حقوق الإنسان هو ما يمكنه أن يساعد على توسيع قاعدة المساندة لحقوق الشعب الفلسطيني وعلى كسب المزيد المناصرين لها.

المؤرخة د. حياة عمامو:
لا حلّ للفلسطينيّين سوى المقاومة واكتساب رأي عامّ يساند قضيّتهم يعتمدون فيه على المثقفين الملتزمين ووسائل الإعلام المؤمنة بالقضايا العادلة

من الخطأ اعتبار المثقّفين كتلة واحدة، فالمثقّفون وإن اشتركوا في الاهتمام بالشّأن العام، فإنّهم اختلفوا في اختيار القضايا التي يدافعون عنها. فمن بينهم من يختار الدّفاع عن كلّ ما هو سائد خشية التغيير، ومنهم من يأخذ على عاتقه مقاومة هذا السّائد لأنّه يؤبّد الظلم والهيمنة والتّمييز بين الشمال والجنوب وبين المهيمنين سياسيّا واقتصاديا واجتماعيّا والمضطهدين والفقراء والمهمّشين. وبسبب هذا الاختلاف في تقدير القضايا التي يدافع عنها المثقّفون، ارتأينا التّفريق بين مثقفي السّلطة والنّظام السّائد، والملتزمون بالدفاع عن قضايا الإنسانيّة العادلة.

ولتوضيح هذا الاختلاف بين المثقّفين سواء كانوا في تونس أو خارجها، نستعرض البعض من مواقفهم من الصراع العربي الصّهيوني، بين من يعتبر أنّ العمليّة التي شنّتها حركة حماس ذات الخلفيّة الدّينيّة على إسرائيل يوم 7 أكتوبر 2023، هي عمليّة «إرهابيّة» لأنها استهدفت الإسرائيليّين المدنيّين الأبرياء، خاصّة تحت تأثير التحريض السّياسي والإعلامي للقوى الغربيّة؛ ومن بينهم من يعتبرها حركة مقاومة لكيان استعماري استيطاني عنصري نشأ على خلفيّة دينيّة أيضا ومارس إرهاب الدّولة منذ 1948، عبر الاستيلاء على ممتلكات أصحاب الأرض، وتهجيرهم وارتكاب عشرات المجازر التي وصلت إلى حدّ الإبادة. ورغم عدم احترام الكيان الصهيوني لقرارات مجلس الأمن الدّولي العديدة، دخل الفلسطينيّون في مسار مفاوضات متقطعة منذ أسلو لم يجنوا منها سوى الحصار ومزيد التقتيل والتهجير وتوسيع الاستيطان. وهذا ما سبّب خفوت للقضيّة الفلسطينيّة في السّاحة الدّوليّة، ولذلك لم يبق لهم من حلّ سوى المقاومة المسلّحة حتّى وإن كان الثّمن في الخسائر البشريّة والبُنية التّحتيّة باهظا، لأنّ الفلسطينيّين حتّى بدون هذه المقاومة عاشوا الحصار، والتّجويع والقتل والتّهميش. لا حلّ للفلسطينيّين سوى المقاومة واكتساب رأي عامّ يساند قضيّتهم يعتمدون فيه على المثقفين الملتزمين ووسائل الإعلام المؤمنة بالقضايا العادلة.

المؤرخ عبد الجليل بوقرّة:
الحديث عن فلسطين لا يختلف عن الحديث عن الدّين إذ كما يكون المثقّف حذرا أثناء حديثه في المسائل الدّينيّة، نصّا وطقوسا، فهو بالدّرجة ذاتها حذرا عندما يتعلّق الأمر بالقضية الفلسطينية

علينا أوّلا توضيح مسألة أهمّ وهي هل أنّ القضية الفلسطينية هي قضية تحرير وطني أم هي استمرار للصّراع الدّيني القديم في منطقة الشّرق الأوسط الغارقة في الأساطير والسّرديات الدّينية؟

القضية الفلسطينية مقدّسة لدى عموم المسلمين، والسّردية الإسلامية حافلة بالحكايات حول القدس وحول اليهود والنبي موسى وباقي أنبياء بني إسرائيل. والحديث عن فلسطين لا يختلف عن الحديث عن الدّين إذ كما يكون المثقّف حذرا أثناء حديثه في المسائل الدّينيّة، نصّا وطقوسا، فهو بالدّرجة ذاتها حذرا عندما يتعلّق الأمر بالقضية الفلسطينية ويكون دائما أمام خيارين لا ثالث لهما: إمّا مجاراة الجمهور وكلّ ما في مواقفه من شحنات غريزية أو الصّمت.

قرأت أخيرا تدوينة لأحد الأصدقاء الكتّاب طلب فيها من كاتبة أن تلتزم الصّمت لأنّها عبّرت عن موقف مختلف مع ما هو سائد لدى الجمهور هذه الأيّام.

ما يؤكّد ارتباط القضية الفلسطينية بالدّين وشدّة قداستها لدى الجمهور هو مقارنتها بمكانة قضايا الاحتلال الأخرى مثل قضية لواء الإسكندرون السّوري الذي تحتلّه تركيا والجزر الإماراتية التي تحتلّها إيران وسبتة ومليلة المغربيتان وتحتلّهما إسبانيا، وهي كلّ مناطق لا يعلم عنها جمهور العرب والمسلمين شيئا بل الأغلب أنّه لا يعرفها ولم يسمع بها أصلا.

الاكاديمية المختصة في الفلسفة
د. أم الزين بن شيخة
مناصرة المقاومة الفلسطينية في نضالها ضد الكيان الغاصب المحتل موقف لا احسب أي مثقف حقيقي يتبرأ منه ومن يفعل فهو يخرج من مقولة المثقف ويبقى أكاديميا أو مهرجا

«في الحقيقة أنا لا أوافق على إدانة المثقفين بالتقصير دوما او بالصمت كلما حصل حدث كبير في بلادنا او في العالم. كما لو كان مفهوم المثقف تهمة لنا في كل مرة ...حينما نتكلم يحاسبنا الحاكم وحينما نصمت يحاسبنا الرأي العام.. وذلك لأن اتهام المثقفين جزء من خطاب شعبوي ينساق دوما وراء اتهام النخبة سياسية كانت او ثقافية ..من أجل أن يحتكر تحت راية الشعب الحياة السياسية.

ليس المثقف صفة جاهزة نطلقها بشكل عام على المتعلمين او حتى على المبدعين. بل هو مفهوم يولد من مواقف النخبة ومدى التزامها بمصاحبة ما يحدث لشعب ما.. فالمثقف تبعا لذلك هو من يناصر القضايا العادلة في العالم.. فهو صوت المظلومين وليس بوق دعاية وتجميل بواجهة أية سلطة حتى لو كانت الاهية.. وانطلاقا من هذا التعريف للمثقف نعتبر أن مناصرة المقاومة الفلسطينية في نضالها ضد الكيان الغاصب المحتل موقف لا احسب أي مثقف حقيقي يتبرأ منه ..ومن يفعل فهو يخرج من مقولة المثقف ويبقى أكاديميا أو مهرجا.. او متنكرا لمنطق التاريخ.. والتاريخ لا يحمي المغفلين والجبناء..

المختص في الحضارة العربية
الدكتور مراد الحاجي :
كثير من الأصوات تعالت أمام عمليات إرهابية وقعت في بلدان غربية ووضعت أعلامها ولم يجدوا حرجا في أن يقولوا «أنا شارلي» على سبيل المثال يغطون الآن في صمت عميق

قد يكون للصمت فضائل كثيرة كما يدعي بعضهم إلا أن هناك حالات يتحول فيها إلى رذيلة. فالصمت امام الظلم والدمار والموت مشاركة في الجريمة. ولعل رذائل الصمت تزداد إذا كان الصامت مثقفا يصمت لحسابات ضيقة انتهازية. وأمام ما يحدث اليوم في غزة من جرائم ضد الإنسانية واصطفاف لما كان يدعى زورا العالم الحر مع الجلاد ضد الضحية بل تبرير أعتى الجرائم التي تتفوق على المحارق يصبح الصمت موقفا متواطئا مع الجلاد. والغريب أن الكثير من الأصوات التي تعالت أمام عمليات إرهابية وقعت في بلدان غربية ووضعت أعلامها ولم يجدوا حرجا في أن يقولوا « أنا شارلي على سبيل المثال» يغطون الآن في صمت عميق مما يفهم منه أن مناصرة القضايا الإنسانية لديهم لا علاقة له بالمبدأ والقيم الكونية وإنما هي عملية مغازلة لجهات ما. إن الانتقائية في المواقف أمام الجرائم التي ترتكب في حق أطفال غزة والصمت عنها يجعلهم يشاركهم من يعتبرهم حيوانات بشرية. إن صمت المثقف في مثل هذه الحالة يد ممدودة للجلاد عونا على الضحية. وقد يجادل البعض بأن الكلام ثرثرة. فنقول لم ثرثرت في مواقف أخرى وقعت بعيدا عن غزة؟

الجامعية المختصة في الفلسفة
د.مديحة شرف الدين:
فلسطين: القضية العادلة التي لا تسقط بالتقادم

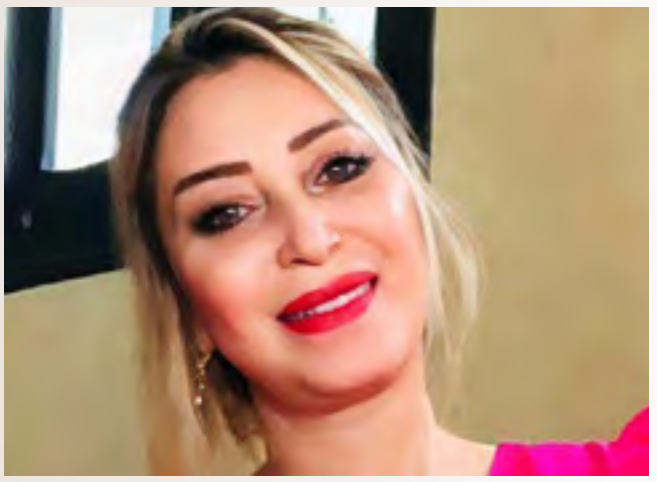

الامر لا يتعلق في فلسطين بالتحرر من مستعمر غاشم بل ان الأمر يتعلق بالبقاء ، فالكيان الصهيوني لا يمارس فقط العنف والتمييز العنصري بل انه مغتصب لأرض ليست أرضه ولوطن له أهله ، هدفه استئصال شعب من جذوره وتغييره بشعب تجمعه المعتقدات الدينية وتفرقه الجنسيات .

ما يحدث اليوم هو نتيجة حتمية لما عاشه الشعب الفلسطيني من ظلم وقهر وتهجير وقتل ومحاولات عديدة للابادة الجماعية، أولئك الأطفال الذين نشأوا محاطين بروائح دماء من استشهدوا دفاعا عن أراضيهم أصبحوا اليوم رجالا لا تهاب الموت بل يهللون للشهادة ويتمنونها

أمّا وقد استعمل الكيان الغاشم شتى أنواع القمع من قطع الماء ومنع لوصول المؤن ولأبسط مقومات العيش الكريم وحشد حوالي مليوني نسمة في ثلاثة مائة وستين كيلومترا مربع بكثافة سكانية تناهز ستة آلاف مواطن في الكليومترات المربع، فلم يعد أمام الفلسطينيين من خيار سوى التصعيد وافتكاك حقهم وأرضهم حاملين شعارا مفعما بمعاني الكرامة وعزة النفس، والحرية الكاملة، تلك التي تتوق اليها الإنسانية : فامّا حياة تسرّ الصديق وإمّا ممات يغيض العِدا .

عضو اتحاد الكتاب التونسيين
صلاح الدين لحمادي
كثير من مثقفينا وللأسف، نجدهم بعيدين كل البعد عن هذا الدور لعطب ما في الشخصية أو في الكفاءة لذلك لا نسمع لهم صوتا ولا نرى لهم حضورا هذه الأيام

ينبغي أولا تحديد، أو الاتفاق حول، مفهوم مصطلح «المثقف»، ولِمَ لا أيضا العمل باستمرار على تحيين هذا المفهوم وإعادة ضبط حدّه. ولكن مع ذلك هناك سمات قارة، ولا شك، يتميّز بها المثقف عن بقية أفراد المجتمع، ولعل أهمها سعة المعرفة وامتلاك أدوات للتحليل والاستنتاج، والقدرة على اتخاذ موقف ما من مسألة ما، والجرأة على الإصداع به، والكفاءة في الدفاع عن هذا الموقف. هل هذه السمات يتمتع بها من يُنعتون عادة بالمثقفين عندنا؟ لا شك في أن طيفا منهم يمتلك كل تلك الشروط الضرورية المشار إليها آنفا. غير أن ما يشين هؤلاء في هذه اللحظة التاريخية الراهنة هو بعض الصفات التي اكتسبوها، بفعل عديد العوامل، ومن بين تلك الصفات التردد والخوف والطمع والانتهازية. وهو ما عطّل بمرور الوقت اداءهم المنتظر منهم، وجعلهم عاجزين في كثير من الأحيان عن القيام بدورهم الذي يتمحور حول نقد الواقع والإشارة بالبنان وبالكلمة وبالصوت المرتفع إلى نقائصه قبل محاسنه، إذ أن دور المثقف الأساسي هو الاشتباك مع كل ما هو سلبي وضار في المجتمع، كما أن دوره الرئيس هو التصدي لمختلف الأمراض الاجتماعية والظواهر التي تشكل خطرا على المجموعة التي ينتمي إليها. الكثير من مثقفينا وللأسف، نجدهم بعيدين كل البعد عن هذا الدور لعطب ما في الشخصية أو في الكفاءة أو القدرة ولذلك لا نسمع لهم صوتا ولا نرى لهم حضورا هذه الأيام في ما يتعلق بأهم قضيّة إنسانية معاصرة في نظري وهي القضية الفلسطينية، خاصة ان هذه القضية علاوة عن بعدها الإنساني هي بالنسبة لنا مسألة وجود، لأن الصراع العربي الصهيوني هو أولا وأخيرا صراع وجود وليس صراع حدود كما يُراد له أن يكون.

الكاتب عبد الجبار المدوري:
بعض الدول المطبعة وخاصة الإمارات تمكنت إلى حد ما من «شراء» عديد المثقفين التونسيين وهذا ما يفسر صمتهم وتجنبهم الخوض في الشأن الفلسطيني

المعروف أن الرأي العام التونسي بصفة عامة والمثقفين بصفة خاصة هم دائما مساندون للقضية الفلسطينية... المشكلة ربما تكمن في الطريقة التي يقع التعبير بها عن هذه المساندة وعن هذا التضامن والذي غالبا ما تبقى محصورة في بعض الفضاءات المحدودة مثل مواقع التواصل الاجتماعي أو بعض المواقع الإعلامية...

من ناحية أخرى لا بد من الإشارة إلى أن الهيئات

والجمعيات الثقافية في تونس ليست لها تقاليد في التعبير عن مواقفها من القضايا العربية والإقليمية وغالبا ما ينحصر اهتمامها في الأنشطة الروتينية...

ورغم ذلك فإننا لو حاولنا رصد مواقف أغلب المثقفين في تونس من فنانين وأدباء وغيرهم فإننا نلاحظ انحيازا واضحا للقضية الفلسطينية باستثناء بعض الأسماء التي أصبحت معروفة بمواقفها الداعية للتطبيع مع الكيان الصهيوني والتي تحاول الاستفادة من الإغراءات التي تقدمها بعض الدول المطبعة وخاصة الإمارات التي تمكنت إلى حد ما من «شراء» عديد المثقفين التونسيين وهذا ما يفسر صمتهم وتجنبهم الخوض في الشأن الفلسطيني خاصة عندما يشتعل الصراع مثلما هو حاصل اليوم.

الممثل مهذب الرميلي:

المثقّف التونسي يُمارس سياسة النّعامة في المواقف الحاسمة، ليس لشرّ فيه، بل لجهل ممزوج بالطّمع والخوف. لأنّ ثقافته المزعومة لم تفلح في بناء وعيه، فكيف تكون بانية لوعي الآخر

للأسف الشّديد يعاني الإنسان التّونسي عامّة من أزمة هويّة وانتماء، ربّما لها أسبابها التّاريخيّة على اعتبار تونس أرض عبور للحضارات والثقافات مما أنتج فيها تنوّعا حدّ التّشظّي، هذا الإنفتاح ولّد استباحا للخصوصيّة والتّفرّد، والنّخبة بمعنى الصّفوة هي النّموذج المُختزل للمجتمع إضافة لما لها من وهم علم ما لا يعلم العامّي، فتزيد الغربة تغريبا مُعتقدة أنّها كلّما ابتعدت عن اليَومي زادت عُمقا، وما عُمقها إلا في وحل الإنبتات، فعِوض أن تُصلح وتُهدي وتُوَعّي وتقود، نراها خارج تمثيليّة المُواطن ممّا يزيد المُواطن تيها، فيُصبح المصير الفردي همّ كل فرد داخل المجموعة، وتكون الدّولة شكلا لا مضمونا. ويغيب الضمير الجمعي والمصير الجامع. ومن يكون غريبا في فضائه الحميمي لن يهتم بأحد في الفضاء العام، والدولة اليوم لا تُمثّل فضاء حميميا للمواطن، لأنّ نُخبتها لا تقول شواغله بل شواغلها، النّخبة في تونس تحتاج إلى نخبة تهديها سواء السّبيل. المثقّف التونسي تائه بين مرجعيات وافدة ومصالح غالبة همّه إثبات وجوده حتى في جُبّة الشيطان، طحنته آلة الاستهلاك والبقاء، فتذلّل بعضه للسفارات ليقتات فُتاتها، ومن عجز، عاد إلى الشّعب في شكل المُهرّج مُتمسّحا. أمّا المُثقّف صاحب المشروع، مشروع البلد والأمّة والإنسانيّة، فهو الإستثناء الذّي تتآلبُ عليه كلّ القَوالب، فقط لأنّه لا يُشبهها وقد يفضحها، ونحن أمّة السّتر حتى بالقتل. الخلاصة أن المثقّف التونسي يُمارس سياسة النّعامة في المواقف الحاسمة، ليس لشرّ فيه، بل لجهل ممزوج بالطّمع والخوف. لأنّ ثقافته المزعومة لم تفلح في بناء وعيه، فكيف تكون بانية لوعي الآخر. عاشت فلسطين حرّة أبيّة وعاصمتها القدس الشّريف، وجاد الله علينا بزلزال وعي يحوّلنا من عبيد إلى أحرار.

حبيب القزدغلي العميد السابق لكلية الآداب بمنوبة

علينا أن نقنع العالم بضرورة منع وقوع الاجتياح الإسرائيلي البري لغزة لأنه سيساهم في ارتفاع عدد الضحايا المدنيين من الجانبين وأن نعلن بوضوح حق جميع شعوب المنطقة دون استثناء في العيش في سلام

ان ما حدث من هجوم عسكري قامت به حركة حماس هو ردة فعل على الحصار المضروب على قطاع غزة منذ من أكثر من 16 سنة وأيضا على العمليات القمعية الشنيعة التي قام بها جيش الاحتلال الإسرائيلي والمستوطنين في عدة مناطق ومدن في الضفة الغربية المحتلة وفي القدس حيث بلغ عدد القتلى الفلسطينيين في التسع أشهر الأخيرة من هذه السنة (200) قتيل.

مساهمتنا كمثقفين في نصرة القضية العادلة ألا نتحدث فقط الى أنفسنا وانما أن نعرف كيف نتواصل مع الآخر خارج منطقتنا والواقع جزء منه تحت وقع دعاية مضادة. ففي الأوقات الحرجة لا مفر من العودة للمبادئ والقيم الإنسانية المشتركة حتى نجد لغة مشتركة مع الآخر تقرب ساعة قيام دولة فلسطين المستقلة. وكما صرح بذلك مؤخرا المؤرخ الفلسطيني الياس صنبر: «في نضالهم من أجل اثبات حقوقهم الشرعية يرفع الفلسطينيون مبادئ القانون الدولي « وهذا الأخير يؤكد بكل وضوح أن كل هجوم على المدنيين يشكل جريمة حرب.

عمليا وحاليا علينا أن نقنع العالم بضرورة منع وقوع الاجتياح الإسرائيلي البري لغزة لأنه سيساهم في ارتفاع عدد الضحايا المدنيين من الجانبين وان نوضح مرة أخرى الحقيقة الثابتة، بأن لا أمن ولا استقرار في منطقة الشرق الأوسط الا بإنهاء الاحتلال الاسرائيلي للأراضي الفلسطينية وتحرير الأراضي السورية واللبنانية وأن نعلن بوضوح حق جميع شعوب المنطقة دون استثناء في العيش في سلام وطمأنينة.

«أكره اللامبالين»

حياة حمدي الوسلاتي

هل مضى ذلك الزمن الذي عدّ فيه الدفاع عن القضايا العادلة وعلى رأسها القضية الفلسطينية علامة من علامات المثقف؟ هل سيطر منطق اللامعنى واللاجدوى على العقول حتى باتت الأرض التي تستباح والدم الذي يراق والشعب الذي يباد مجرد خبر تلفزيوني عابر نتلذذ بمشاهدته؟ هل ترك الفلسطيني وحيدا في عصر الاتصال الباذخ في زمن انعدمت فيه حتى مشاعر «الشفقة» فما بالك بالدعم والمساندة والإغاثة؟

إننا ونحن نطرح هذه الأسئلة نكون قد وضعنا إصبعنا على سؤال بات يؤرق الملاحظين للمشهد الثقافي لا في العالم فقط بل في البلاد العربية وفي تونس بالتحديد رغم الموقف الرسمي المساند للقضية الفلسطينية « دفعة واحدة» ودون شرط ولا قيد. فما الذي تغير حتى بتنا نفتقد صوت المثقف التونسي الذي عهدناه مدافعا شرسا عن القضايا العادلة وعلى رأسها «أم القضايا»؟ ما الذي يفسر صمت بعض المثقفين في بلادنا وهو الذين يفترض فيهم أن يكونوا «ضمير الشعب»؟ ما الذي يفهم من ريبتهم وترددهم عن الإفصاح عن مواقفهم وهم يرون شعب فلسطين على شفا الإبادة الجماعية؟

لن نمضي وقتنا في التدقيقات الاصطلاحية بشأن تعريف المثقف إذ يكفينا أن ننظر في ما يكتب وما لا يكتب وفيما يقال وفيما يتم إسكاته عنوة أو اختيارا حتى نفهم انقسام مشهدنا الثقافي إلى مواقف يعبر كل منها عن صورة المثقف. وهي في مجملها ثلاث صور إذ نجد،

المثقف الزائف الذي نسميه على إثر أفلاطون «السفسطائي» ذلك الذي تقول إجدى تعريفاته إنه الذي تتساوى لديه الآراء والقيم فيساوي بين الجلاد والضحية، بين المحتل والضحية، بين المستعمر والمستعمر فيبدي من الشفقة على كليهما بنفس القدر من الألم وهو يعتقد أنه يسير في طريق العدالة الإلهية تارة والبشرية طورا.

كذلك نجد صورة المثقف الانتهازي وهو ذاك الذي لم يعد يلتفت إلا إلى مصالحه الضيقة والآنية التي يتوهم أنها أساس سعادته الذاتية متى أرضى أسياده فيصمت عن الظلم والاضطهاد خدمة لنفسه ولمن بسط له رغد العيش وهو لا يعي أن في صمته ذاك إنما يكمن خزيه وشقائه

أما الصورة الثالثة فيما يلاحظ من مواقف المثقفين فهي صورة المثقف المناصر للقضية الفلسطينية فلم يركن إلى اليأس ولا إلى الخنوع. وسواء سميناه مثقفا «حيويا» أو «عضويا» أو «مشتبكا» فإن اختلاف الأسماء لا ينزع عنه صفة المثقف الحقيقي الذي يعي حجم البربرية إلى حد لا يمكن معه ممارسة سياسة النعام رغم ما يمارس ضده من « إرهاب ثقافي» يراد منه صمته عن أكبر مظهر من مظاهر نازية هذا العصر أي الصهيونية وأذنابها.

في تجربة الشر وأخلاق المقاومة

د.عُمَر بن بوجليدة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية (9أفريل)- جامعة تونس.

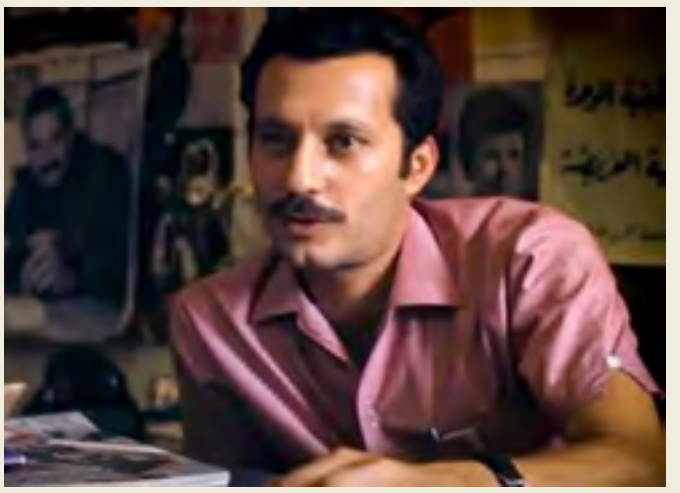

إلى روح الشهيد: غسان كنفاني ... وإلى روح لميـــس ... وإلى أطفال فلسطيـــن ... والأطفال - عنوان البراءة - ... أجمعين ...

ولأن «النضالي» يتماهى بـ«السياسي» والعشقي، ويتداخل عنف الاحتلال وقوى الخبث بالحب والثورة والمقاومة. فإن «غسان» مهووس بالانزياح عن مواقعه وعن مألوفه. فقد قدّر بلغة بسيطة وعاطفة فريدة وتوهّج فكر، أن مراقصة الحياة بأشكال مختلفة، يمكن أن يحقق الإضافة. إنه ما يستوجب مراجعة للتاريخ وتأمل ما اكتظ به من إقصاء واستبعاد، للذين حرموا حقّ البوح بقصصهم في المعركة ضد السرديات المعروفة التي تصادق عليها المعرفة الرسمية.

وهكذا فإنه إذ لم يتم الانتباه إلى عشاق الأرض وشكاوى «المقموعين»، ولم يقع الإنصات إلى «المضطهدين»، وأولئك الذين لا يمكن قتلهم، وإن شئت فقل «المهجرين». وما أحيل على الصمت، فإننا لن نغادر أرض الإقصاء والتهميش.

فلقد تم ابتذال البشر، وأصبح «هؤلاء التائهين» ضحايا النقمة والغضب والخزي والعنف، ببساطة وبطء جليلين، والتواطؤ مع العار والإذلال: وإلا لماذا على أرض هؤلاء بالذات تخاض الحروب ؟ لماذا لم يفعلوا شيئا من أجل منع الكارثة / الفاجعة ؟ - ولا نستثني منهم أحدا-.

إنها مؤشرات تلاعب ساسة ودكتاتوريات، وبؤس رأسمالية وعولمة متوحشة وانزياحات وانحرافات حداثوية، لم تترك لهم من الأمل إلا أن لا يكونوا أمواتا، هلعا وألما.

ففي الصدور العارية، «ضاعت الطريق وراء ستار من الدموع»1 في خطوات الأمهات تتعثر، في لحاف الرضع، في هلع عيون تتطلع حيرى في أضواء حارقة «كان الناس يتدفقون من الشوارع الفرعية نحو ذلك الشارع الرئيس المتجه إلى الميناء رجالا ونساء وأطفالا،- والأطفال مثل الورد والخبز - يحملون أشياء صغيرة أو لا يحملون، يبكون أو يسبحون داخل ذلك الذهول الصارخ بصمت كسيح»2. تجل من تجليات سر المظلومين في التاريخ،»عليكم أن تقبلوا أن تكونوا خدما لنا»3. تحت ظل هذا الدمار العظيم. للتحرر من الاضطهاد والقمع والفقر والتبعية. حرب الأرض المغتصبة، ثورة المستضعفين، «كانت رائحة الحرب ما تزال هناك بصورة ما، غامضة ومثيرة ومستفزة وبدت له الوجوه قاسية ووحشية»4. لحظات التحام بالجماهير المستغلة، ترفع وعيها الديمقراطي والمساواتي، ضد معارك توزيع الرخاء الوهمية، ثناثية الله والناس ضد قوى الارتهان والضعف والهوان، تلك التي تمارس السلطة، ضرب من ضروب المشاركة في الإحساس بالمعاناة، من جهة ما هو نبل تاريخي.

إنها إيقاعات الرعب في غمرة الألم والرداءة،»صدر صوت انفجار ما من بعيد، وأعقبته طلقات رصاص (...) وشهد صبيا يعدو عبر الطريق وعندها جاء الماضي الراعب بكل ضجيجه»5. صدور الأطفال مثقوبة بالرصاص، يقاسون الجوع والحرمان والاضطهاد، دموعهم ودماءهم، تحولت إلى أرصدة في البنوك وشركات النفط، وفي مفاوز السياسة الملغومة بالكيد. يقاومون ضد اليأس والمحو والنسيان. إنه التعلق الخرافي بأقاليم الكرامة، مضادة تقيم أودها من عيون الثكالى والمنجرحين والحيارى والحزانى، ذوات جعلت من الموت بوابة حياة تحب شعبها حدّ الاستشهاد، «هذا المكان الذي تسكنه هو بيتي أنا، ووجودك فيه مهزلة ستنتهي ذات يوم بقوة السلاح»6، انتفاض مضمخ بالرفض،»اكتسحها حزن يشبه الطعنة التي ملأتها بطاقة من العزم لا حدود لها وقررت أن تعود بأي ثمن»7 . تلاوة لفعل الثورة، يتأجج صداها، انتماء، مبادئ ومواقف. فعل نوعي يملأ خلايا المقاومة بأشعة الحلم والنصر.

سنلامس إذن محاولة لاستنطاق الذاكرة في سبيل صياغة رؤية تنطلق من الواقع المعاش ومن احتمالاته المتعددة، إذ يتشكل النبض الحار لنثر «كنفاني» وقدرته على تكثيف اللحظات النثرية في تصور يماهي بين مرارة الواقع وإمكانيات تغييره.8 فرواية «عائد إلى حيفا» تتكئ على وعي تاريخي كثيف، يؤشر إلى حدة الشروخ والآلام التي فاقت كل العذابات. فمن ذا الذي ينكر رعب الساسة والاستعمار الآثمة يداه، بسياسته العنصرية المتوحّشة التي دفعت الناس إلى الهجرة. يؤثثه كثير من «المتصهينين العرب»، «ففي الوقت الذي كان يناضل فيه «بعض الناس» ويتفرج «بعض آخر»، كان هناك «بعض أخير» يقوم بدور الخائن»9، يملئون الحياة كآبة وقسوة، ويرضخون إلى أولئك الذين يطالبون بضرورة تطهير البلاد باسم الحق والرّب. فقد تم تقاسم دقيق ضمني للنفوذ بين جماعة الإيمان واللّحي وجماعة بيع «الأوطان خلسة»، لحظة لم يعد يعرف الشعب له مقصدا، وكأن المرارة فينا موروثة.

ولنا أن نشير إلى أننا ها هنا أمام روايات تتعمد أن تظل قولا ناقصا، قولا لا يكتمل إلا إذا أضاف القارئ عليه موقفا أو فعلا. «وكان غسان يمتلك الوعي بقضية، بيقين، بهدف: كان منذ البداية يعرف الهدف الوطن: سأظل أناضل لاسترجاعه لأنه حقي وماضيّ ومستقبلي الوحيد. لأن لي فيه شجرة وغيمة وظل وشمس تتوقد وغيوم تمطر الخصب وجذور تستعصي على القلع»10. فلا تحسبن قراءة ذلك الضرب من النصوص بالأمر اليسير أو الهين. بل لا يقدر عليه إلا من كانت له قدرة على التأصيل النظري والعمق الفكري، ليدرك كيف لهم أن يساكنوا هذا الرعب. أولئك الذين مستهم البأساء والضراء في إنسانيتهم، في حضورهم داخل العالم بل قل في علاقتهم بذواتهم وبالآخرين، وزلزلوا شديدا. فهذا عار يكاد يلامس التواطؤ وسل الذين يهترؤون في السجون والمنافي والمهاجر. «لقد حاولت منذ البدء أن استبدل الوطن بالعمل، ثم بالعائلة ثم بالكلمة ثم بالعنف ثم بالمرأة. وكان دائما يعوزني الانتساب الحقيقي. ذلك الانتساب الذي يهتف بنا حين نصحو في الصباح : لك شيء في هذا العالم، فقم، أعرفته» 11. وهكذا فرجل الأدب» لا يروي حقائق لكنه يسرد حكايا، ينبغي أن تروى وإن لم تروّ، إلا لغرض واحد: كشف الأشياء المرعبة المدمرة والرهيبة. بتأمل لاذع يستحيل احتذاؤه. وبإيحاء مدهش وتبصّر موحش يضيئها إضاءة فذة : هي من الثقل بحيث لا نقبلها إلا شعرا.

وبهذا يستبين أن هذه الروايات ترتبط، بسؤال أكبر، المسرب إليه : كيف الخروج من عصر الاضطهاد والكولونيالية ؟

وكتابات «غسان كنفاني»12، تندرج ضمن هذا المسلك. إذ انتبهت باكرا إلى أن الأمر دبّر بليل ووسّد إلى غير أهله، «كنت طفلا آنذاك وكنا نشهد دون أن نقدر على الاختيار، كيف كانت تتساقط فلسطين شبرا شبرا وكنا نتراجع شبرا شبرا، كانت البنادق العتيقة في أيدي الرجال الخشنة تمر أمام عيوننا كأساطير دموية»13 وأصبحت لا ترى إلا «عنصريا» أو «صهيونيا». وإن هذا لشيء عجاب، أجيال تلقفتهم المتاهات، فما استطاعوا مضيّا، ولا هم يرجعون، وما ذلك منا ببعيد.

ولأن مقرري «المصائر والأمم»، واعون بما يرتكبون، من حماقات ونذالات وفظاعات مطبوعة بالدم والاستبداد، خالعة للقلب وباعثة على الهلع، في حق الإنسان والتاريخ. يدركون أيضا أن حيلهم ومكرهم لا ينطلي إلا على البلداء والسخفاء والسفهاء، من ضعفاء العقول.

---

1 - انظر، غسان كنفاني ، عائد إلى حيفا، منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، 1983، ص 7.

2 - ا نظر، المرجع ، هو هو ، ص 16.

3 - انظر، المرجع ، هو هو، ص 8.

4 - انظر، المرجع ، هو هو ص 8/9.

5 - انظر، المرجع، هو هو ، ص 10.

6 - انظر، المرجع، هو هو ، ص 51.

7 - انظر، المرجع ، هو هو ، ص 19.

8 - انظر، غسان كنفاني، موت سرير رقم 12، قصص قصيرة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت الطبعة الرابعة، 1987، ص 7

9 - انظر، غسان كنفاني، موت سرير رقم 12، قصص قصيرة، (المرجع هو هو)، ص29.

10 - انظر، غادة السمان، رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان، دار الطليعة، بيروت الطبعة الثانية، 1993،ص 9.

11 - انظر، غادة السمان، رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان، (المرجع هو هو)، ص9.

12 - موت سرير رقم 12(قصص) / أرض البرتقال الحزين (قصص) / رجال في الشمس (رواية) / الباب (مسرحية) / عالم ليس لنا (قصص) / ... في الأدب الصهيوني (دراسة) / أدب المقاومة في فلسطين المحتلة (دراسة) ...

13 - انظر، غسان كنفاني، موت سرير رقم 12، قصص قصيرة، (مرجع مذكور)، ص20.

فـ«ميريام» قد فقدت والدها في «أوشفيتز» قبل ذلك بثماني سنوات»14 ويتساءل»غسان» لماذا يصبح اليهودي في فلسطين نسخة رديئة من جلاده ؟ ولا يستطيع أن يعطي المثل الأعلى للتسامح والتعايش؟

ببساطة، لأن الامبريالية زرعت الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، كحلقة ممهدة لظهور الأنظمة الكليانية، تكريسا للعنصرية، ومن أجل إيجاد مسوغ إيديولوجي للقوى الاستعمارية. «فلسطين (...) بالنسبة له كانت مجرد مسرح ملائم لأسطورة قديمة، ما يزال يحتفظ بنفس الديكور الذي كان يراه مرسوما في الكتب الدينية المسيحية الملونة المخصصة لقراءات الأطفال في أروبا. إلا أنه لم يكن يصدق تماما أن تلك الأرض كانت مجرد صحراء أعادت الوكالة اليهودية اكتشافها بعد ألفي سنة»15. لقد انحفرت في أذهانهم سلسلة الإجراءات التي اخترعتها الدولة البرجوازية. فما عادوا يستطيعون الانزياح عما درج التصور التقليدي على تأكيده. حتى أعمتهم عن رؤية تواريخ أخرى. وتطلعات مغايرة وممكنات بديلة.

وهكذا فالهذيان السياسي الذي يمارسه حمقى التاريخ، ضد اليتم الفلسطيني: «سوف تموتون كي نحيا»، يتمزق فيه الوعي خوفا من التضحية، يرمي في الواقع إلى تغليف إستراتيجية عالمية ترتبط بالهيمنة الصهيونية والامبريالية. وما يومئ إليه هذا الطرح إنما هو فضح هذا التحالف بالسؤال عن «من هو اليهودي؟»16. فهذا الشعور بالإثم يغتاظ من الفلسطيني متوهما براءته. فشقاء العالم لا يعزيني ولا يواسيني. ومثل هذا العماء الذي يمزق التاريخ، إنما يفترض التفاوت العنيف بين الآلام. إلا أن تاريخ الأقلّوي في «الشرق» لم يكن بالسوء الذي كان عليه في «أروبا»، حين كان «اليهودي» يخجل من التحدّث بلغة «اليديش»17

إلا أنه لمعترض أن يعترض أنه تم اقتلاع وتهجير الكثير من اليهود، وهم لا يعرفون وطنا آخر غير الأرض العربية، أرض أسلافهم التي عاشوا فيها، يشقيهم الحنين، فالأمر صعب يستعصي على الفهم. «ثلاثة أزواج من العيون تنظر إلى شيء واحد، ثم كم تراه مختلف (...) لم يعرف كيف يقول لها أنه لم يأت من أجل هذا، وأنه لن يشرع في نقاش سياسي، وأنه يعرف أن لا ذنب لها، لا ذنب لها، لا ليس بالضبط ، كيف يشرح لها ذلك (...) طبعا نحن لم نجيء لنقول لك اخرجي من هنا، ذلك يحتاج إلى حرب»18. آنذاك لم يكن في العقل عقل ليفكر. ولم نستطع إلجام جموح الجامحين والحسرة تطغى والمرارة في القلوب.

لحظات حزينة محفورة في ذاكرة اليهودي الأخير19: فقد ابتسم ابتسامة باهتة وغادر يلف مصيره الريبة والخوف والغموض، وتفاهة الفرد وعبث الوجود واللامعقول (لا يفهمها لا يونسكو ولا بيكيت ولا حتى تشيكوف وكافكا) في ميزان الحسابات السياسوية وضلال الهويات العمياء والاختلاف الوحشي الساذج الذي يقذف بـ«الآخر» إلى خارج مطلق فهل كلهم كانوا خائنين؟

إبانئذ ذكّروا بكلام الرب والموتى: وأعادوا سرد قصصهم ومروياتهم وحكايا آباؤهم والأجداد. وظهرت الصهيونية حركة عنصرية دموية فاشية،»ووسع الطريق أمام افرات كوشن وزوجته القادمين من بولونيا ليدخلا إلى ما صار منذ ذلك اليوم منزلهما المستأجر من دائرة أملاك الغائبين (...) برعاية الوكالة اليهودية».20 فهل تدري؟

14 – انظر، غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، (مرجع مذكور)، ص 43.

15 – انظر، غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، (مرجع مذكور) ، ص 37.

16 – انظر، عبدالكبير الخطيبي، النقد المزدوج، منشورات الجمل، بيروت، 2009، ص 117..

17 – انظر، قسطنطين جيورجيو، الساعة الخامسة والعشرون ، ترجمة فائز كم نقش، تقديم عبدالله إبراهيم، مسكلياني للنشر، الطبعة التاسعة ، تونس 2015.

18 – انظر، غسان كنفاني ، عائد إلى حيفا، (مرجع سبق ذكره)، ص31.

19 – انظر،عبدالجبار ناصر، اليهودي الأخير، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثالثة، القاهرة، 2016

20 – انظر، غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، (مرجع سيق ذكره)، ص35.

هل تدري ماذا يقال في الفلكلور، الدين، في التلمود، يقال: إن جثة اليهودي الميت خارج فلسطين، تزحف تحت الأرض بعد دفنها حتى تصل إلى الأرض المقدسة، وتتوحّد معها. «وأنت تقولين أنه خيار عادل، لقد علموه عشرين سنة كيف يكون يوما يوما (...) ثم تقولين خيار عادل، إن خلدون أودوف أو الشيطان إن شئت لا يعرفنا، أتريدين رأيي، لنخرج من هنا ولنعد إلى الماضي انتهى الأمر، سرقوه».21

إنه الصراع من أجل العدل والمساواة والحرية وإعادة توزيع السلطة والثروة، وإلا ماذا يمكن أن يفعله الدين22 مثلا، للمفقرين والمضطهدين، إنه كيفية من كيفيات مقاومة الاستغلال والتخلف والهيمنة الأجنبية، من جهة ما هو البحث عن حضارة أكثر إنسانية وجدل التأسيس لوعي جماهيري ينكر الثبات، ولا يلغي الإيمان فليس المهم أن نفهم عالم الجوعى بل لتكن لنا الرغبة والإرادة لتغييره.

وإنّي ليحزنني أن لا يرى في الموت غير الموت، لم يكن «غسان» من الرجال الذين يمكن قتلهم23. ولا من أولئك الذين وجدوا أنفسهم مورطين صدفة في النضال. كان عميق المبدئية والنسيان مستحيل. «غسان» كان شاعرا، «غسان» كان حالما، «غسان» كان عاشقا.

ذلك أن ما تذهب إليه تلك الطروحات التي تحاول إقصاء وتهميش كل ما له علاقة بالحب، من شأنه أن يكون علامة دالة، على التحول التاريخي من مبدأ اللذة إلى مبدأ الواقع، والذي يمثل في تاريخ الإنسانية أكبر حدث صادم. أمارة التحول من السرور إلى النجاعة24.

وليستبين أنه ثمة ميل دائم في الأدب العربي بالذات لرسم «المناضل» قي صورة «السوبرمان» ولتحييده أمام السحر الأنثوي وتنجيته من التجربة. وفي رسائل «غسان» صورة للمناضل من الداخل قبل أن يدخل في سجن الأسطورة ويتم تحويله من رجل إلى تمثال في الكواليس المسرحية السياسية25.

فغسان – درب المقاومة - كان يعرف أن التراجع موت، وأن الفرار قدر الكاذبين. ومن فرط ما شاهد الناس يموتون ببساطة، كان صارما، لكن صرامته لا تتماهى والتحجر، كان النقاء الفذ، النبيل. يدرك أن لا حاجة لفائض الكذب على الذات. ولم يكن في قلبه زيغ، فلا يخلط

21 – انظر، غادة السمان، رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان، دار الطليعة، بيروت الطبعة الثانية، 1993،ص48.

22 – ضرورة الانتباه إلى فعل لاهوت التحرير وكتابات رواده في أمريكا اللاتينية، والتداخل بين الطروحات الماركسية والمسيحية، لحظة مقاومة الاستبداد والإمبريالية والطغيان والدكتاتورية.

شرط أن لا ننسى، أن تلك «الأحلام» التحررية، إنما تتكئ على مرجعيات فكرية ومستندات سرية، وتجارب نضالية روحية وثورية خاصة بأمريكا اللاتينية. فهو سليل «الزباتيين»، «غيفارا» و«سلفادور اللندي» و«كاسترو»، «تشافيز»: كان حلمه نبيلا حاول أن يجعل التاريخ عيانيا وملموسا، وأن يكون الأمل القوة الدافعة، والتي تمنح العدل والتضامن والتطلعات الإنسانية : المعنى، كانت يوتوبيا يتخللها طموح إنشاء عالم جميل، يرفض التواطؤ ويحاول مقاومة الامبريالية والعنف والسجن والظلم والموت واستغلال الطبقات المحرومة وقد نادى بضرورة الانعتاق من كل أشكال الاضطهاد وناصر المفقرين والجوعى والمعذبين والمغدورين.

إلا أن السؤال المذهل: هل مازال بالإمكان الحديث عن صمود «الدولة-الأمة» أمام الاقتصاد العالمي الذي يسعى إلى تجاوز الحدود مهددا تماسك الاقتصادات القومية واستقلاليتها ؟

23 – انظر، غادة السمان، رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان، (مرجع سابق) ص 7.

24 – انظر، علي الربيعو،العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا الإسلامية ، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1994 ص 104.

25 – انظر، غادة السمان، رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان (مرجع سبق ذكره) ص 22.

بين الثروة والثورة. وكان الانسجام بين فكره وجسده26. ووفق اشراقة لغوية لـ«غادة». كان دربا للانتماء الواعي العظيم. كذا عاش «غسان» لحظات نصر ثورية جميلة. وكان على الدوام من الجذور التي تستعص على القلع.

عند عتبة هذا التحليل ليس بوسعنا إلا أن نشير إلى ما أشار إليه «سارتر» ذات نص، من أن الكاتب يتموقع في عصره ولكل قول أو صمت استتباعاته، لذلك اعتبر «فلوبار» و«قونكور» مسؤولان عن الاضطهاد الذي تلي «كمونة باريس»، لأنهما لم يكتبا ولو سطر ا للاعتراض. ويذهب «سارتر» إلى أنه قد يقال أنه لم يكن قضيتهم. ولكن يتساءل بمكر: هل كانت محاكمة «كالاس» قضية «فولتير» أو الحكم على «دريفوس» قضية «زولا « ؟ وهل كان حكم «الكونغو» قضية «جيد» ؟ جميع هؤلاء الكتاب وفي ظرف خاص من حياتهم، كان قد قدّر مسؤوليته ككاتب27.

وحين ننتبه إلى هذا نكتشف أن»المثقف» قد يكون ثوري في أهدافه ولكنه - وتلك علامات مأساته - تقليدي في تفكيره ومنطقه. وهكذا فمن الضروري تعرية ذلك التآزر الخفي بين قوة المثقف ومؤسسات القوة، لينكشف أنها إنما هي علامات تنبئ عن أزمات ومطبات.

ذلك أن الفكر العربي – تحديدا - لم يستوعب مكاسب العقل الحديث من عقلانية وموضوعية وفعالية وإنسية وديمقراطية، من جهة ما هي نظام مدني تقتضي أن لا أحد يملك الحقيقة السياسية، بل أن تلك الحقيقة تتكون يسيرا يسيرا، أماراتها الحوار والنقاش الذي لا ينتهي. لحظة تتحول الديمقراطية إلى مطلب اجتماعي، تحمله الحركات الاجتماعية وتضمن له التراكم والاستمرار. وهو ما من شأنه أن يفتح الباب وسيعا أمام سؤال مفصلي: هل يمكن تصور «مثقف» أو «تنظيم سياسي» ثوري بدون ثقافة حديثة ؟

ذلك أن «البعض» يتناسى أنه لا ديمقراطية في ظل التجانس، ولا حرية أو اختلاف في إطار الهيمنة، والاعتراضات على منطق الليبرالية الجديدة أكثر من أن تحصى. ولمواجهتها لا مفر من التسلح بروح اليسارية، التي هي ضد المؤسسة28. فدور اليسار إنما هو فكفكة الدكتاتوريات ومصارعة إمبراطورية العولمة الرأسمالية وإسقاطها. فاليسار هو أساسا مسألة إدراك وقضية منظار بهذا المعنى لا تكون من اليسار، حتّى تعتبر أنّ قضايا المنجرحين والمنقهرين والمناضلين الثوريين الصامدين أقرب إليك من حبل الوريد، والطريقة الوحيدة لإنقاذ نفسك هي أن تناضل لإنقاذ الآخرين.

فاليسار ليس جهة نركن إليها29. إنّه منظور وحركة وصيرورة. وهنا تصبح اليساريّة شبحا مخيفا يفضح خوفهم، في زمن عولمة الكون، وما يتخفى وراء العقلانيّة والنزوعات الاستعماريّة والتوسعيّة والعدوانيّة، على ثقافات متعددة.

26 – ولنضرب على ما نذهب إليه «روجيس دوبريه» مثلا، الذي آمن بأنه يمكن للطليعة أن تفجر الثورة، وشارك مع «تشي غيفارا»، في مقاومة الفاشيات العسكرية. وكان ينتظر حكم الإعدام، بالرغم من حشود المحامين وتدخل عدد من الشخصيات ولجان الدفاع. إلا أنه صدر في حق»روجيس دوبريه» حكم بالسجن مدى الحياة. ورغم اختلافه معه فإن «ديغول»، وضح أن «دوبريه» فرنسي، ومن أجل ذلك فمن حقه على وطنه، أن يعمل ما في وسعه لإنقاذه. وهكذا، وبعد صفقة تجارية عقدها «ديغول» مع الحكومة البوليفية، أطلق سراحه وخاض «دوبريه» مع «ميتران» كل معاركه الانتخابية، اعتقادا منه أن التغيير نحو نظام أكثر عدالة، إنما يأتي عن طريق وحدة اليسار، ودخل «دوبريه» «الاليزيه» بالقميص الكاكي، دون ربطة عنق وعين «الإرهابي السابق»، مستشارا لشؤون أمريكا اللاتينية، واحتجت الولايات المتحدة الأمريكية، وانصرف كاتب الثورة داخل الثورة إلى نقد السلاح ونقد العقل السياسي نقدا لفكر اليسار جريئا.

27 – انظر،جون بول سارتر، مجلة الأزمنة الحديثة، العدد الأول، 1945

28 – انظر عبدالسلام بنعبدالعالي، بين – بين ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1996 ص 87 (في سؤال وجه إلى – جيل دولوز – ما معنى اليسار ؟) .

29 – (المرجع هو هو) ص 87. انظر، عبدالسلام بنعبدالعالي، بين – بين،

فُسحة لغويّة مع عبارةٍ عاميّةٍ شائعةٍ 24

فقرة «فسحة لغويّة مع عبارة شعبيّة» هي فقرة تأتي على العبارة من مختلف جوانبها، كأصل استعمالها وعلاقتها باللّغة الفصحى نحوًا وبلاغةً وما تكتسبه من معنى حسب المقام الّذي قيلت فيه. كلّ ذلك يرد بأسلوب طريف ظريف بعيدًا عن التّقعيد النّحويّ والتّنظير البلاغيّ أو الإطالة المُملّة، ليجد القارئُ نفسَه في فسحةٍ لغويّة جديرة بالاهتمام، يتذكّر خلالَها مقولةً شعبيّةً أو عبارةً متداولةً ويغوص أحيانا في بعض المدلولات دون أن يبتعد كثيرا عن شاطئ واقعه بكلّ تفاصيله ورهاناته.

"يمين البكوش في صدره"

هشام الهرّابي (كاتب)

هذا مثلٌ من الأمثال الّتي لا تَخفى لا على القاصي ولا على الدّاني، يقول هذا المثلَ كلُّ مَن يُضمر أمرًا لغيره؛ مُتوعّدًا، مُهدّدًا، مُزبدًا...

نحويًّا:

هي جملةٌ اسميّة تتكوّن من مبتدإ وهو "يمين البكّوش" وقد ورد مركّبًا إضافيًّا. وخبر وهو ما تبقّى من الجملة "في صدره" وقد ورد مركّبا حرفيًّا بالجرّ. ويمكن أن نُغيّر لفظة "البكوش" بالأبكم، فتصبح الجملة كالآتي "يمين الأبكم في صدره".

والجملةُ بسيطةٌ لخلوّها من أيّ إسناد فرعيّ.

صرفيًّا:

• يمين: مفردةٌ جمعُها أيْمُنٌ وأيْمَانٌ وأيَامِنُ، على زِنَةِ "فَعِيلٌ" مشتقّة مِن فعل ثلاثيّ مجرّد، مثال يائيّ (يَمُنَ) مضارعُه يَيْمُن ومادّةُ الفعل [ي،م،ن]

• البكّوش: صيغةُ مبالغة على وزن (فَعُّول) وجمعُها "بكاكش" عند أهل المدينة و"بكاكيش" عند أهل الرّيف.

• صدر: اسمٌ على وزن فَعْل جَمعُه صُدُور على وزن فُعُول ومادّتُه [ص،د،ر] وهو فعل صحيح سالم.

لغويًّا:

• يمين: وتعني توكيدَ القول بذكر مُعظّم على وجه مخصوص، كأنْ تقول: أقسمتُ بالله لأفعلنْ كذا أو (لأفعلنَّ كذا). واليمينُ حلف شخص بالله على حدوث أو عدم حدوث أمر مّا.

ونقول أدّى اليمينَ أي حلف بأن يمتثل لأمر مّا أو يلتزم بقوانينَ معمولٍ بها...

• البكّوش: هو ذاك الّذي لا يستطيع أن ينطق. ولو تأمّلنا أكثرَ لوجدنا أنّ الكلمة تتّصل معنويًّا بمادّة [ب،ك،ش] وهو فعل صحيح سالم ولكنّه يعني الضّدّ؛ أي كلّ مَن حَلّ عُقدةً. وهي أيضًا متّصلة بمادّة [ب،ك،م] الّتي تعني بَكَشَ في العاميّة، وقد يستعمل العاميّون هذا الجذر للدّلالة على عدم التّصويت وغياب فعل التكلّم. وغير بعيد عنهما مادّة [ب،ك،ت] لأنّ معنى بكت أو بكّت أي أفحم وأسكت.

• في صدره: (في) حرف جرّ أحال على المكان وهو الصّدر الّذي هو مكمنُ النّفوس وخباياها. وقد اختزل العربيُّ المشاعر الّتي في الصدر في جهة القلب وسمّاها أيضًا الفؤاد لما يختزنه هذا العضو، حسب تصوّرهم، مِن مشاعرَ وعواطفَ... وفي هذا الصّدد يمكن أن نورد ما قاله أبو نوّاس:

"فلمّا شربناها ودَبَّ دبيبُها إلى
موطنِ الأسرار قلتُ لها قِفِي"

وموطنُ الأسرار في البيت كناية عن موصوف وهو القلب.

إذن الصدرُ أو القلبُ أو الفؤادُ هو كلّ مكان باطن في جسم الإنسان لا يجلو ولا يظهر إلّا إذا كشف عنه صاحبُه.

لسانيًّا:

"يمين البكوش في صدره"

• يُمِين: نلاحظ دائما أنّ المتكلّم يبدأ الكلمة بالسّكون وهو أمر مُحال في اللّسان الفصيح، كما نلاحظ أيضًا أنّه يقف كثيرًا على السّكون، وهو أمر لا يحدث إلّا في قراءة بعض النّصوص الشّعريّة أو الموشّحات أو نصوص المقامة أو في بعض قراءات النّص القرآنيّ.

• بكّوش: هي لفظة أمازيغيّة الأصل يرادفها في اللّسان العربيّ (الأبكم).

• في صدره: يشذّ المتكلّمُ دائمًا عن القاعدة اللّغويّة سواءٌ في شَمال تونس أو في جنوبها؛ أمّا في الشّمال وبعض مناطق الوسط فإنّ المتكلّم يجعل المجرورَ مرفوعًا، إذ تُنطَقُ عنده (في صَدْرِهِ) هكذا "فِي صِدْرُو" مع جعل الصّاد سينًا. وأمّا عند أهل الجنوب وبعض جهات الوسط، فإنّ المتكلّمَ يجعل الرّفع نصبًا (كأنْ ينطق في صَدْرِهِ => في صَدْرَهْ/ في صَدْرَا/ في صَدْرَى مع الإبقاء على الصّاد صادًا.

إذن العامّيُّ، وهو يستعمل اللّغة، ميّالٌ إلى الاختزال والاقتصاد.

بلاغيًّا: "

يمين البكوش في صدره" جملة خبريّة مثبتة بحسب مقياس الإثبات والنّفي، وهي جملة خبريّة ابتدائيّة لخلوّها من أدوات التّأكيد بالقياس إلى معرفة المتلقّي من عدمها بهذا الخبر. وليست الغايةُ من استعمال هذا المثل الحديثَ عن شخصٍ غير قادر على النّطق حاملٍ ليمينه في صدره والمقصود ههنا القلب أو الفؤاد. (والعلاقة بين الصّدر والقلب علاقة مجازيّة، هي علاقة الكلّيّة بمعنى أنّ المستخدم سمّى الجزء بالكلّ) وإنّما التّلفّظ بهذا المثل جارٍ على المعاني الثّواني أي أنّ العبارة محمولةٌ على المجاز، فالبكّوش ليس إلّا شخصًا كتم غيظه وأضمره ولم يكاشف به عدوّه، بل إنّه يتحيّن الفرصة حتّى يقول ما يقول أو ينجز ما ينجز أو ما يقول وينجز في آنٍ. هو مثلٌ خرج عن معناه الظّاهر ليعبّر عن معنى بلاغيّ مَدارُه الوعيدُ والتّوعّد والتّهديد والإنذار. ولقد اختار المستعملُ الصّدرَ كموضع لكتمان السرّ، لأنّ الصّدور (أي القلوب أو الأفئدة) لا يعلم ما تخفيه في دواخلها إلا كائن خارق القوّة...

ويقال إنّ للمثل حكايةً جرت في الواقع: يُحكى أنّ رجلا قد بالغ في التّنكيل بعامله بعد أن كشف خطأه في ما كلّفه به من عمل وتجاوزه لأمر كان قد نبّهه من الوقوع فيه. وقد كان العامل أبكم وكان الرّجل يستحثّه على أن يحلف له بأغلظ أيمانه حتّى لا يكرّر تقصيره في عمله، فسمع ذلك أحدُ أصحابه فنهره ولامه على ما يفعل بضحيّته وهو يقول له: "يمين البكوش في صدره". ففهم الرّجلُ، ساعتئذٍ، أنّه يناشد السّراب. وغير بعيد عن أحداث هذه القصة، هناك حكاية أخرى تدور حول سيّد قد ظلم عمّاله وأساء إليهم، فعبّروا كلّهم عن غضبهم منه وتوعّدوه بالردّ على ما اقترفه بشأنهم إلّا واحدًا لم يفعل. فسأل عنه أحدهم: لماذا لا يتوعّد هذا الرّجل مثلنا، فأجابه آخر يعرف الرّجل حقّ المعرفة، قائلا: إنّه بكّوش. ويمين البكوش في صدره" قاصدا أنه عاجز عن التعبير ولكنّه يضمر مثلهم شرًّا كثيرا.

فعبارةُ "يمين البكّوش في صدره" إذن هي عبارة تقال في مقامات تدور معانيها في فَلَكِ التّوعّد والتّهديد وكُلّ المعاني المُحايثة، خاصّة إذا ما كان قائلُها فاقدًا للقوّة أو الاستطاعة والقدرة على الردّ الحينيّ.

عتبة للفنّان خالد ميلادْ

كمال العيّادي (الكينغ)

....لوْ رُفع عنكَ الحِجابْ، وأوتيتَ هِبَةَ ترجمة أحاجي المُدن القديمة. وَوَصلتَ بمشيئةٍ، لبابَ القيْرَوان المَحجوبِ عنِ الأنظارِ، واسترقتَ السّمْعَ، فستتبيّن إسمَهُ، يتردّد عندَ كلّ حجَرٍ بأسوَارِهَا وقِبَابِها ومآذِنِها وجدرَان الزّوايَا القديمة فيها: (خالد ميلاد) هكذا ستسمع إسمه يتردّد كالصّدى المنتشر في مَدَاكْ. وستدلّك عصافير الأسطح على مرسمِهِ، هناكَ في كبدِ المدينة المُثقَلة بالأسرار. وحينها فقط، سترَى. وستبصِر. وستعلم علمَ اليقينِ، أنّك في حضرة أحد أنبيَائها ورُسُلِها الشّرفاء الأبرار. وقد يكون وصولك بين صهدِ الظّهرِ ورغيف العصرِ، حيث يخيّم الصّمتُ الجليلُ. في انتظار ارتفاعِ صوتِ الآذن من كلّ المآذن العتيقة بوسط البلد التقيّ الصّامت، المُهان بالجحود والنّسيان....ستراهُ حينئذن، مُنكبّا على لوحةٍ يستنطقها، وكأنّهُ يتذكّر تفاصيلها وألوَانهَا وخطوطها. هذا الحرفُ يُعانقُ حافّة الجدارِ. وذاكَ يلتفُّ حوْلَ حلمَة القُبّة كالمعصمِ يُحيطُ بهِ سِوَارْ. وباقي الحروف تسبح في ملكوتٍ، فكأنّمَا هيَ فوَاصِلُ بين برزخينِ، عناصرهَا الماء والطّين والهواء والنّارْ. فتنة من عجينة الخُرُوفِ البِكْرِ، وَ مَرَقِ الألوَانْ المُتخثّرِ والأسرَارْ.

والفنّان القيروانيّ الخلُوق الألمعيّ المُتمكّن، (خالد ميلاد)، يتعامل مع الحروف على أنّها كائنات حيّة تسعى. وهو يُحوّلها إلى لوحات فاتنة وملهمة, فثمّة في لوحاته حروف باردة, وثمّة حروف دافئة وثمّة حروف خافتة, وثمةّ حروف صائلة, وثمّة حروف خاملة, وثمّة حروف طائرة وثمّة حروف باركة وثمّة حروف حاضنة, وثمّة حروف نافرة, وثمّة حروف حاملة, وثمّة حروف قاذفة, وثمّة حروف تقبل العناق من اليمين واليسار, وثمّة حروف لا تقبل إلا الرّكوب ولا تبيح نفسها إلا من جهة واحدة, وثمّة حروف مفردة, لا تقبل ان تتعانق أو تُعانق, وثمّة حروف مُسنّنة وثمّة حروف مقنّنة وثمةّ حروف طينيّة وثمّة حروف هوائيّة وثمّة حروف مائيّة وثمّة حروف ناريّة. وثمّة أسرار جمّة بل ثمةّ حيوات وحيوات، هيّ بويضات تفقس في عشّ الحروف والرّسوم والألوان بمرسمِهِ. وفي ثمانية وعشرين حرف. ثمّة كلّ الأسرار، التي يستنطقها، بحرفيّة الفنّان العاشق. وهي لديهِ، خيط لا نهائي لنيسج الخلق اللانهائي..في حضن ضلوعه و أشكاله الهندسيّة الأربعة: الدائرة والمستطيل والمربّع والمثلّث....

الفنّان (خالد ميلاد)، كمُنجز إبداعي، هوّ التّوأم الفنّي للفنّان الكبير (حسين مقدادي). صاحب الأنصب الفنّيّة العملاقة، عند مداخل القيروان، مثل نصب (الرّقّ الأزرق - و نصب الإسطرلاب - والألواح - ونصب الزّربيّة....وغيرها). ولكنّ كلّ منهما إختار جهة من صدر القيروان الولاّدة، فهذا رضع من ثدي منبع الحروف

وأسرار الألوان الأولى للعناصِرِ. والثاني رضع من فلسفة معمارها وأساطيرها. فكانَا معًا، تكامُلَ القيروان، وكلاهما الإبن الشّرعيّ البار، الذي ستحضن إسمه ورسمه ومُنجزه آلاف السنوات بعد رحيلنا وعودتنا لعجينة الصلصال والتراب المحروق...فشكرًا للقيروان العجوز الولاّدة، التي مازالت كعهدها، لا تبخل علينا بكبار وحقيقيّين في كلّ مجالات الفنون والإبداع...كبار بمنجزهم. وكبار بأخلاقهم وحبّهم الصّادق للقيروان....

****

- (فكّ شفرة اللّوحة رقم واحد / من ثلاثة وثلاثين)

... (((ولولا أن يُساءَ بي الظنّ، لناديتُ بخلع النّعال، عند دخول القيروان...)))

- هيّ جملة مسكونة و حُبلى، قطفها الفنّان القيروانيّ الألمعيّ (خالد ميلاد)، وجعلها تفقس معانيها، في تقابل مُتكامل لخطّيها.. وتتكاثر فيما يليها، فلا هيّ تبعدك عن باب أسرارها، ولا أنت بغير مفتاح لمغالق أسرارها تُدنيها....وهي سطر، من قصيد لي، هيّ أحد (عتبات القيروان). فجعلها سُورًا يلفّ القيروان. أوْ هيَ قلادة من جُمان. حيث يتعانق الحرف بالألوان. وبينهما برزخ. ولكنّهما يلتقيان. وثمّة صولجان. وثمّة يدان. بل هما جناحان. وخبّأ فيها قبّة ومحراب. يقف عليهما حارسانْ. هما: الصّومعتان. (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ). يا معشر الإنسِ والجانْ؟؟..نحنُ قلنا، منذ البدءِ، وكفَى: - أوّل الألوان: طينها المحروق. وآخر اللّغة: حروف اسمها الخمسُ.. فإن شِئتَ، فأرسمها دائرة. هيّ الكمال، والإكتمال. وإن شئت فارفع برأسك شاخصا للسّماءِ. وقل: - يا الله...هيّ القيروانْ

- (فكّ شفرة اللّوحة رقم 2 / من ثلاثة وثلاثين)

(((وأرفعُ كأسِي كلّ ظُلْمةٍ، صَوْبَهَا...فإذا لاحَ بعض النّورِ، اكتفيْتُ وعُدتُ كأسيْن للوَرَاءِ، شاخِصًا...حتّى أرَى: - أين تُرَانِيَّ، إنْتَهَيْتُ...فإن كَانَ سُورهَا، تهَالَكتُ، مَقتُولًا...وَإنْ كنتُ ما أزَالُ بعيدًا، بكيْتُ)))....يحوّل الفنّان الألمعيّ (خالد ميلاد) قصيدتي، إلى نداء. حيث يمكنك أن تدخل القيروان من أيّ الأبواب تشاءْ... قبابٌ...قِبابٌ... قبابْ... ووراء كلّ عين ثمّة بَابْ... والأقواس، علامات ترشد العاشق لأسباب العِتابْ... فثمّة في القلب عصفور ترك الغابْ، وحطّ على سُرّة القيروان، يسأل: - هلْ سمعتمْ عن عاشقٍ مكلوم القلب، وتابْ؟؟....القيروان، خطيئة الغاب، حين تخلّى عن الشّجر، وعاد يقطف أنسه من وحشة ثمار الحجر... وثمّة في اللّوحة توق وطوق. وثمّة مقام وسفر. وثمّة في اللّوحة شكوى من القيظ، ومن طول انقطاع وِصال المطر....وثمّة ما ثمّة: ثمّة أسرار جمّة...ثمّة فحمة عادت جمرة. وثمّة صحوٌ، سألَ في منام العاشق خمرة... وثمّة والله، ما ثمّة...ثمّة مُدُنٌ، هيّ الأمّة. والقيروان مُفرد جمع، في أمّة...

- (فكّ شفرة اللّوحة رقم 3 / من ثلاثة وثلاثين)

القاع شريط من قشور الرّمّان. هكذا في البدء، يبدأ رسم القيروان.

والدّيك كما العرف النابت، يمين اللّوحة، يترجم مقامات الفجر لترانيم الآذان... ولكلّ قطف موسم وأوَانْ. والقبّة الحُبلى تفقس حكايات واساطير و عيدانْ. قلْ لنا، بربّك يا حارس السّور وحافظ أسرار القيروان، هل كنت تسمع شكوى الألوان، لترى البُنّي حرثٌ من الذكريات المفتوحة و أدراج مغلقة من النّسيانْ ؟؟...طُوبى لطُوبة محروقة ألهمت فنّانْ. ليتغنّى بها شاعرٌ ولهانْ... ويتعانق القلم والرّشة بوئام.... فسبحان من أخرج القيروان من الغابِ اليابسِ. وأسكنها غابة الألوان....

بنية الكرونوتوب في «فجّ الضباب» للأزهر الزنّاد

أحمد السماوي (جامعة صفاقس)

تقع رواية فجّ الضباب (2023) في 342صفحة، وحوت تصديرًا يقول: «في البحث لذة لا تُقاوَم»، وضمّت ثمانية وثلاثين فصلاً مرقّمًا. تقصّ الرواية حكاية غياب «منعم الباسطي» الطبيب الجرّاح وزوجته غالية المحامية في 2008، ليلةَ سفرهما من تونس العاصمة إلى «ديار باسط» لتوديع أمّه المحتضرة. وقد تركا ابنهما «وليدًا» في رعاية الجارة رحاب. ولكنّهما يختفيان. وتموت الأمّ دون رؤيتهما؛ ويجتاز الولد المناظرة بتميّز. ولا يتوفر الجواب لاختفائهما إلّا بعد اثنتي عشرة سنةً (2020)، عندما تخرّج وليد مهندسًا، محقّقا بذلك لأبويه حلمهما بنجاحه، ومبرهنا على نقاوة عِرض والده من اتهام النّظام له بالاتّجار بأعضاء البشر مقابل أموال طائلة.

وبظهور الجواب ينقشع الضباب الّذي يلفّ وضع الأب وتبطل المطاعن في شرفه المهنيّ. وانتفاءُ هذه الضبابيّة يدعو إلى النظر في بنية الرواية أواحدة هي أم ثنائيّة أم متعدّدة؟ وإذا تعدّدت فما الذي حكم تواتر حكاياتها؟ وهل طال تعدّدُ الحكايات تعدّدَ الكرونوتوب؟

بنية الرواية

متى دخل القارئ على الرواية لفت انتباهه قيامُها على ثنائيّات متعدّدة؛ لعلّ أولاها الحكاية التي بدأ الأب منعم يقصّها على ابنه؛ ولم يعتّم أن انقطع عن مواصلة سردها داعيًا هذا الابن إلى النوم. وعندما أعاد روايتها على زوجته غاليةَ وقف حيث وقف في قصّه إيّاها على وليد ابنه. وتمثّل هذه الحكاية تضمينًا انعكاسيًّا (Mise en abyme) ، إذ ستتكرّر في الرواية في حكاية الاختفاء لمنعم وغالية. وتعود هذه الحكاية إلى الاكتمال في التسجيل الذي عثر عليه وليد في هاتف أمّه المحمول بصوت منعم. وقد سبق للولد أن طلب من أبيه، وقد تراءى له نجمةً كنجمتي أمّه والأمّيم «أن يكمل تلك القصّة.. قصّة الأمير العريان وما فعل مع أميرة البحيرة التي خرجت له من أعماق المياه...» (فجّ الضباب: 259). وما سمعه وليد من حكاية حسام المـُلك مع أميرة البحيرة مبشِّر بما سيؤول إليه أمر الزوجيْن. والحكاية الثانية هي الحكاية المتضمّنة التي تستأثر بمعظم الرواية. وهي، إذ تبدأ ولا تنتهي حتّى الفصل السابع والعشرين، ينبغي انتظار العثور على التسجيل في الهاتف المحمول لتكتمل.

إنّ هذا البناء القائم على تضمين انعكاسيّ تعيد فيه رواية طبيعيّة إنتاج حكاية من الخارق لا يتّفق وبناءً آخرَ جليًّا ما بين طوريْن من حياة

وليد الفتى. الأوّل يتّصل بعيشه بين أحضان أبويه محاطًا بعطفهما وتدليلهما إيّاه، وبحبّ جدّته الأمّيمة إيّاه، وهو يتردّد عليها وعلى عمّه سامي في «ديار باسط»، وبحبّ جارته رحاب إيّاه وسهرها على راحته في غياب أبويه. ينتهي هذا الطور الأوّل بنجاح الفتى بامتياز في مناظرة الدخول إلى الإعداديّ وبوفاة الجدّة وباختفاء الأبوين. ويتّصل الطور الثاني بوليد، وقد تخرّج مهندسًا، ليكتشف، وهو ينجز أوّل مشروع في حياته العمليّة، هو جهر البحيرة المسمّاة «فجّ الضباب»، ما ظلّ سنوات يبحث عنه؛ وهو غيابُ أبويه المفاجئ.

ورغم التنبيه إلى حضور وليد فتًى فشابًّا في الطوريْن، فقد كان التركيز على منعم الطبيبِ الجرّاح وزوجته غاليةَ المحامية. وظهر هذا التركيز منذ الصفحة الحادية والثلاثين حتّى آخر الرواية تقريبًا. وبدا أنّ ثمّة موقفيْن من غياب الأب منعم وزوجته. فقد لفت هذا الغياب أنظار كلّ الأوساط رئيسَ دولة، ومديرَ استعلامات، وشرطةً، وأصدقاءَ، وأهلاً. فالرجل طبيب مشهود له بالقيمة؛ معارض للسياسة الرسميّة للدولة؛ مقاليّ لاذع الانتقاد. فهل قُتل؟ ولكن، أين جثّته وجثّة زوجته؟ وهل اختُطِف؟ ولكن، من عساه يختطفه؟ أهي السلطات الأمنيّة أم عصابات الاتّجار بالأعضاء البشريّة؟

لزهر الزناد

يتجلّى من خلال سيرورة الحُبكة أنّ ثمّة موقفين: أحدُهما يقول إنّ منعِمًا عضو في عصابة الاتّجار بالأعضاء؛ ولمـّا تخاصم مع أفراد العصابة وقع الاقتصاص منه. وهذا ما تفيد به تقاريرُ السلط الأمنيّة. وموقف ثانٍ يعيد الأمر إلى أمرٍ مّا. فما عساه يكون؟ يظلّ تفسير الغياب محلّ ريبٍ. ولن يتمّ الحسم بزيف رواية السلطة إلاّ بعد اثنتي عشرةَ سنةً، عندما يتّضح أنّ سيّارة منعم قد هوت في البحيرة التي جفّت وغمرتها الأتربةُ. وقضى انغلاقُ السيّارة على الرجل وزوجته بأن يموتا اختناقًا ولا يتحلّلَ جسداهما نظرًا إلى عدم دخول الهواء إلى السيّارة.

يحضر كلُّ ذلك ضمن التسجيل المعثور عليه في هاتف غاليةَ المحمولِ؛ ويسوقه الراوي في الفصول الأخيرة بدءًا من الفصل الخامس والثلاثين. وبذلك يقطع وليد الشكّ باليقين ويتبدّد لديه كلّ التشكيك الذي عملت السلط السياسيّة على إلصاقه بوالده من تهمة الاتّجار بالأعضاء والانخراط في عصابات الجريمة المنظّمة.

وهكذا يتّضح أنّ الرواية تبنّت موقفيْن من منعم: موقفَ المتأثِّر لحاله يغيب هو وزوجتُه في ظروف غامضة؛ وموقفَ المتشفّي منه لضلوعه في الجريمة. وإذ تنوس الرواية بين الحكايتين يتّضح أنّ الكفّة ترجح آخر المطاف لفائدة منعم وزوجته، ومن ثمّ، لفائدة آل الباسطي، وقرية «ديار باسط» رجحانَها لخدمة المنطقة بتوفير الماء الذي به تنمو زراعتُها وتعيش دوابُّها ويزدهر اقتصادُها. وبذلك تتبدّد كلّ ضبابيّة تحيط بسمعة الأب، ويُرفَع كلُّ لَبسٍ في سلوكه من شأنه الإساءة إليه وإلى الأمّ. وهذا ما يبرّر الجمع في عنوان البحث بين «الضباب» كما في علاقة التضايف القائمة في عنوان الرواية، وانتفاء الضبابيّة، بما هو تبرئة مطلقة من تهمة شنيعة. فكيف خدمت الحكايتان المتضمّنة والانعكاسيّة هذا الترجيح لكفّة النقاء على حساب التشويه؟

حكاية وحكاية

إنّ قيام الرواية على حكايتيْن متضمّنة وانعكاسيّة، وعلى طوريْن تفصل بينهما اثنتا عشرة سنةً وعلى شخصيّتيْن رئيستيْن هما الأب منعم الجرّاحُ وابنه وليد المهندسُ يجعلها قابلةً

لأن يكون بناؤُها بناءَ تناوبٍ أو بناءَ تجاورٍ أو بناءَ تضمين. وقد قبلت هذه الرواية بأن تتّخذ سمْتَ التجاور والتضمين والتناوب في آن معًا. فحكايتا الأب وابنه، وإن باعدت بينهما السنون، ظلّتا متّصلتيْن منفصلتيْن في الآن نفسِه. فبإمكان الحكاية الأولى أن تقف عند حدود الاتّهام بالانتماء إلى عصابة المتّجرين بالأعضاء. ولكنّ إصرار وليد على الربط بما سبق جعل حكاية الجهر للبحيرة سبيله إلى الكشف عن حقيقة الوالد. ومن هذه الناحية، تبدو الحكاية الثانية مستقلّةً عن الأولى مرتبطةً بها ارتباطَ تجاورٍ وارتباطَ تضمينٍ. فحكاية وليد لا يمكنها أن تكون إلا جزءًا من حكاية منعم. ولعلّ اكتشاف الابن سيّارة أبويه مغلقةً عليهما، وانتباهَه إلى كونها تحمل الماركة نفسَها والرقم المنجميّ نفسَه، وعثورهَ على هاتف أمّه المحمول ساقطًا إلى جانب الكرسيّ أن تكون جميعُها ممّا ورد في الحكاية الأولى ويرد ثانيةً في الحكاية التالية. أمّا التناوب بين الحكايتين فيشهد عليه استكمال حكاية حسام الملك مع أميرة البحيرة، وقد ظلّت لمرّات ثلاث تؤجّل في حكاية الأب عندما امتنع عن إكمالها حضًّا للولد على النوم ودعوةً للزوجة إلى الراحة بعد يوم تعب ومشقّة وإلى النوم كذلك، وعندما لم تستجب نجمة الوالد إلى دعوة وليد الراغب في استكمال الحكاية. وما بين الحضور الأوّل والثاني والثالثِ الأخيرِ تحضر حكاية منعم وغيابه.

وإذا صحّت أنماط البناء الثلاثة هذه في مستوى الرواية فثمّة أشكال أخرى للتماثل بين حكاية وحكاية إن أخذناها تفصيلاً. فالتيه الذي حصل لحسام الملك في الحكاية العجيبة طبع مسيرة البحث عن اختفاء منعم وغالية في معظم الرواية. وحصل هذا التيه لسامي يقع في لحظةٍ مّا، هدفًا لاتّهامه بالمسؤوليّة عن ضياع أخيه. وحصل التيه نفسُه لأحمد بلحاج المحامي عبثت به كاتبتُه الخاصّةُ فباحت بالسرّ المهنيّ وأمدّت زوجَها ذا السوابق العدليّة بما به يبتزّ سامي ويسطو على ماله. وحصل التيه نفسُه للمرويّ له يذهب في ظنّه صحّةُ اتّهام منعمٍ بالاتّجار بالأعضاء البشريّة.

ولهذا التشابه بين الحكاية العجيبة المتضمِّنة والحكاية الواقعيّة الانعكاسيّة حضور ثانٍ يتمثّل في عودة الحديث عنهما في الطور الثانّي من الرواية. فقد أُعيد الكلام على الغائبيْن بما يكشف سرّ اختفائهما وأُعيد الكلام على حسام الملك يتحايل على أميرة البحيرة وسمكاتها ليعود سالمًا إلى مملكته. وقد ألحّت الحكايتان على الإشارة إلى صفات كلا الرجليْن والتغنّي بها، ناهيك أنّ الطبيب في جراحته ماهر، وحسامَ الملك في تدبير شؤون مملكته ذو حنكةٍ وفطنة (فج الضباب: 322)، وممّا يدلّ على ذلك أنّ حسام الملك، وقد بذل جهدًا في إغراء أميرة البحيرة بانتظاره ريثما يقضي في مملكته شأنًا ليعود إليها، وجد ثيابه قد سُرِقت وطريدتَه قد ذهب بها اللصوص. فعزم على أن يقفوَ آثارَهم ويبطش بهم إذا ما عثر عليهم. وفي صنيعه مع أميرة البحيرة واللصوص تقمّص دور المفتّش الخاصّ يبحث في الجريمة ويتقصّى آثارها. ويذكّر صنيعُه هذا بالرواية البوليسيّة التي تنخرط فيها الرواية الطبيعيّة انخراطًا شبهَ تامٍّ، ناهيك أنّ الطور الأوّل يتعلّق بها؛ وكذا أمر الطور الثاني، بدءًا من الفصل الحادي والثلاثين كما سبق القول.

ولئن لم تدّع الرواية أنّها بوليسيّة فقد توخّت نهجَها. وهو ما اتّضح منذ الفصول الأولى. فغياب منعم وغالية يمكن اعتباره الاضطرابَ الذي خرق التوازن الأوّليَّ المتمثّلَ في علاقة الوئام بين منعم وزوجته وعلاقة الوداد بينهما وبين ابنهما وليد. وكلّ الثلاثة ذوو وضع طيّب، نجاحًا في العمل طبيبًا ومحاميةً، ونجاحًا في الدراسة تلميذًا متميّزًا على وشك النجاح في مناظرة الدخول إلى الإعداديّ. وهم في وئام مع «أمّيمة» الجدّة و»سامي» العمّ. وهذا التوازنُ الأوّليُّ، إذ يضطرب، يفرض على هذا العمّ أو الأخ الأصغر البحثَ عن منعم وزوجته. ومنذ هذه اللحظة، اتّجهت الحكاية نحو أن تكون بوليسيّةً بحقّ، فيها استقصاء لمعرفة الغياب وأسبابه. وقد ذهب الظنّ برئيس قسم الشرطة إلى وجود خمس فرضيّات رتّبها حسَب الأولويّة هي حادثُ سير، وفيضان، واختطاف، وقطعُ طريقٍ، وفرار إلى خارج الوطن (فج الضباب: 115 – 118).

وأنْ تُعرَض هذه الفرضيّات ويُجابَ عنها بفتح تحقيق بشأنها يُدخِل الرواية وجوبًا في خانة الرواية البوليسيّة. بيد أنّ المحقِّقَ الذي إليه توكَل عادةً أمورُ البحث هو ليس الأمنيّ، بل الأخ سامي والابن وليد. وحتّى إن تكفّل الأمنيّ بالبحث، فقد وقف دون تحقيق نتيجة تُذكَر. وهو ما حدا بسامي إلى أن يعوّل على نفسه وأن يشرك ابن أخيه في التحقيق. فبادرا إلى تتبّع خيط السير الذي يأخذه منعم وزوجتُه نحو «ديار باسط»، فوقفا على محطّات البنزين والمستشفيات ومراكز الشرطة، واتّصلا بالمحامي أحمد بلحاج لاستفساره عمّا يجدّ من جديد. كلّ ذلك يتمّ بمجهود شخصيّ من سامي الذي بلغه أنّ رئيس الدولة نفسَه قلق لاختفاء منعم، ملحّ على مدير الاستعلامات بالتدخّل السريع لفكّ طلسم هذا الغياب. فالصحف الأجنبيّة على علم بالخبر وتتابعه عن كثب وليس يحسن بالدولة أن تسمح لمنتقديها في الداخل والخارج بأن يتقوّلوا عليها.

ورغم هذا السعي الحثيث من جانب سامي وصحبه يقف التحقيق دون توفير أيّ بصيصٍ من الأمل في العثور على منعم وزوجته. وبذلك ينتهي الطور الأوّل عند حدود الفصل الثلاثين وتهمة الاختطاف هي الأكثرُ رجحانًا، ووصمة العار هي الأكثر قربًا من منعم يشارك عصابات الاتّجار بالبشر شرورَهم. وهو في ذلك شبيه بحسام الملك تاه في البحيرة وابتلعته أمواجها جريًا وراء أميرتها.

ولكنّ الطور الثاني من الرواية لا يدير ظهره للرواية البوليسيّة فيمتنع عن مواصلتها، بل هو يستكملها في شخص محقّق خاصٍّ جديد هو المهندس وليد بعد اثنتي عشرة سنة. وهو ما يزيد البناء الثلاثيّ تناوبًا وتجاورًا وتضمينًا تأكّدًا. فطور الرواية الثاني يتناوب التحقيق مع طورها الأوّل؛ ولا سبيل إلى الاكتفاء بالطور الأوّل ولمّا تقضِ الرواية برأي في الاختفاء ومبرّراته باتّ. لذلك جاء جهر البحيرة سببًا في العثور على ما به يقف وليد على أنّ الاختفاءَ حادث (Évènement) تسبّبت فيه العاصفة وليس نتيجة لفعل (Action) أتاه أحدُهم.

ولعلّ التباين الكبير، في بعض المواطن من الرواية، بين المدى ((Portée) المسافة التي تفصل زمن الحكاية حيث توقّفت القصّة عن زمن الحكاية الذي تتنزّل فيه القصّة المنتمية إلى زمن سابقٍ أو لاحقٍ) والسعة ((Amplitude) مدّة الحكاية التي تمسحها القصّة الخارجة على نقطة الزمن التي وصلت إليها الرواية)، وفيما بين الطوريْن الأوّل والثاني منها أن يلفت الانتباه إلى الزمان والمكان فيها. فكيف تجلّيا في النصّ؟

الكرونوتوب

يتعلّق الكرونوتوب بالزمان والمكان مترابطيْن، إذا ما تغيّر الزمان تحوّل معه المكان. وهذا جليّ فيما بين الطوريْن: فجُّ الضباب هو المكان الذي اكتشف فيه وليد حقيقة غياب أبيه وأمّه، وإن حضرت العاصمة مكانًا ثانيًا عرض فيه وليد بمعيّة ياسمين مشروع تخرّجهما. وهذا الفضاء الرئيسُ والثانويّ يمثّل في 2020 نقيضًا للفضاء الذي ساد في 2008 عندما كان يراوح بين العاصمة و»ديار باسط». وتحوّلُ الفضاء بين الطوريْن موافق للتحوّل بين الزمنيْن. لكنّ خيطًا رفيعًا رابطًا بين الزمنيْن والمكانيْن هو ذاك الذي تنتمي إليه الحكاية المضمَّنة. فهي تراوح بين برٍّ هو عنوانُ سيادةٍ لحسام المـُلك يسبق دخول البحيرة ويلحق بالخروج منها، وبحرٍ هو عنوانُ إيقاع به. ولعلّ الاشتراك أن يتمثّل في الربط بين الغياب وانتماء منعم إلى المتّجرين بالأعضاء، من ناحية، ووقوع حسام الملك في شَرَك أميرة البحيرة، من ناحية أخرى. وهو يرتبط كذلك بتخلّص حسام المـُلك من الأميرة، من ناحية، وتبديد التهمة عن منعم وزوجته، من ناحية أخرى.

هكذا يرتبط الزمنان، بل الأزمنة الثلاثة بالمكانيْن أو الأمكنة الثلاثة، ليصير الفضاء والزمان المتعدّدان العنصرَ المهيمن. وهذه الهيمنة لا ترتبط وجوبًا بالسعة التي تميّز حكايةً من حكايات الرواية الثلاث. ولو سلّمنا بهذا لكان لما بين العاصمة وبو منجل من ذهاب وإياب الحظُّ الأوفر من الزمان والمكان. لكنّ مكان «فجّ الضباب» الذي خُصّ بالفصول الثمانية الأخيرة وبالطور الثاني من الرواية كان له الحضور الأهمّ. ففيه نتبيّن أنّ الضبابيّة التي كانت تلفّ سمعة منعم قد تبدّدت وبانت نقاوة سلوكه الطبّيّ. وكذا أمرُ حسام المـُلْك؛ فلئن كانت السعة التي حفّت بالبحيرة وساكنيها أكبر امتدادًا فقد كان أثرُها أضألَ في خلاصه من ورطته. وإذ حظي الطور الثاني بقيمة أكبر في الزمان والمكان تتبدّل مراتب الشّخصيّات في الرّواية بحكم تبدّل مراتب الحضور في ثنايا النصّ، وتبدّل درجات الفاعليّة بالاستتباع في لحظات التحوّل الكبرى الّتي تكتنف الأحداث في سيرورة الرّواية.

خصوصية التجربة الإبداعية في ديوان «شغف الفراشة» للشاعرة والتشكيلية هاجر ريدان

نعيمة الحمّامي التوايتي

يقول باولو كويلو:
ثمّة ناس كثيرون يخافون من الشغف، لأنه يدمر في طريقه كل ما يتعلق بالماضي».»

هكذا صدرت الشّاعرة هاجر ريدان مجموعتها الثالثة في توالي إبداعها الشعري التي صدرت في حجم متوسط عن دار زينب للنشر والتوزيع مارس 2023 وجاءت في 102 صفحة.

شغف الفراشة», 41 نصاً إبداعيا مختلفا من حيث الطول, ديوان شعر لشاعرة تغوص في الواقع وفي الذات بلُبُس المجاز. جمعت في ثناياه قصائد نثرية ذات أبعاد وجدانية وجودية، بلغة سلسة وصياغات أسلوبية مكثفة تَنْساب منها حكمة التجربة. حالات من التّأمل العميق تدوّن فيها الشّاعرة تفاعلاتها الذّاتية مع الزّمان والمكان ومع الآخر. تخللت هذه القصائد لوحـــات فنـــية تشكيلية تتماهى مع فلسفة هذه النّصوص الشعرية التي تعكس العلاقة بين فن الشعر وفن الرسم على مستويات عديدة.

فجاءت الصور المعروضة داخل القصائد لوحات مرسومة بالكلمات بدلاً عن الخطوط والألوان. وجاءت الرسوم التشكيلية نصوصا مرسومة بالخطوط. ضمّ الديوان ثلاث تصديرات، تصدير أوّل لمحمود درويش, وثاني لأنطوان تشيكوف والثالث لباولو كويلو. احتوى الديوان أيضا إهداء وحمل قفاه تقديما بقلم الأديبة التونسية مسعودة بن بوبكر. طبعة الكتاب لا تقدم سيرة ذاتية للشّاعرة. وهاجر ريدان مبدعة قلّما لامستها الأضواء رغم إشعاعها وإيمانها بان الأنوار تَسْطَعُ، كما سطعت في أوربا، بفعل اللغة: لغة الكتابة والفنون. لا يُرهقك البحث. بل يُلقي بك الجهْدُ على شاطئها آمنا.

هاجر ريدان أستاذة تعليم ثانوي، خريجة قسم اللغة والآداب والحضارة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس. شاعرة، تكتب القصة القصيرة وفنانة تشكيلية. ناشطة في المجتمع المدني. هي رئيسة جمعية حوارات في المواطنة وفرع نابل لرابطة الكتّاب التونسيون الأحرار. لها أنشطة ثقافية متنوعة مع جمعيات ومنظمات من تونس وخارجها. هي صاحبة المركز الثقافي «ريدار بمنزل تميم / RID' ARTS

انخرطت هاجر ريدان في المشهد الإبداعي التّونسي منذ سنة 2002 وذلك من خلال:

إصداراتها الشعرية

- «قصب السّكّر « ديوانها الأول 2002. عن دار نيرفانا للنشر والتوزيع
- «كزهر الياسمين» ديوانها الشعري الثاني 2011 عن نفس الدار
- « شغف الفراشة «ديوانها الثالث الذي بين يدينا

* المشاركة في إصدارات جماعية في القصة القصيرة:

- «عبق لاحق» 2020 عن دار الآن ناشرون وموزعون الأردنية
- «غرف العزلة» 2023 عن دار زينب للنشر والتوزيع التونسية

* مشاركتها في العديد من معارض الفنون التشكيلية، ففي رصيدها ست وعشرون (26) مشاركة في معارض تشكيلية جماعية وفردية. أقامتها أو شاركت فيها بتونس أو بالخارج

كما أسّست لشراكات فنية بالتعاون مع فنّانين تشكيليين هولنديين وتونسيين.

فعلى امتداد أكثر من20 سنة من العمل الإبداعي, قدّمت وتقدّم للمشهد الثقافي التونسي رؤى إبداعية هي وليدة مخيّلة خصبة متجدّدة بعد أن نهلت من تجارب متنوعة عالمية وتونسية, راكمتها فجاءت إضافة لها بصمتها في المشهد الثقافي التونسي، تقاوم رتابة الجمود والتحجر بين مختلف الفئات العمرية من خلال ورشات فنون الإبداع كتابة ورسما ومسرحا... آليتها الفنون على خطى درويش: «لقد هزمتك الفنون جميعا أيها الموت»

«شغف الفراشة» دعوة إلى الشعر والفن والمؤانسة. ينعشك بهمسه وبرقصة الفراشة التي ترمز إلى القدرة اللاّ محدودة على التجدّد والنُّضج وعلى الحُبِّ والحرّية. فتنتشي مع الحركة التي تدفعك إلى التأمل والتحليق في عالم الدّلالات والمجاز. عالم من الإبداع تمثّله الفراشة وترجمته قصائد الديوان ورسومه التشكيلية. تجربة تميزت بنائها الشعري الأنيق وبالمرجعية الثقافية التي مثلت خلفية هذا العمل. نتساءل عن خصوصية هذه التجربة برصدها وبالتأمل في عمق نصوصها حتى نتمكّن من الكشف عن رؤاها وانزياحات معانيها.

يستدعي منّا البحث في خصوصية هذه التجربة الوقوف على العتبات: ومدى علاقتها بالمتن

1/ قراءة في العتبات

- العنوان: هوية النصّ وعتبته الرئيسية. والعناوين نوافذ مشرّعة على التأويل. وهي مداخلنا للمتون لضمان سلامة القراءة. يمتطيها المتلقي قارئا أو ناقدا للوقوف على الدّلالة والإيحاء ما دام «الظاهر هو طريقنا نحو الباطن»على قول « بارط». فهو السّبيل للمرور إلى فضاءات النصّ القصية. لذلك تحتلّ هذه العتبات منزلة مهمّة إنشاء وتقبُّلا. تُلزم الكاتب التّأنق في التسمية والدّقة والتكثيف ليكون الإيحاء. وتُلزم المتلقي حسن الإنصات والفطنة لسبْر أغوار النص سعياً لبلوغ معنى على قول درويش:»نمشي ونمشي إلى المعنى ولا نصل»...

و»شغف الفراشة» عتبة بنمطها التصويري

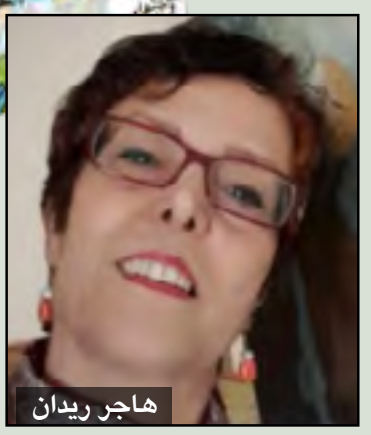
هاجر ريدان

تقترح دلالة لها حضور إشكالي, كثيرا ما تناولتها الأعمال الإبداعية بأشكال مختلفة. لذلك تُحفّزُكَ عند المصافحة على ولوج المتن للتعرّف على مناخات الكتابة الشعرية عند الذات الشاعرة.

بدا واضحا منذ العتبة الأولى أنّ الوعي بأهمية العتبات حاضر في ذهنها وهي توسّم مجموعتها الثالثة ب «شغف الفراشة». يورّطنا هذا العنوان في السؤال عن الواقع النفسي والمجتمعي الذي تعيشه الذّات الشّاعرة المتشظّية بين ثنائية الأضداد, يتقاذفها الواقع والحلم, الألم والأمل. فبحثت في أعماقها وغاصت في الواقع ترصده برؤى فنية تتطور بتطور تجربتها الإبداعية.

«شغف الفراشة» عنوان تشكّل من مركّب إضافي مضاف ومضاف إليه

* الاسم الأول، « شغف»، مضاف مضموم، نكرة، منسوب إلى الاسم الثاني « الفراشة».

* الفراشة، مضاف إليه معرّف ب(أل) ومجرور.

هل هذا التركيب مراد في ذاته؟ جاء في لسان العرب شَغِفَ بالشيء شغَفا، على صيغة الفاعل بمعنى قَلِقَ وللشّغف معنى الولع أيضا. شغفها حُبّا خرق شِغاف قلبها(غلاف القلب: سويداؤه) ووصل إليه. وقيل الشِّغاف هو داء في القلب

الشاعرة يعنيها الشّغف ودلالاته يقينا. ويعنيها إثبات شغف الفراشة. فامتطت هذا الشّغف في أبعاده المتعدّدة. تُطارحه والشعر آليتها.

فهي تلتزم مع المتلقّي بأنها تقدّم له نصوصا شعريّة كما جاء في التّعريف الأجناسي للكتاب وتدعوه إلى أن يكون ممتلئا بذاته وحُرّا حتى يكون مؤثرا وقدوة. يُحيلنا هذا على التصدير الأول الذي وشّحت به ديوانها حين أَسَرَّتْ إلى المتلقّي بان السير على خطى درويش يفتح أبوابا على الحرية بالشِّعْرِ.

فمحمود درويش استثناء في تاريخ الشعر ونموذج في توظيف التفاصيل في القصيدة التي سرعان ما تتحول إلى مزاج عام لمريدي الشعر خاصة المتمرّدين على السائد « حتى لو حاربهم كل من في محيطهم « كما قال بول تيليش.

يدعوك درويش إلى «فعل» العزلة لتشحن قواك وتعمل على إعادة تشكيل العالم بكتابة الشعر.»

في عزلتك، أمام مرآتك, ترى ذاتك دون زيف وترى العالم بوضوح فتعرف ماذا تريد وماذا ستفعل.

جاءت قصائد الديوان شبيهة بالرّسم الجرافيتي, فيها تأمّل في الواقع ونبش في الماضي لقطع روابط الشدّ إلى الخَلْف وبناء واقع جديد يحلو فه العش. الذّات الشاعرة تخاطب المتلقّي بنصوصها وتستدعيه ليشاركها هذا الفعل، ثقافة التأمل والنبش بشغف. «فالشغف يدمِّرُ في طريقه كل ما يتعلق بالماضي» كما جاء عند باولو كويلو. الشعر ثورة على الجمود والضّعف والقهر.

العنوان يوحي في رمزيته بهذا الشغف: الشغف بالشعر والمقاومة وبهوس الكتابة شكلا ومضمونا.

* شكلا نقف على:

- مشهدية اللّوحات الإبداعية شعرا ورسوما تشكيلية تترجم رؤى الشّاعرة عبر نقلها إلى المتلقي بإحساس مرهف ولغة سلسة

* من ناحية المضمون:

- تُبهرنا الذات الشّاعرة التي يُمثّلها هذا الشغف فتستحيل إلى فراشة بجمالها ، بحريتها، تعكسها ألوان لوحة الغلاف الجذّابة فتُضفي على المتلقي طمأنينة تعود لبراءة طفولة سابقة.

فترمز إلى الأمل والرّقة والعاطفة. ولحظة انقلاب عين نقف عند ضعفها ورهافتها وهشاشتها.

عالم من صراع الثنائيات في وجودية تجعل كينونة الفراشة صيرورة مرتبطة بغريزة هذا الكائن العاشق للنور والحرية، خصيصة قد تدفع به إلى الاحتراق في وهج النور كما جاء عند الفكر الصوفي الذي جسّدَ رمزيا رحلة روح المتصوف في « رحلة الفراشة إلى اللّهب». قد تكون إذا رحلة داخل حلقات القهر.

إن جناحي الفراشة مثل صفحتي كتاب مفتوح، تختلف دلالاته الأسطورية باختلاف الشعوب. فهي:

- * رمز القدرة على التجدد والاكتمال الأنثوي المقدس في المثيولوجيا القديمة : سايكي «Psyche»

هي الجميلة إلهة الروح, وهى الحب في أنقى صوره. والفراشة التي حوّلتْ سهام كيوبيد القاتلة إلى بلسم للحب والحياة، بعد أن كابدت بشدة في صراعها ضد اللعنة .

* هي رمز البعث في مختلف الديانات

* داخل المتن الشعري,سنقتفي أثر الفراشة « أثر الفراشة لا يمّحي « يقول درويش لنسبر انزياحات المعنى. يخاتلنا العنوان. فمنذ العتبة الأولى تضع لنا الشّاعرة إضافة مجازية حوَّلتْ العنوان برمته إلى المجاز.

هل تجعل هذه العتبة المتلقي يتوقف عند حقيقة كون النصّ انعكاس لأصوات متعددة حدّ التّناقض ؟

توسّط العنوان الغلاف فتماهى مع لوحته. خُطَّ باللّونين الأخضر/الأزرق تحف به ظلال بنيّة وبالخط الديواني القائم على ذائقة فنية تعتمد على التخيّل والتجريد يستمدها من مرونة حروفه وانسيابيتها وتواصلها وجمال شكله الممدود الذي يحاكي أشكال الأجساد في اللوحة لوحة الغلاف: العتبة الرئيسية الثانية للديوان.

* في سيميائية الصورة والتواصل: العتبة الثانية، صورة الغلاف

لوحة تشكيلية نقلت العنوان من المسموع المنطوق إلى المرئي المشهدي. مثلت لوحة»تجريدية-تشخيصية «تحتلّ غلاف الديوان، بتقنية أكواريل على ورق. جمعت بين الخطوط والأشكال والألوان والحروف للتشكيلية والشّاعرة هاجر ريدان. تُعبّر اللّوحة عن حيرة الإنسان الوجودية وعن فزعه مما يحدث انطلاقا من جدلية الصراع بين ثنائيات الوجود والعدم والمعتَّم والمضيء. في اللوحة, حضر الجسد بانحرافات عجائبية جعلته يتوالد أجسادا غريبة متراصّة، متقاربة أو متنافرة. وأصبح الوجه الواحد وجوه متعدّدة. شخوص مبهمة متضخّمة, محاصرة، تصارع ضدّ عدو متعدد في واحد, من أجل حُبّ البقاء بدافع غريزي, في فضاء عزلتها بكل هشاشتها وانكسارها. تحوّلت إلى كائنات غريبة، مسوخ رغم أنها أجساد غضّة في مقتبل القوة والعطاء تقول اللوحة. توحّشٌ مُطْبَقٌ وإنسانيةٌ مضطَهَدة، متمسكةٌ بشعاع من أمل تعكسه خلفية اللّوحة. تتحرك. تقاوم. تنتفض لتقويض القضبان التي تحكم قبضتها عليها. حضرت هذه القضبان في اللّوحة في شكل خطوط منغلقة، هي في الغالب خطوط ملتوية أو منكسرة، تعيق حركة الشخوص.

تنبني إنشائية اللّوحة عند هاجر ريدان, وكذلك مجموع الرسوم التشكيلة التي تجاور الكلمات داخل المتن، على خبرة دقيقة بالرّسم الخطّي الذي يعدّ دُربة على إدراك التّفاصيل وهندسة المشهد. وهو أساسي للتّوازن البصري داخل اللّوحة. «بل إنّ إخراجيّة التّوازنات الضّوئيّة واللّونيّة خاضعة هي الأخرى لبِنْيَةِ الخطوط التي يباحثها الرّسّام عندما يباشر القُماشةَ البيضاء في بواكير إنشاء اللّوحة». حسب الناقد خليل قويعة.

وكما حضرت الخطوط في لوحة الغلاف، حضرت الألوان. فهي الجاذب الأول للرؤية، يلجأ إليها الفنان حتى يستحوذ على قراءتنا البصرية لعمله. حضرت الألوان في احتفالية العشاء الأخير, تتعانق الألوان الحارة بالألوان الباردة التي استحالت

إلى خلفية يؤثّثها الأزرق الفاتح ناشرا مسحة الأمل على عجائبية الأجساد المتحوّلة والمختنقة في فضائها المغلق في كآبة شخوص زرقاء تُحيل على الفترة الزرقاء لبيكاسو بحزنها تقاطعا مع فترة الوباء العالمي الذي يهدد الإنسانية ويضيق عليها فسحة الأمل. حضر الأخضر والبني كلٌّ بدرجاته وحضر الأحمر... تفيد الدّلالات التعبيرية والنفسية لهذه الألوان على أن اللون الأخضر بدرجاته, فيه دعوة إلى السّلام والهدوء ويُجدِّد الطاقة المستنفذة. هو الملاذ من صخب الحياة وصراعها. الذي يثيره اللون الأحمر. إذْ نرى شخوصا بلون الحمرة لا تعرف السُّكونَ, كأنها في حرب لفك عزلتها. فعكست الحركة جمالية المشهد الذي يتوق إلى تحقيق الحلم بالتحرّر ليتجذّر في واقع جديد يعكسه فينا اللون البني بدرجاته فهو لون الأرض والتراب.

فالرّسامة التشكيلية قد:

- جمعت الخطّ والشّكل والحركة وفراغاتها والمساحات المغلقة والمفتوحة في تلطيخات تمنح ملامحها حيوية في فضاءات زاخرة بالعلامات والدلالات. فجاءت الألوان في تناقضاتها متعانقة في تنافرها

- اقتنصت الضّوء وروّضته فحضر مكثفا ومنعكسا على المشهد مما خلق تلوينة من التّناقض بين الجمال والفوضى والخيال والابتكار. تعكس هذه اللوحة أيضا تطوّر تجربة هاجر ريدان التشكيلية التي كانت وليدة البحث المتواصل في الجسد..

نتساءل عن السياق التاريخي لفترة إنتاج اللوحة حتى نتمكّن من فكّ شفرات الخطاب الذي تريد اللوحة تمريره بلغة الخطوط وحركاتها والأشكال والألوان وهذا التوزيع للضوء والظلال؟ وعن علاقة اللوحة بالعنوان وبالتصديرات والمتن؟»اللوحة التشكيلية هي نفق بين زمنين: زمن الإنتاج وزمن المشاهدة، خلال المشاهدة المتعمقة يمكن للمشاهد عبور هذا النفق» يقول الناقد الانجليزي جون بيرغر

وتقول هاجر ريدان في لقاء معها: «زمن العزلة هو زمن للإبداع...العزلة تجعلنا نفكر في ذواتنا وفي علاقتنا بأجسادنا وفي علاقاتنا بالآخر. فالعلاقة بالآخر هي أيضا علاقة جسدية وفي ذلك تأكيد على البعد الاجتماعي للظاهرة . فهي علاقة جسد راسم بجسد مرسوم. تنطلق من وعي الفنان بذاته وبالعالم.

الفنان بعمله التشكيلي يسعى إلى نحت جسد آخر منشود من خلال تعرية الموجود...»

لوحة الغلاف تنضوي ضمن تجربة هاجر ريدان الإبداعية التي بدأت مع تفشي وباء الكوفيد والدخول قسرا في عزلة. وهي لوحة تعكس مختلف الضغوطات النفسية والاجتماعية التي تناولها قصيد «الأجساد» ص.21/22 بالديوان.

نرى أنّ إنشائية اللوحة جاءت لتُعبّر عن أحاسيس متراكمة في الشعور واللاشعور للمبدعة وهذا أيضا ما يبرزه عنوان الديوان. فصورة الغلاف وعنوانه متماهيان فكانت الشّخوص فراشات مأزومة تبحث بشغف عن بؤرة ضوء بالغوص في ذاتها وبتمردها على محيطها.

وتدعوك الذّات المبدعة هنا أيضا أيها المتلقي إلى أن تدخل محرابها وتتطلع على تجربتها وتشاركها فعل التغيير والثورة على السائد من أجل حرية الإنسان وأنسنته. وتشهر الفنون سلاحا وتنتفض لتقوّض القضبان المكبلة للحرية وللإنسانية. أ لَمْ يُخْرِجْ الفنّ أوربا من الظّلام إلى النّور والحداثة؟

لن يكون هذا التغيير إلا بالشغف بمعنى التفكير العميق والثورة على العراقيل رغم الهشاشة والمعيقات. هذا ما أوحى به العنوان وأبرزته اللّوحة وكذلك عتبة الإهداء والتصديرات المرافقة

* الإهداء، عتبة تجمع ثنائية التّشْكيل والعدم

«إلى روحين هناك أبي وأمي وقد صنعا مني ما أنا عليه فراشة ... تعشق الضوء»..»، الأصول، النواة الأولى للعائلة هما الموطن.. هما الذّاكرة الجمعية بكل تلويناتها التي تتموقع فيها الشّاعرة وفيها ومنها يتراكم مخزون تجربتها. تنبش في الذاكرة وتهدي هذا العمل ليكون قبسا للآتي. فعبارة « إلى روحين هناك» ترقى إلى عتبة العنوان وتمنحها بعداً مضافاً قادماً من « أبي وأمي»وترسم فيه الشاعرة بلغة تصويرية المناخ التشكيلي للحدث على النحو الذي يخلخل طبيعة الذكرى المعلّقة في الإهداء وتعكس الهَيْبَةَ والتأهُّبَ: هيبة الذكرى والتأهب للتأويل لنقف على السائد في مناخات الموطن والوطن واقعا وترميزا تحملنا إليه أجنحة الفراشات شَغَفا لخرق شِغافِ الدلالة.

* في التصدير

يشير التصدير الأول إلى أن العزلة هي اختيارٌ حُرٌّ وهي فترة للتّأمل الهادئ والرجوع إلى الذات ومساءلتها والغوص في أعماقها.

يقول درويش: «وماذا لو كنت وحدي؟.. العزلة قد تكون اختيار... الحرِّ...»

ويقول انطوان تشيخوف في التصدير الثاني « إذا بقيت صامتا ستكون سعيدا بينك وبين نفسك». ففي الصمت تغيب لغة الكلام ولا تغيب الدلالة، بل تكون أكثر تعبيرا.

وهذا هو التجلي في البحث والتأمل لان ذلك يجعلك ترى بوضوح. وبشغف تُعلن ثورتك على العراقيل و» تدمر ماضيك المعرقل وتقطع معه لتُقْلِعَ وتُبعث من رمادك جديدا. وهذا ما نستوحيه من التصدير الثالث لباولو كويلو:» ثمّة ناس كثيرون يخافون من الشغف, لأنّه يُدمّرُ في طريقه كلَّ ما يتعلّقُ بالماضي.».

فالحرّية لا تُهدى والنضال شَغَفٌ وفعلُ حكمةٍ تأتي بعد تّأمل وتّفكير عميقين.

تلتقي العتبات في الدعوة إلى الغوص في المعاني البعيدة بقراءة ما بين السطور. لنكتشف ذواتنا بالنّبش في ذاكرتنا والثورة على ثقافة التقليد والقَيْدِ وكسْر حاجز الخوف. لنكون أحرارا قادرين على إعادة بناء العالم من حولنا.» أنا أفكِّر فأنا أتمرّدُ على السّائد. وانأ أفكّر فأنا موجود» والكوجيتو الديكارتي.

هذا سِفر الحياة الذي رسمته الذات المبدعة في رحلتها الوجودية.

عتبات حمّالة لخطاب متمرّد ينسج رؤى إبداعية من الخطاب المتواري بالداخل. تُخاتلنا وتدفعنا إلى ولوج المتن

2/ قراءة في المتن

أ / المبدعُ مناضلٌ يُكابد بشغَفٍ و»فراشة غير معنية بالزوال»

تقول الأديبة مسعودة بوبكر في تقديمها للديوان:

...«تُؤكد هذه المجموعة الشعرية الجديدة لهاجر ريدان على أن قلب الشاعر هو الفراشة الوحيدة التي تحمل صفة طائر الفنيق، كلّما أحرقته النار بُعث من رماده مجددا.. قلب الشاعر، فراشة غير معنية بالزوال وقادرة على مكابدة الشغف... ومتجددة بالانبعاث»

يُكابدُ المبدع من اجل حريته وكسر قضبان الظلم لنشْر القيم الإنسانية النبيلة، آليته الفنون المختلفة. أبو القاسم الشّابي كان كذلك. وكذلك درويش والصغير أولاد أحمد...

جميعهم كابد بشغف الفراشات . مكابدة عكستها آثارهم. واثر الفراشة لا يَمَّحي». فرغم هشاشتها تنتحِلُ الصمود مُصرّة

«...وهاجر ريدان على خطاهم تواصل حمل المشعل

«كبرق يشقُّ صدْر الحياة
تسقط الفراشة على قدميها
عارية منتشية بحلمها
كشمعة في مهب الركام... «
الديوان ص. 14

شمل الديوان قصائد نُسجت من تفاصيل الذّات المتجذّرة في ذاكرة حية, هي جزءٌ من الماضي الجمعي الذي عاشته وما زالت تعيش تأثيره. فغاصت فيه بمِشرطها, راكبة جناح الخيال, لتنفذ إلى عمق الإنساني في ذاتها, وتكتشف خلجاتها الوجدانية والنفسية, وتبني مواقف عكستها من خلال تيمات متنوعة وقصائد نابضة بالأحاسيس والرؤى بذائقة فنية جمعت بين الرّسم بالكلمات والكتابة بالرّيشة وبانعكاسات الضوء. بلغة شعرية فجّرت الطاقات الكامنة داخلها.

وترجمت المعاناة الإنسانية. جعلت من الطبيعة معجما مسكونا بالحركة وظّفته لبناء مَتْنِها الشِّعري. حضر البحر والشواطئ، الرمال والطيور بأنواعها البرية والبحرية: الحمام والعصافير والنوراس. حضرت الشرنقة والفراشة والعناكب. وظّفت أيضا الشّجر والزّهر، النّجوم، اللّيل والنّهار والشّمس والقمر والنّور والظّلام. تعدّدت القصائد وتنوعت عناوينها:(يفتتح الديوان ب»اثنا عشر خيطا من الجّلد»وينتهي ب « اثنـتا عشرة شرنقة» في مسبار توسِّمُه عناوين دالة منها: «امرأة لا غير»، «قارب الليل»،» ثمار القصيدة»، «أوراق صغيرة»، «امرأة الضوء»، عمر فراشة. ،»إمرة في زمن البوح»،» كوني الق الكون», مراوغة»، ، مساواة...). تقمصت الفراشة داخل المتن الشعري دلالات متنوعة معبرة في آن واحدٍ عن الرُّوح الشاعرة للمبدعة. تقول في قصيد «عمر فراشة»ص.ص.84/ 86 حيث تتماهى الذات الشاعرة مع الفراشة في صيرورة كينونتها. تقول:

بعد الستين بقليل
امرأة
تقف على عمر فراشة
عند حدود حبل الغسيل».
بعد أن تتذكر من تحب ومن غابت عنها
ضحكات عيونهم... ثمّ تطلق من قفص
الذكريات ذكريات أخرى
فتكتب وترقص وترسم وتحبّ
«كالفراشات تأتي سريعا
تمزق شرنقاتها
وتغيب في سرعة الضوء
لا فرق».

في الديوان يتماهى المَوْطن والوطن في ذهنية الشّاعرة.. فغنّت للإنسانية واحتفت بالجسد وبالحرية وكتبت في النوع الاجتماعي في علاقة جدلية تداخلت فيها الثنائيات: الزمان/المكان, الماضي/الحاضر والمستقبل،

الذات/الواقع الألم والخيبة/الأمل الوجود/العدم،الانكسار/ الانتصار, القيد/الحرية... لتجعل نصوص المتن الشعري نصوصا إشكالية.

في هذا المُنجز, اعتمدت الفنّانة التشكيلية على الفكرة فخلقتْ رؤية. وشكّلت الشّاعرة مشاهد فَبناء موقفا. فتحول»شغف الفراشة» إلى أرض خصبة للإبداع وصرخة من أجل غد أفضل. والناقد مرآة تعكس هذه الآثار ويُشْعِلُها بعد أن يفكّ شفرتها وينشرها رسائل بين القرّاء. ف»النصّ لا يحيا إلّا بالنص».

ب / في الوطن ورموزه

- في الوطن

قصائد: «المدينة الغرفة»، « اعترافات مدينة»، أجساد»،»غربة»

الوطن سجن يضيق بآلامنا بعد أن غزاه

الغرباء الذين قدموا من الماضي بإرث غريب دموي وأرادوا تغيير ملامح وطنها المتسامح الذي تعرفه. شبهتهم بالدود وأصواتهم كطنين الذباب،حفاة، عراة، برابرة خارج أبواب الحضارة والمدنية « بلا أحذية ولا جوارب « حيرة وجودية وصدمة تقول في قصيد « المدينة الغرفة» ص.42/43

«فضاء مغلق على دمي...
...
في غرفة ليست كالغرف
...
لا تترك للسّماء منفذا
ولا للسّحب العابرة
إلى حضني طريقا
تلسع أطرافي بإبر
كشوك النحل
طنين الذباب في أذني
وركض على السطح
بإقدام من الماضي
بلا جوارب
ولا أحذية
جدران بلا طلاء
ينخرها الدود «...

غرفة ضيقة محاصرة ،سقفها ليس من حديد وجدرانها ليست من حجر . بيت هش لا يوفر الأمن والآمان لمن فيه والمدينة حزينة كغصن فارقته زهراته بعد أن أصابه الذبول ولعبت رياح هجينة

بأحلامها الهزيلة... «في زمن العهر والأوبئة» قصيد اعترافات مدينة ص37/ 38. والزمن ساكت معها كالموت «

كما جاء في قصيد « رأسي ساعة حائط « ص.20

ويكون الصمت بديلا وملاذا والعزلة اختيارا

كل صفحات الدّيوان, شعرا ورسما, تعج مكابدة وتروي حكايا لكوميديا ساخرة ترميزا وتلميحا استعارة واستفهاما. تقول في قصيد «زهرة الحرية»ص 30

«....وخيوط العناكب
تتزاحم على زهور طرية...
...
تترشّف شفاه ماء
من سيقان عذبة...
....
ترقص جذلى
وهي تمتصّ عنفوان زهرة الحرية»

– في رموز الوطن

* كتبت عن الصّغير أولاد احمد، فقيد المنابر والكلمة الحُرّة وعن شهداء الوطن والغدر السياسي في رمزية عن الشّهيد شكري بالعيد.

* عن أولاد أحمد تقول في قصيد « كلمات إلى أولاد أحمد» ص. 16/ 15،

«هل تدري
لماذا تغيبت أنفاسها
عن ملاقاة ما فك من وجع؟»

« كلمات إلى أولاد أحمد»ص.16/15

«هل تدري
لماذا تغيبت أنفاسها
عن ملاقاة ما فك من وجع؟»

قصيد أنبنى على تكرار الاستفهام :» هل تدري؟» جعل من النص الشعري كتلة متماسكة ورثاء بيّنت من خلاله الشاعرة ما حملته من أسى وباحت بما اختلج في صدرها من مرارة الفقد لشخصيات لا تتكرر عبْر الزمن ، استعملت الشاعرة أسلوب الاستفهام في البوح عما في أعماقها من الم وحزن على وطن فقد رمزا من رموزه بحجم الشاعر أولاد أحمد. وتثبيتا لمواقف باحت بها مع ذاتها ومع المتلقي

وكذلك وسيلة فتحت لها نافذة تستشرف منها وطنها. فتدك برسومها قباب المدينة الهشة وتتطاول على بنيانها بشخوصها ورسومها(الرسم التشكيلي ص.17)

تقول في قصيد « كلمات إلى أولاد أحمد»

«وجعان إذا التقيا
تاهت أجنحة العصافير
ولن يبقى للشعر
حينذاك من كلمة.»

وتتماهى الذات الشاعرة مع أولاد احمد لتأخُذ منه مشعل القصيدة المناضلة حتى لا تضيع الأماني، فبينت بالاستفهام، عمق ما حملته من هموم.

عبر الديوان توالي الاستفهام وتكرار أدواته (هل، لماذا، أ، متى، كيف...)

أمثلة: قصيدة « كلمات إلى أولاد احمد», « هذا السؤال لي» ص.19 و«عناق الماء»

ص29 . كذلك قصيد « أسئلة أخرى ص 61...) هذا التّوالي وهذا التكرار كان أيْضا وسيلة من وسائل استدراج المتلقّي لتتبع النّص، لإثارته وتشويقه لمعرفة دواعي تلك التساؤلات ، وإدراك إجاباتها وان كان إدراك تلك المعاني يعتمد على قدرة المتلقي على فهم النص..

انظر مثلا قصيد « أسئلة أخرى ص 61 حين تقول:

« لماذا لا يأتي المساء
إلا مثقلا بأحزان النهار
وآلاف الأمنيات المتخثرة»

* غنت للشهيد (شكري بالعيد) قصيد: « عش آخر للغرام، ص. ص. 13/ 13 تقول:

« بحر في منتهاه رفيق
تناثر بين فجاج الشّوق
وسكت صوته عن مر الكلام...
سُكون يلف قبر الشّهيد
وخفق ريش لا معنى له
يطوي المدى على نصل حسام...»

تبكي رموزا قتلوا في إشارة إلى الاغتيالات السياسية التي وقعت في تونس سنة 2013 ذهب معها رموز القيادة الثورية بتونس. ثورة هُدرت نتيجة قراءة خاطئة وسوء تقدير ورؤى ضبابية ومواقف لم تواكب تطور نبض الشارع التونسي وقيادات مرتبكة غاب عنها الرأي السديد القادر على اقتناص الإشارات. حيرة وصدمة. لكن الأمل لا يموت يتجدد مع» البروق حلما وشموعا» رغم أن الوطن تحوّل في الآني إلى كهف مظلم.

2/ في التغني بالحرية

حضر مفهوم الحرية في هذا المنجز كتيمة أساسية اشتغلت عليها المبدعة منذ العتبات الأولى وعبر قصائدها الواحد والأربعين، بوصفها مشروعا إنسانيا منشودا تحمله الذات المبدعة ،

هدفه تحرير الإنسان من القهر بأنواعه. فرسمت للحرية بيانا ونشيدا ومقصدا على شواطئه تحط الرِّحال.

تقول على لسان الفراشة في قصيد حرية ص. 23

« قالت فراشة مخملية:
مزّقوا شرانقكم أشلاء
اشنقوا على أعواد الخمول خوفكم
هبّوا
هبّوا حيارى نحو المدى
إن المدى حرية «

قصيد قصير بستة اسطر تحريضي يقوم على أربعة أفعال أَمْرٍ : مزّقوا – اشنقوا – هبّوا – وهبّوا مكررة. تحريض على التمرد والثورة على الذات أولا (مزقوا – اشنقوا) ثم الزحف والهبّة لكسر الحواجز النفسية والجمعية من خوف وخمول وثقافة مجتمعية تقليدية وكل القيم التي تستعبد الإنسان فيتحدى الخوف ويبعث فينيقا من رماده.

قصيد يلتقي بالتصدير الثالث بالديوان ليعطي معنى التحريض والثورة للشغف.

3 / في النوع الاجتماعي

ترصد القصائد الإنساني الذي تلهبه سياط المجتمع الذكوري تستهدف حاضره ومستقبله فكتبت/رسمت لإثبات الذات الأنثى وتأكيد حضورها.

المتن النصي في قصيدة " اثنا عشر خيطا من الجلْدِ " ص. 9/ 11 القصيد الأول يحكي سيرة تلك الطفلة / الفراشة التي عبّرت عنها حركتها. حركة تحوّلت في الزمان والمكان بعدد لسعات السّوط تجْلِدُ الجَسدَ الغضِّ الذي:ارتجّ وارتعش «تحت صوت السوط» «ترقبه عين شمس ماكرة»»قبل أن يسقط الجسد الطري من الشجرة»

ويجعلنا لا نتحدث عن الشاعرة دون الحديث عن أناتها السّاردة التي تشتغل في منطقة صراع مؤلم وحسّاس. صراع الذّات / الأنا الساردة مع لحظة زمنية فارقة في صيرورة وجودها:

الأمس ذاكرة الأنا الجمعي التي تطفو بثورة الكلمات وتستدعي المتلقي لمشاركتها الفعل.

يُضْمِرُ القصيد قُوّة وعنفا يقابلهما انكسار وألم،

صور يعكسها عنوان القصيدة، يقرّها المتن الشعري وتمثلها علاقة صراع: الآخر العنيف، الرجل / الأنا/الطفلة/ النساء المرأةالضّعف والعجز. حقيقة جمعية مُرّةٌ وصرْخَةُ الذات الشاعرة لنفي الهزيمة، حتى لا تكون المرأة حبيسة البيت منذ سنها الحليبي:

* تسهيلاً للتحكم فيها

* «حفاظا على بكارتها» تقول مرغريت ميد(فيكون البيْتُ سجنا مؤبدا من الولادة إلى الموت. والمرأة أداة للإنجاب، هي الغواية والشّر، الخيانة والغدْر، حرباء في الأساطير والحكايات الشعبية). يرصد القصيد الإنساني الذي تُلهبه سياط المجتمع الذّكوري تستهدف حاضره ومستقبله فكتبت/رسمت لإثبات الذّات الأنثى وتأكيد حضورها الانساني.

قصيد عبَّرَ عن السّوط، سَوْط الدّهر والقهر الذي لحق المرأة(النساء)منذ طفولتها(هن) الأولى في المجتمعات الأبوية. فمثلا في المجتمع الروسي قبل ثورة 17 19 كانت المرأة تحت ضغط التقاليد تَحْمِلُ في جهاز زفافها سوطا لزوجها تعلقه في غرفة الزوجية. فهي تُقِرُّ بذلك أن العُنْفَ امتياز ذكوري يؤكد الفحولة/الرجولة في كل الظروف. يهرع إليه الرجُل وفق ما تمليه الثقافة إلى العقاب.

يرفض المجتمع أن يكون للمرأة كيان بكل طاقاته. فأعاق حركتها بأصفاده القيمِيَةِ التي هيمنت على الحياة الثقافية والاجتماعية وجعلها تبيعة للسّلطة الأبوية,فجاءت امرأة مُنكسرة, مُنكمشة في خوفها وذُعرها, مسلوبة الإرادة ولا يبقى لها إلا البكاء.(قصيد أوراك صغيرة ص.71)تقول:

« في الصباح
وحيدة بكت
كانت أوراقا صغيرة
تتساقط من شجرة رند خضراء
وتتناثر على مائدة ما»

هل تثير الذّات الشّاعرة مسالة التقسيم الجنساني وتُحيل إلي مفهوم النوع الاجتماعي؟

كتبت هاجر ريدان بكامل وعيها, وتعالى صوتها لخلخلة هذا الفكر الذّكوري وتفكيكه. وتقول لنا بين السطور أن الفروق البيولوجية ليست مقياسا لاختلال العلاقة بين الذكورة والأنوثة.

واغتراب المرأة ليس صفة طبيعية فيها. بل نتجت عن تربية ترسّبت في الماضي علمتها مُنذ لحظة ولادتها كيف تصبح أنثى، وكبحت نموها. «لا نولد نساء بل نصبح كذلك»تقول سيمون دوبوفوار. سلطت الذات المبدعة زومها حروفا وخطوطا وألوانا، تُعرّي المسكوت عنه. حمولة من القيم السائدة (العُرْف) تغذي الفعل والسلوك تغلغلت داخلها ووقفت على مكامن الخلل فيها يُضمرها القصيد ويُعريها. دعوة إلى إقامة وعي جديد يؤسس للمساواة التي تغنّت بها في قصيد مساواة ص. 54

«ثمّة فكرة في حقيقة نسائية
تمردت ... صرخت
فاندلق مخ رجل
في شارع الحريّة «

نادت بإلغاء الفروق الاجتماعية والثقافية التي ساهمت في إنتاج علاقة السّيد بالعبد، لإصلاح المجتمع تماما كما فعل الطاهر الحداد ومن بعده الزّعيم بورقيبة.

كتبت الشّاعرة من هموم الذّات، وذكورية المجتمع. ولم تقل أن الأنثى هي الأصل. بل دافعت عن المرأة ككيان يحمل فكرا ووعيا بالحرّية في مجتمع الرّقابة. لكنها لم تكتب عن المؤنث والمذكر وعن تكوين مجتمع النّساء.

جاء هذا المنجز الشعري لتشريك المتلقي تجربتها. فهل نحن أمام سيرة شعرية؟

تجلّى التاريخ الإنساني (بأبعاده السياسية والاجتماعية والثقافية) في القصائد تجلياً شعرياً، تتكثّف فيه الرؤية الإنسانية بعمق, دون أن يتحوّل هذا التاريخ إلى مُجرّد سردية لرواية الحكايا والأحداث.

تُصرّ الشاعرة على توظيف فاعل للجسد وللإنسان في بعده الكوني في كامل المنجز. لأن الإنسان معرّض للقيد رجلا كان أو إمرة.

هاجر ريدان مبدعة أثّثت للحلم ليلا بآلاف النجوم الساطعة لتكون المرأة ألق الكون تقول في قصيد « كوني الق الكون، ص70 وهو قصيد يتكون من مقطعين، لا يتجاوز عدد كلماته 31 كلمة في المقطع الأول و23 كلمة المقطع الثاني:

المقطع الثاني:

« سال الليل الفراشة: «هل تحبينني؟»
أجاب الشجر المُلَمُ بحُرقتها:
لا تأبهي للظُلمة
طيري ألوانا في السّماء
ابسطي ضوءك على راحتيك
وكوني ألق الكون»

قصيد يمحو أشجان الوحدة, قصيد «أوراق صغيرة» ص.71 فيرفرف القلب بالحبّ ص 72 ينتشر الفرح وتتلألؤ أنوار الحرية.

ليلا بآلاف النجوم الساطعة ليكون فضاء تتقاسمه المرأة والرجل بالتساوي في تشاركيّة حميمة لكل طرف منهما دور. لأنه « لا شيء يبقى كمَا الأبَدِ إلاَّ الحُبّ». تقول في قصيد «تراسل» ص. 69:

«امرأة تسحب قلبها كل صباح
إلى شاطئ العشق
...
في المساء تصير نورسة
شاعر يسحب قلبه
كل صباح إلى دفاتره
... مساء يطير بقصائده إلى النورسة

«شغف الفراشة»منجز يقدّم مفهوم الالتزام بالإنساني والوطن كمفهوم متجذّر في أعماق تجربة الشاعرة والتشكيلية هاجر ريدان الإبداعية.

نحو ديمقراطية نقدية

ردا على رسالة الكاتب المنجي السعيداني

شفيع بالزين

وجّه إلي الكاتب المنجي السعيداني رسالة نشرها في العدد السابق من الشارع المغاربي بعنوان "رسالة إلى صديقي الدكتور شفيع بالزين" اعترض فيها على قراءتي النقدية الخاصة بروايته "حياة على حافة الصفر" عند استضافته في برنامج "حديث الكتاب" الذي تبثه قناة الإنسان. ويبدو أنه قصد من رسالته أن تكون تعميقا لهذا الحوار الذي لم يجد فيه متسعا من الوقت للدفاع عن روايته. وإذ أنوّه بهذه الحوارات البناءة، أجد في هذه الرسالة بعض التجني على قراءتي ومسائل مطروحة على نحو يستوجب الرد والنقاش أو وضع النقاط على بعض الحروف كما يقال. وبغض النظر عما ورد في الرسالة من العبارات التي لا تمت إلى النقاش الرصين بصلة من قبيل "فؤوس نقدية حادة" و"سلطة نقدية حاقدة" و"الحكم الظالم"، فإن من حق الكاتب مبدئيا أن يدافع عن روايته ويوضح مقاصدها ودلالاتها، ومن حقه كذلك أن يرفض أو ينتقد بعض الأحكام النقدية ولكن بيانه لبعض الخصائص الفنية والدلالية وتأكيده على قيمة الرواية وتفردها، لا يلزمان أحدا ولا يمثلان القول الفصل في الرواية، بل هي آراؤه الخاصة قد يؤخذ بها وقد لا يؤبه لها، وقد تكون مقنعة ومؤيدة وقد تكون آراء ذاتية مسقطة. فتوضيح الكاتب لمقاصده وتأويله لروايته لا أهمية لهما، وإنما المعول عليه هو ما يقوله النص ذاته وما يمكن للقارئ أن يتوصل إليه من مقاصد وأبعاد عبر تأويله لا عبر الاستناد إلى أقوال الكاتب وشهادته. فعندما يخرج العمل إلى عموم القراء لم تعد للكاتب سلطة على القراء والنقاد، ولا يجوز له أن يتدخل في قراءاتهم ولا أن يملي عليهم كيفية تقبل النص وفهمه وتأويله. وإذا كنا لا نقول بموت المؤلف كما قال به بارت فإننا لا نقول في المقابل بسلطة المؤلف أيضا. إن النص الجيد هو الذي يدافع عن نفسه لا الذي يدافع عنه مؤلفه، فلا وصاية للكاتب على نصه أو قارئه. ثم إن بارت سلب المؤلف سلطته على النص ليحرر النص ويمنح القارئ حرية أكبر في القراءة. وهكذا كانت علاقة كبار الكتاب بنصوصهم وقرائهم، فالمسعدي مثلا رغم ما يتمتع به من سلطة يقول عن النقاد: "هم أحرار في أن يحكموا على ما كتبت بما يرون. وليس لي أن أحكم على ما قالوا بخطإ ولا بصواب، لا أن أستحسن ولا أن أستنكر" (مجلة الحياة الثقافية، العدد 12،1981). أما اعتراضه على قراءتي النقدية بالاستناد إلى استحسان القراء والنقاد لها واعتباره شهادتهم لصالح الرواية حجة تثبت قيمة الرواية وتسمى حجة السلطة، غير أن هذه السلطة ليست مسلما بها في المجال الأدبي، فلا سلطة إلا للنص الأدبي، وهو ملك مشاع للقراء على قدر المساواة ولا سلطة لناقد أيضا مهما علا شأنه على القراء، وإنما القراءات الأدبية حرة وديموقراطية أو لا تكون. وليس استحسان هؤلاء للرواية بحجة قاطعة ولا مانعة من أن يرى فيها غيرهم غير ما رأوا فالمهم أن تكون القراءة منسجمة والأحكام النقدية مدعومة وبعيدة عن الذاتية والذوقية. ولعل مأخذه الأهم على قراءتي أنها مقاربة تأخذ بالشكل أو "المظهر الخارجي" دون الانتباه إلى المضامين والمقاصد البعيدة والعميقة. وقد يكون اعتراضه وجيها لو كانت ملاحظاتي شكلية فعلا، والواقع أن ملاحظاتي تجمع بين الشكل والمضمون أو تربط مضامين العمل بجنسه السردي، وبما أني قد وجدت الشكل أو الجنس مشكلا وملتبسا وجدت المضامين والدلالات تبعا لذلك مشكلة وملتبسة. ولا أعرف ما وجه اعتراضه على النقد الشكلي والفني وإبداء الرأي في جنس الكتاب، وهو قوام العمل الأدبي ومدار إنشائيته وجماليته، وأما "المضامين" و"الدلالات" و"المقاصد" فلا وجود لها معزولة عن الشكل والبنية والطرائق السردية، فضلا عن كونها مجال اختلاف وتأويل بين النقاد. بينما يبقى مجال الاختلاف حول فنيات الكتابة وشكل العمل وجنسه الأدبي محدودا وضيقا مهما اتسعت دائرته. ولعل من أبرز أوجه الاتفاق في هذا المجال التمييز بين الكتابات التخييلية والكتابات المرجعية عامة، وبين الرواية والسيرة الذاتية بصفة خاصة. فلكل جنس منهما ميثاقه ومقوماته وقوانينه وقضاياه وانتظاراته وإنشائيته وطريقة تلقيه وتأويله، ولا يحسن الخلط بينهما. وحتى الأجناس الهجينة مثل السيرة الذاتية الروائية والرواية السير ذاتية لها ميثاقها ومقوماتها وإنشائيتها المتفق عليها عموما. وأبرز ما يلاحظ في حديثه عن جنس الكتابة في هذا الجزء (وبقية الأجزاء) تردده واضطرابه في تصنيفه أو تجنيسه، فمرة يتحدث عنه باعتباره سيرة ذاتية ومرة باعتباره رواية ومرة باعتباره سيرة ذاتية روائية (وهذا التجنيس يخص الجزء الثالث المنتظر صدوره). بل إنه لا يجد أي حرج أو إشكال في الحديث عن السيرة الذاتية والرواية، وعن التأريخ والتخيل في آن واحد وفي الكتاب نفسه: "أسعى إلى تجاوز نفسي في الجانب المتخيل من النص إذ أنني لم أسع إلى كتابة سيرة ذاتية جامدة تؤرخ بشكل روتيني لما حدث خلال السنوات الخوالي، بل تجاوزتها إلى بناء روائي". وكأنه لا حرج على الكاتب في أن يؤرخ ويتخيل في آن واحد، أو لا مشكل في أن يكتب سيرة ذاتية ورواية في عمل واحد. ليس هذا فقط وإنما يجوز له كذلك أن يجمع بين المرجعي السير ذاتي والغرائبي والسفر بالقارئ في عوالم متخيلة. لكن هل الاضطراب والخلط مجرد التباس في المصطلحات والتسميات أو في عملية التجنيس؟ هل هي مسألة شكلية أو نظرية أو نقدية؟ سبق أن نبهته في البرنامج المذكور إلى أن المسألة ليست شكلية ولا نظرية أو مصطلحية ولا مقصورة على النقاد، وإنما تهم الكاتب والقارئ والناقد جميعا وتؤثر في العمل إنشاء وقراءة ونقدا. فالجنس الأدبي أنموذج كتابة بالنسبة إلى الكاتب، وأفق انتظار وتقبل بالنسبة إلى القارئ ومدخل قراءة بالنسبة إلى الناقد. والميثاق الأجناسي مهم جدا في توجيه الكتابة والقراءة معا. والكاتب هو أول مجنّس للعمل من خلال التصنيف الأجناسي على الغلاف وطريقة الكتابة وبعض العتبات الأخرى. وقد انعكس الاضطراب التجنيسي فعلا على طريقة الكتابة وكيفية حديثه عن كتابه في هذه الرسالة. فإلى جانب تردده بين ربط قيمة الكتاب بالمتخيل والابتكار والخلق والتعجيب، وربطها بالتأريخ والواقعية والصدق وبعث الحياة، كان الكاتب في حديثه عن علاقته بعمله أي بالشخصية والحياة المسرودة مترددا أيضا بين التقريب إلى حد التماهي والتبعيد إلى حد الانفصال. فمن جهة يقول: "لا أفصل بين حياة الأثر الأدبي وبين حياة الكاتب فهما متلازمتان" ويقول: "هذا الاستثناء لا يشمل حياة الكاتب (راوي الأحداث) وحياة فارس الهلالي الذي يظلل على الكاتب في عدة مواقع". ومن جهة أخرى يقول: " فأنا الذي بعث الروح في شخصية فارس الهلالي الذي لم يكن موجودا من حيث الأصل". وفي علاقة بالقضايا السابقة، يناقش المنجي السعيداني رأيي في التفاصيل، فيتعجب من موقفي السلبي من كثرتها التي أثقلت السرد، ويدافع عنها معتبرا إياها "ميزة" في عمله، مستشهدا بكتّاب عالمين احتفوا بالتفاصيل. وفي الواقع هذا الكلام لا يخلو من مغالطة فأنا لم أقل إن ما يعيب العمل هو التفاصيل أو كثرتها- وماذا يبقى من العمل السردي إذا غابت التفاصيل أو قلّت؟- وإنما رأيت أن "التفاصيل البسيطة والكثيرة" أو "الكم الهائل من التفاصيل" كما يقول هو نفسه قد أنهكت العمل سواء لكثرتها أو لكونها في الغالب غير مبررة أو غير موظفة لخدمة الحبكة وبناء الشخصية إذا اعتبرنا الكتاب رواية، أو لخدمة قصة الحياة وبناء الهوية الذاتية إذا اعتبرناه سيرة ذاتية. ولا يمكن أن نختم هذا الرد قبل أن نتطرق إلى مسألة أكدها وكررها كثيرا في رسالته وهي مسألة "الاستثناء" التي تشمل الشخصية والمؤلف أو السيرة الذاتية والمسيرة الأدبية. أما سيرة الشخصية فيقول عنها: "اعتبرتها استثنائية بكل المعايير" ويقول: "فذاك الفتى خط لنفسه طريقا استثنائية وأثبت لمن قرأ السيرة الذاتية الروائية أن حياته فيها الكثير من الاستثناء". وأما كتاباته ومسيرته الأدبية فيقول عنها: "آمنت أن ما كتبته كان دون سابق مثال خاصة على مستوى مناخ الكتابة ككل" ويقول: "المنجي السعيداني يمثل اليوم صوتا مختلفا وما على الناقد إلا الركض وراء ما ستفرزه قريحته الإبداعية". ووجوه التهافت في هذه المسألة كما عبرت عنها أقواله المنتخبة عديدة، غير أننا لضيق المجال نكتفي بوجهين: الأول أننا لا نرى وجها للاستثناء وعدم السبق سواء في شخصية فارس الهلالي وسيرته الذاتية أو في كتابات المنجي السعيداني ومسيرته الأدبية. أما الاستثناء والتميز في شخصية الهلالي وسيرته فإذا كان الكاتب يعتقد أنهما كامنان في مظاهر التهميش والمعاناة ثم في مظاهر الكفاح والنجاح فإنه واهم لأن هذه سمات أغلب السير الذاتية العربية (أو السير الروائية أو الروايات السير ذاتية) منذ "أيام" طه حسين حتى "سيرة الطيب ولد هنية" للطيب الجوادي، ولا وجود لأي استثناء في سيرته هذه. وأما الاستثناء في كتابات السعيداني ومسيرته الأدبية (المتحققة والمستقبلية أيضا) والتي تستوجب من النقاد "الركض وراء ما ستفرزه قريحته الإبداعية" فإننا إذا كنا سنؤرخ لبدايتها بهذه الثلاثية السرذاتية/الروائية (؟) (الجزء الثالث لم يصدر بعد) لا نجد فيها بصراحة أي وجه للاستثناء، بل خلافا لذلك وجدنا فيها كثيرا من الاضطراب والتعثر والتسرع. والغريب أنه في مقابل ذلك- وهنا نخلص إلى الوجه الثاني من تهافت مسألة الاستثناء- يصدمنا الكاتب وهو في بداية مسيرته الأدبية بمنسوب عال من الغرور والتعالي والنرجسية وتضخم الذات. فكيف يتجرأ الكاتب- أي كاتب، مهما بلغ قمة الإبداع- أن يقول عن نفسه في رسالة منشورة على العلن إنه كاتب استثنائي ومتفرد وغير مسبوق ومبدع و"ما على الناقد إلا الركض وراء ما ستفرزه قريحته الإبداعية"؟ وحتى المتنبي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس عندما كان يقول مثل هذا الكلام عن نفسه، كان يقوله بطريقة شعرية وفي سياق فخري ولا يقوله في رسالة مباشرة مفتوحة للجميع. ثم وبغض النظر عما في هذا الخطاب من تبجح وغرور لا يليقان بكاتب يطمح إلى مسيرة إبداعية ناجحة، فإن الكاتب ليس هو المخوّل لتقييم كتاباته والحكم على تجربته بالاستثناء والتفرد والنجاح والإبداع، وإنما هذا متروك للقراء والنقاد، ويحتاج إلى فترة زمنية كافية لإثبات جدارته ومكانته في الساحة الأدبية. أما أن يحكم بنفسه على تجربته بالنجاح والاستثناء بل ويتوقع لكتابه الذي لم يصدر بعد نجاحا أكبر، وأن يدعو النقاد بل يوجب عليهم أن يحتفوا بأعماله "الاستثنائية" "غير المسبوقة" ويركضوا وراء ما ستفرزه قريحته "الإبداعية" فهذا لعمري خطاب "استبدادي" استثنائي غير مسبوق يؤسس لديكتاتورية أدبية تتعدى على حرية القراء وتمس من استقلالية النقاد والديمقراطية النقدية.

قراءة في مجهودات المجلس البلدي لدفع الحركة الثقافية بصفاقس 1981 - 1982:

لا نصدق إلى أي حد تخلت البلدية اليوم عن واجبها الثقافي !

رضا القلال (مؤرخ وكاتب صحفي)

هذه ورقة ثقافية صادرة عن قسم الشؤون الثقافية ببلدية صفاقس تعود الى 42 سنة فهي مؤرخة في 29 ديسمبر 1981، وممضاة من التيجاني الشرفي رئيس دائرة الشؤون الاجتماعية والثقافية بالبلدية، ولكنها تعبر عن رأي المجلس البلدي فيما يتصل بالشأن الثقافي.

هذه الورقة هي طبعا وثيقة تاريخية، وهي جزء من تاريخ ذاكرة بلدية صفاقس في التعاطي مع المسألة الثقافية. وتكمن أهميتها في أنها تتيح لنا الاطلاع على المشهد الثقافي بالمدينة في الثمانينيات من القرن العشرين، وبالخصوص الحصول على إمكانية مقارنة الواقع العيني الثقافي بين الأمس واليوم.

تنقسم هذه الوثيقة، التي تشتمل على ست صفحات، إلى ثلاثة أبواب رئيسية، الباب الأول يتحدث عن التنشيط الثقافي(مهرجانات، تظاهرات، منح ثقافية، نشاط المسرح، السينما). الباب الثاني يتناول العناية بالآثار والفنون والتجهيز الثقافي، وهو باب لم تعد البلدية، أو المندوبية الجهوية للثقافة، تستحضره خاصة فيما يتعلق بالآثار. الباب الثالث، وهو طريف وعقلاني، وربما فقدته التقارير الثقافية منذ سنوات طويلة وعنوانه متطلبات العمل الثقافي بالمدينة، أي حاجات المدينة من البنية الثقافية والفكرية(دار ثقافة، مكتبة جامعية، تجهيز المركبات الثقافية بالأحياء).

والفكرة التي تقفز إلى الاذهان من اللحظة الأولى، أمام هذه الوثيقة، هي انخراط المجلس البلدي في الحركة الثقافية، واعتبار البلدية طرف رئيسي في هذا القطاع، بل طرف فاعل ومسؤول في تقديم الزاد المعرفي والفني والترفيهي للمتساكنين. علاوة أن البلدية كانت لها، إلى جانب الإحاطة الكاملة بالمشهد الثقافي، رؤية استشرافية تضع سيناريو للحاجات المؤكدة، لتعمل على تحقيقها وانجازها، حتى تكتمل الصورة الثقافية بالجهة.

ماهي المعلومات التي تكشف عنها هذه الوثيقة؟

الباب الاول (التنشيط الثقافي) وهو لوحده يأخذ أكثر من نصف صفحات هذا التقرير، وأهم ما جاء فيه بخصوص المهرجانات، أن البلدية سنت مهرجانا سنويا هو مهرجان بودية للفنون الشعبية بالتعاون مع اللجنة الثقافية الجهوية وإذاعة صفاقس. وقد انتظمت الدورة الأولى لهذا المهرجان من 6 الى 13 ديسمبر 1980. وهو ما يتوافق ربما مع احتفالات الاذاعة بذكرى تأسيسها في 8 ديسمبر 1961. وعن خلفية تأسيس هذا المهرجان، يذكر النص الذي بين أيدينا هو الرغبة في «إحياء التراث الشعبي الموسيقي والمحافظة عليه، واعترافا-كذلك- بفضل رواد الفن وتخليدا لذكراهم». وتتضمن هذه الفقرة إشارة بان يكون هذا المهرجان وطنيا خلال شهر أفريل من كل سنة، دون تقديم أي تفسير

لذلك. لماذا شهر أفريل، وهل انتظم هذا المهرجان بنفس الشهر سنة 1982؟ خاصة واننا بالعودة الى النشاط الثقافي سنة 1981-1980 نجد الربط في خلفيات التأسيس بين مهرجان بودية واليوم العالمي للمسرح الذي يوافق 1 اكتوبر من كل سنة بداية من سنة 1975. كما ساهمت البلدية مساهمة فعالة في اعداد مهرجان سيدي منصور ونجد فقرات هذا المهرجان(حفلة اسماعيل الحطاب، العيساوية، معارض...)، ولا يذكر النص تاريخ تنظيمه، ولا حتى سنة 1980. وحرصا من بلدية صفاقس على «توفير حظوظ النجاح لكل الانشطة الثقافية ركزت –البلدية- مسرحا صيفيا موسميا بالقصبة يستوعب 1000/1200 مقعد» انتظم المهرجان الثقافي الرابع بصفاقس من 1 إلى جويلية الى 4 اوت 1980 واشتمل على 34 عرضا. مما يعني أن المهرجان تأسس ونظم دورته الأولى سنة 1978، بعد أن شرع المعهد القوم للآثار في تهيئة القصبة منذ سنة 1973. وبالعودة إلى النشاط الثقافي لسنة 1980 يتحدث التقرير عن الدورة الرابعة ويقدم نفس عدد العروض !؟ ولكننا نجد معلومات أخرى من أهمها «أن من مشاغل المجلس البلدي منذ سنوات عديدة حرصه على إنجاز المسرح الصيفي الذي تم إدراجه ضمن المخطط البلدي 1985-1981 ، ورصد له اعتماد قدره 60 الف. د، و40 الف د. مساهمة وزارة الشؤون الثقافية ويستوعب 4 آلاف متفرج. ولم ينجز هذا المسرح الا في نهاية القرن العشرين، ولم يكتمل إلى اليوم في بعض مكوناته وخاصة في أبعاده الثقافية والفنية والفكرية وكذلك إشعاعه على مدار السنة. إضافة إلى الاهتمام بمهرجان حي الحبيب، ومهرجان دائرة صفاقس الشمالية. وهذا في حد ذاته مهم أن تكون لكل من هاتين الدائرتين مهرجان مستقر ودائم.

في فقرة التظاهرات تذكر هذه الوثيقة بالخصوص أسبوع المسرح الذي لم يعد موجودا اليوم ومنذ سنوات طويلة لا تقل عن خمسة أعوام؟، والاحتفال بيوم المدينة العربية في 24 مارس 1980، وكان شعاره «الحفاظ على خصائص المدينة العربية وتراثها الحضاري» واشرف د.علي الزواري على مائدة مستديرة بالبهو العلوي للمسرح، تم فيه عرض شريط وثائقي يتعلق بالمحافظة غي المدينة العتيقة بصفاقس. هذا الاحتفال لم يعد موجودا ايضا وغاب عن الأجندا الثقافية للمدينة بالكامل، وتركت المدينة التاريخية للإهمال والترهل وحصد دمارها المتواصل؟ كما شهد بهو المسرح البلدية تنظيم 10 معارض. وهو اليوم خال من مثل هذا النشاط منذ سنة 2016 ؟

ومن أهم ما يمكن أن نسجله في خانة المنح الثقافية أن بلدية صفاقس كانت تدعم ماليا 27 جمعية ثقافية وفرق فنية ومسرحية بمبلغ يتجاوز 14 الف د. وقد عرف المسرح البلدي بصفاقس في ذلك الموسم -1981 1982، 29 عرضا باللغة العربية، و5 عروض باللغة الفرنسية، و10 عروض فنية تونسية وعرضان من مصر، و6 عروض خاصة بالأطفال والشباب. وقد استقبل المسرح البلدي خلال الموسم الثقافي المذكور ما يقارب 36 الف متفرج. كما شهد الموسم الثقافي 1982-1981، 6 عروض موسيقية أجنبية من روسيا وامريكا ويوغسلافيا وبلغاريا وفرنسا. وكأن صحراء ثقافية وصمت مخيف يخيم عليه اليوم ومنذ سنوات من مثل هذه الفعاليات الثقافية الراقية؟

من المهم أن نشير أيضا إلى أن بلدية صفاقس استقبلت 8 بعثات رسمية من بلديات ليون(فرنسا) والدار البيضاء(المغرب) وداكار(السنيغال) والجامعة الوطنية للمدن التونسية، ما يكشف على حجم العلاقات التي تقيمها بلدية صفاقس سابقا مع الدول الشقيقة والصديقة. وفي نفس السياق سجّل الموسم الثقافي -1980 1981 عقد رئيس المجلس البلدي في بادرة ذكية جلسة عمل مع ممثلي بلديات المدن الجامعية وهي تونس وسوسة والمنستير وبنزرت تقرر خلالها توثيق التبادل الثقافي بين هذه المدن. وذلك من أجل تنويع النشاط وتنويع البرامج الثقافية بالمسرح البلدي باعتباره نقطة إشعاع ثقافي بالمدينة وضواحيها.

كما قامت اذاعة صفاقس باستديو المسرح الذي كان على ذمتها منذ تأسيس الاذاعة عام 1961 ب36 تسجيل، لا يذكر النص نوعيته ولا مدته. واستقطب 27 عرض سينمائي ثقافي، اي غير تجاري، بالعربية والفرنسية أكثر من 13 الف متفرج.

لا نصدق إلى أي حد تخلت البلدية اليوم عن مسؤولياتها الثقافية وعن حفاظها على التراث والمعالم التاريخية للمدينة؟

الباب الثاني من هذا التقرير، يتناول مجهود المجلس البلدي في الرفع من الأداء الثقافي، ويحمل عنوان العناية بالآثار والفنون. بعثت هيئة لترميم الجامع الكبير بالتعاون بين سفارة الكويت بتونس ووزارة التخطيط والمالية(الوزير السيد منصور معلى) والولاية والبلدية والمصلحة الجهوية للآثار بصفاقس تهدف إلى صيانة الجامع الكبير والمحافظة على طابعه الأثري الاسلامي. وقد تحصلت الهيئة على 130 الف د. من دولة الكويت. ومن ناحيتها خصصت البلدية 5 آلاف دينار قصد ترميم الجامع الكبير والقصبة والممر السياحي. وساهمت البلدية بما قدره 56 الف د. لا تمام مشروع جامع سيدي اللخمي الذي افتتح سنة 1981. وقد خصصت لجمعية بناء جامع اللخمي منذ تأسيسها سنة 1978 منحة سنوية قدرها 10 الاف د.

ويبدو من الأهمية بمكان أن نشير إلى أن الموسم الثقافي 1981-1980 شهد إحداث جمعية صيانة المدينة العتيقة بصفاقس، وتم تخصيص برج النار مقرا لها، من أجل العناية بالمدينة العتيقة وبالمعالم الاثرية والمحافظة على خصائصها التاريخية والمعمارية. وعرف نفس الموسم تأسيس جمعية احباء المتاحف والفنون وقد خصصت البلدية لها منحة قدرها 800 د. لتنشيط دار الجلولي وإثراء مكتبتها، وهي التي قامت بدعم من البلدية بتجهيز نادي القصبة الذي لم يفتح أبوابه إلى الان ومنذ 43 سنة؟

وادرج هذا التقرير شراء بلدية صفاقس 700 نسخة من كتاب ابي بكر عبد الكافي عن سيدي ابي الحسن اللخمي، والصادر عن التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تم توزيعه بمناسبة تدشين الجامع من قبل السيد محمد مزالي الوزير الاول الذي تم تشييده بباب الجبلي غير بعيد عن سوق قريعة، دون ذكر المخصصات المالية لهذا الغرض. في حين نجد أن البلدية اقتنت كتاب «صفاقس» الصادر عن دار النشر للجنوب بتونس بالتعاون مع البلدية في نسختين باللغتين العربية والفرنسية بما قيمته 20 ألف د.

وفي الباب الثالث والأخير من هذا التقرير نجد قائمة بمتطلبات العمل الثقافي وهي، كما جاء في ترتيبها:

-1دار الثقافة، -2 مكتبة جامعية، -3المركب المتحفي، -4 المسرح الصيفي، -5إحداث قاعة للفنون التشكيلية، -6 النظر في تدويل المهرجان الثقافي(المهرجان الصيفي)، -7 تجهيز المركبات الثقافية بالأحياء. من المهم أن نذكر أن المكتبة الجامعية لم تر النور الى اليوم، وكذا الشأن بالنسبة للمركب المتحفي الذي من مكوناته متحف الزيتونة أعد ملفه د. علي الزواري، لم تعثر الباحثة سميرة عروس على نسخة منه أبدا بالمصالح البلدية لإعداد بحث جامعي، ومن هذا المركب المتعدد الاختصاص لم يتم إنجاز إلا المركب الثقافي محمد الجموسي. أما قاعة الفنون التشكيلية فلم تنجز الا عندما تولى الاستاذ أحمد الزغل رئاسة بلدية صفاقس، وهي قاعة خليل علولو للفنون التي – من مفارقات الزمن- أغلقت بمناسبة تظاهرة صفاقس عاصمة للثقافة العربية 2017-2016 لتحويل الكنيسة إلى مكتبة رقمية، والأشغال مازالت معطلة إلى اليوم (2023-2017)، والمدينة بلا مكتبة رقمية وبلا قاعة عروض فنية؟

*** فقدت صفاقس مهرجان بودية للفنون الشعبية، والاحتفال بيوم المدينة العربية في 24 مارس من كل عام، وجمعية أحباء المتاحف والفنون**

*** نادي القصبة لم يفتح أبوابه منذ 43 سنة؟ والمكتبة الجامعية لم تر النور منذ برمجتها سنة 1980**

*** احمد الزغل رئيس بلدية صفاقس فتح قاعة الفنون التشكيلة خليل علولو للفنون ومن مفارقات الزمن- اغلقت بمناسبة تظاهرة صفاقس عاصمة للثقافة العربية !**

غائبة في صراع المدينة من اجل التسجيل العالمي؟ *جمعية صيانة المدينة العتيقة بصفاقس

دورة إستثنائية لأيام قرطاج السينمائية
من 28 أكتوبر إلى 4 نوفمبر 2023:

منح احتفالية مئوية السينما التونسية الأهمية اللازمة كحدث وطني استثنائي

محمد رضا البقلوطي

في زيارة لمقرات عمل فريق أيام قرطاج السينمائية بالمركز الوطني للسينما والصورة في مدينة الثقافة الشاذلي القليبي, أدتها وزيرة الشؤون الثقافية الدكتورة حياة قطاط القرمازي في وقت سابق حيث اطلعت على سير استعدادات الدورة 34 في مختلف الأقسام مؤكدة حرص الوزارة على توفير كل الإمكانات والظروف الملائمة لإنجاح الدورة.مشددة على ضرورة منح احتفالية مئوية السينما التونسية الأهمية اللازمة كحدث وطني استثنائي ضمن فعاليات المهرجان تثمينا لهذا الإرث الثقافي والفني ودعما لصناعة الأفلام التونسية وإشعاعها دوليا.

كما تستقبل أيام قرطاج السينمائية محمد صالح هارون رئيسا للجنة تحكيم الأفلام الروائية الطويلة والقصيرة وأفلام التحريك.في الدورة الرابعة والثلاثين لأيام قرطاج السينمائية من 28 أكتوبر إلى 4 نوفمبر 2023، كما تعود درة بوشوشة لمهرجان "فارق" في مسيرتها وتترأس لجنة تحكيم مسابقة الأفلام الوثائقية الطويلة والقصيرة

كذلك يتجدد الموعد مع أيام قرطاج السينمائية ومسابقاتها المخصصة للأفلام الافريقية والعربية.

إذ اختارت تسليط الضوء على بلدين اثنين، إفريقي وعربي. ليكون البلد الضيف للدورة الجديدة السينغال، رفيق درب أيام قرطاج السينمائية منذ التأسيس وصاحب أول تانيت ذهبي والذي توج به عصمان صمبان سنة 1966 عن فيلمه الروائي الطويل الأول "La Noire de".

وتخصص أيام قرطاج السينمائية "سينما تحت المجهر 2023" للأردن صاحبة التجربة السينمائية العربية الناشئة والتي تشهد تطورا واعدا بفضل ديناميكية جديدة تدعم السينما وتعكس جودة أفلامها

ومن المنتظر أن تحتفي هذه الدورة بحضور وفود رسمية وبرمجة تتخللها تكريمات لوجوه سينمائية، عروض أفلام وتعبيرات فنية أخرى تشكل إلى جانب الفن السابع، ملامح من الهوية الثقافية للبلدين من كتب، منشورات، موسيقى وأزياء.

قسم خاص بعنوان "السينما الأردنية تحت المجهر"،إحتفالابالتطور السريع والحضور الدولي المتميز

كما أعلنت إدارة أيام قرطاج السينمائية عن عرض مجموعة من الأفلام الأردنية في دورته لهذا العام من خلال قسم خاص بعنوان "السينما الأردنية تحت المجهر"، وذلك بهدف الاحتفاء بالتطور السريع والحضور الدولي المتميز الذي شهدته الأفلام الأردنية خلال السنوات الأخيرة. بالتعاون مع الهيئة الملكية كما للأفلام، تم تصميم برنامج غني بعروض أفلام أردنية إضافة إلى مجموعة من الفعاليات واللقاءات السينمائية الهادفة إلى إبراز التميز والإبداع الأردني في مجال السينما.

يتضمن البرنامج عرض عشرة أفلام: أربعة أفلام روائية طويلة وفيلم وثائقي طويل وستة أفلام قصيرة بالإضافة إلى عقد ندوة حول السينما الأردنية. ويقام حفل استقبال على هامش الأيام لتعريف الحضور بالسينما الأردنية والوفد الأردني الذي يضم 18 من صناع الأفلام بالإضافة إلى أعضاء من فريق الهيئة الملكية للأفلام.

قائمة الأفلام الأردنية المشاركة تشمل:

الأفلام الروائية الطويلة: وتشمل "ذيب" - إخراج ناجي أبو نوا

"بنات عبد الرحمن" - إخراج زيد أبو حمدان، 2021

"الحارة" - إخراج باسل غندور،

"فرحة" - إخراج دارين ج. سلام،

الفيلم الوثائقي الطويل:

"أرواح صغيرة" - إخراج دينا ناصر، 2019

الأفلام القصيرة:

"هدنة" - إخراج صالح خطايبة، 2020

"كروكا" - إخراج سامر بطيخي ؛ 2020 "سلام" - إخراج زين دريعي، 2019

"تالفزيون" - إخراج مراد أبو عيشة، 2021

"ديانا" – إخراج ميسون خالد، 2020

دعم صناعة الأفلام الافريقية المستقلة من ثوابت أيام قرطاج السينمائية

وإعتبارا بأن دعم صناعة الأفلام الافريقية المستقلة من ثوابت أيام قرطاج السينمائية ومحمد صالح هارون أحد صناع هذه الأفلام لذلك كان دوما حاضرا بخياراته الفنية ولغته السينمائية المتفردة. وفي الدورة الجديدة يعود محمد صالح هارون رئيسا للجنة تحكيم الأفلام الروائية الطويلة والقصيرة وأفلام التحريك.ومحمد

صالح هارون هو أول مخرج سينمائي تشادي وأحد أهم صناع الأفلام الأفارقة، درس السينما والصحافة بفرنسا، مقر إقامته منذ سنة 1982 وتولى في سنة 2017 منصب وزير الثقافة ببلاده تشاد ليستقيل بعد سنة ويعود لشغفه الأبدي الكتابة والإخراج.تعود بدايات محمد صالح هارون في عالم السينما لسنة 1991 مع فيلمه الروائي القصير الأول "Tan Koul" وسرعان ما لفتت موهبته الانتباه في ثاني أفلامه الروائية القصيرة سنة 1994 "Maral Tanié" (الزوجة الثانية)، العمل الذي ناقش الزواج المبكر والقسري للمرأة. كما أن الفيلم الروائي الطويل الأول لمحمد صالح هارون "باي باي إفريقيا" (1999) كان أول فيلم روائي طويل يصور في التشاد ونال عنه مخرجه جائزة أفضل عمل أول (جائزة أسد المستقبل) في مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي.بعد "باي باي إفريقيا"، عاد محمد صالح هارون سنة 2001 للأفلام القصيرة وأخرج "رسالة من نيويورك" (New York City Letter from) وتوج عنه في السنة نفسها بجائزة أفضل فيديو خلال فعاليات الدورة الحادية عشرة من مهرجان السينما الإفريقية بميلانو. أما الروائي الطويل الثاني لمحمد صالح هارون "أبونا" (2002) كان محطة بارزة في مسيرة المخرج التشادي فقد منحه مكانة خاصة ضمن قائمة أهم صناع السينما الإفريقية وشارك بفضله لأول مرة ضمن قسم "نصف شهر المخرجين" بمهرجان كان السينمائي.وفي سنة 2006 قدم محمد صالح هارون "دارات" (Daratt)، أول فيلم روائي طويل من تشاد يتوج في الوقت نفسه بجائزة لجنة التحكيم الخاصة لمهرجان فينسيا السينمائي الدولي و التانيت الفضي لأيام قرطاج السينمائية.وفي سنة 2010 رفع محمد صالح هارون مجددا راية تشاد بمهرجان كان السينمائي وحصد لأول مرة جائزة لجنة التحكيم بفيلمه المستوحى من ذكرياته الأليمة عن الحرب الأهلية في بلاده "رجل يصرخ" (A Screaming Man). ليحضر في السنة الموالية (2011) ضمن عضوية لجنة تحكيم مهرجان كان السينمائي ...

المنتجة درة بوشوشة رئيسة للجنة تحكيم الأفلام الوثائقية الطويلة والقصيرة

تم الإعلان عن اختيار المنتجة درة بوشوشة رئيسة للجنة تحكيم الأفلام الوثائقية الطويلة والقصيرة في دورتها الرابعة والثلاثين وتقام من 28 أكتوبر إلى 4 نوفمبر 2023.

إذ تشكل أيام قرطاج السينمائية محطة رئيسية في مسيرة درة بوشوشة، فقد بدأت وهي شابة يافعة شغوفة بعالم السينما متطوعة في المهرجان ثم تدرجت في مهامها إلى أن تولت إدارة أيام قرطاج السينمائية لثلاث دورات (2008، 2010 و2014).منحت درة بوشوشة أيام قرطاج السينمائية في دورتها الخامسة والعشرين (2014) أبعادا جديدة فأصبحت موعدا سنويا وأسست في الدورة نفسها ورشة "تكميل" لدعم صناع الأفلام العرب والأفارقة وهي نسخة حديثة لورشة المشاريع، التي أسستها في المهرجان سنة 1992 كما أطلقت في دورة 2014 فعالية "أيام قرطاج السينمائية في الجهات".

درة بوشوشة

درة بوشوشة اسم راسخ في عالم الإنتاج العربي والإفريقي والدولي ساهمت في إشعاع السينما التونسية عبر شركتها "نومناديس" ورشة "كتابة الجنوب" مدافعة في خياراتها عن السينما المستقلة العربية والافريقية وهي كذلك واحدة من بين أهم داعمي صناع الأفلام الشباب وسينما المرأة جنوب المتوسط.وقد تولت درة بوشوشة سنة 2010 رئاسة "صندوق الجنوب" وهو مؤسسة فرنسية لدعم الإنتاج السينمائي في بلدان الجنوب وفي سنة 2012 تولت صندوق دعم سينماءات العالم التابع للمركز الوطني للسينما بفرنسا وفي سنة 2015 حصلت على وسام القادة للفنون والآداب للجمهورية الفرنسية كما تم انتخابها سنة 2017 عضو دائم في لجنة سيتي مارت التابعة لمهرجان روتردام السينمائي الدولي.أنتجت درة بوشوشة أفلاما تونسية وشاركت في إنتاج أفلام عربية وأجنبية، نافست في أهم المهرجانات السينمائية منها "صبرية" (1997) للمخرج عبدالرحمن سيساكو في مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي، "بركات" للمخرجة جميلة الصحراوي والمتوج في الدورة العشرين لمهرجان "فيسباكو" (2007) ودرة بوشوشة هي "مكتشفة" لعدد من صناع الأفلام في تونس من بينهم رجاء العماري في "الستار الأحمر"، "الدواحة"،"ربيع تونس" و"جسد غريب" ومحمد بن عطية، الذي أنتجت وشاركت في إنتاج كل أفلامه ومنها فيلمه الروائي الطويل الأول "نحبك هادي" الحائز على جائزتي أفضل عمل أول والدب الفضي لأفضل ممثل في مهرجان برلين السينمائي الدولي (2016) فيما تم اختيار أفلامه اللاحقة في مهرجان كان السينمائي ومهرجان فينيسا السينمائي.

هاني أبو أسعد

درة بوشوشة خريجة جامعة السوربون (أدب انقليزي) حاضرة لأكثر من أربعة عقود في المشهد السينمائي الدولي من خلال أفلامها، مشاركاتها في الندوات الفكرية والدروس المتخصصة في صناعة الأفلام وفي لجان تحكيم أهم المهرجانات السينمائية، فكانت في عضوية لجنة تحكيم مهرجان برلين 2017، وانضمت لعضوية جوائز الأوسكار سنة 2018 وتولت رئاسة لجنة تحكيم الأفلام الروائية الطويلة في الدورة الثامنة والعشرين لمهرجان فيسباكو(2023) كما تم اختيارها عرّابة "مصنع السينما" في دورته الخامسة عشرة ضمن فعاليات مهرجان كان السينمائي الدولي 2023.

مظاهر إحتفالية متميزة خاصة بمئوية السينما التونسية

تتميز الدورة الجديدة لأيام قرطاج السينمائية بتفتحها على الجهات من خلال برمجة عروض سينمائية في المدن وفي السجون، بالإضافة إلى تنظيم معرض مئوية السينما التونسية بمدينة الثقافة الشاذلي القليبي بالتعاون مع التلفزة الوطنية والأرشيف الوطني ووكالة تونس إفريقيا للأنباء، مع تنظيم ندوة فكرية دولية تُعنى بهذا المجال الفني.كما سيتم تمرير ومضات اشهارية بالفضاء العمومي بالتنسيق مع الجهات المعنية وخاصة في المواقع الأثرية بالشراكة مع وكالة إحياء التراث والتنمية الثقافية لجلب أكبر عدد ممكن من المتابعين لهذه التظاهرة السينمائية. هذا وستعود أيام قرطاج السينمائية في دورتها الاستثنائية إلى جذورها التاريخية من خلال حفل الافتتاح بقاعة الكوليزي بالعاصمة حيث يتابع عشاق الفن السابع أفلاما تونسية كلاسيكية تم ترميمها وأخرى حديثة الإنتاج أو تُعرض للمرة الأولى، إلى جانب الأفلام الافريقية والعربية تماشيا مع مبادئ هذه التظاهرة العريقة، كما يشهد شارع الحبيب بورقيبة إكساء واجهات قاعات السينما بحُلة المئوية وبرمجة عروض موسيقية وتنشيطية متنوعة وأخرى للأزياء.

محمد صالح هارون

تكريم أحد أبرز وجوه "السينما الفلسطينية الجديدة"

من جانب آخر وفي إطار التكريمات وتقديرا لمسيرته الإبداعية الحافلة بأفلام خرجت بالسينما الفلسطينية عن المألوف ووضعت معاناة الشعب الفلسطيني أمام أنظار العالم, تكرم أيام قرطاج السينمائية في دورتها ال34 أحد أبرز وجوه "السينما الفلسطينية الجديدة" الحائز عن التانيت الذهبي للدورة ال25 من المهرجان عن فيلم "عمر",المخرج الفلسطيني هاني أبو أسعد...

وفي إطار دعمها لصناع الأفلام الشباب خلال الدورة 34 من أيام قرطاج السينمائية, تواصل منصة "قرطاج للمحترفين" تنظيم لقاءات بين صناع الأفلام الأفارقة والعرب ودعم الأفلام في مرحلتي التطوير وما بعد الإنتاج.وقد أعلنت أيام قرطاج السينمائية تقديم لجنة تحكيم "قرطاج للمحترفين" التي تنتظم من 30 أكتوبر الى 01 نوفمبر:

جاكلين نسيا (غانا- ألمانيا): مبرمجة بمهرجان برلين السينمائي

ديمة عازر (الأردن): منتجة ومستشارة نصوص سينمائية

كتيبة برهمجي (سوريا): مخرج و مركب

كاتي لينا نداي (السنغال): مخرجة

صحبي كريم (تونس): منتج ما بعد التصوير.

سينما الهويّة : الفن السابع والقضية الفلسطينية

حجاج سلامة (ناقد فني مصر)

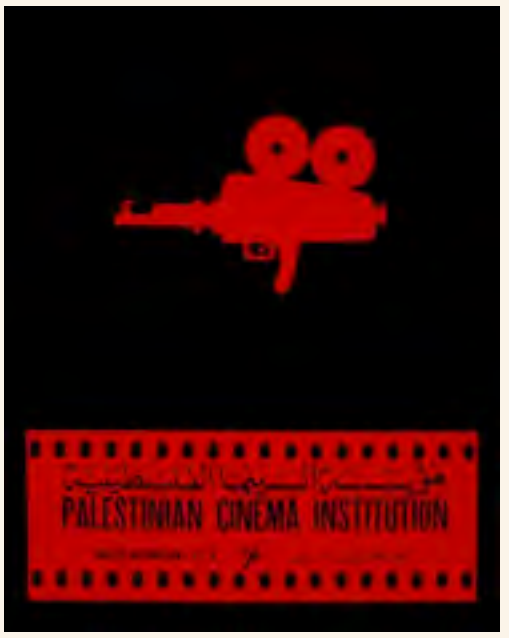

في دراستها "قضايا الهوية والتراث في السينما الفلسطينية"، تساءَلت الباحثة الأكاديمية المصرية، مرام محمود ثابت خلال مؤتمر لكلية الفنون الجميلة في مدينة الأقصر قائلة: كيف لمخرجي السينما الفلسطينية أن يُعبروا عن تراثهم ومعتقداتهم وتقاليدهم في ظل الحصار والقمع والعنف والتهجير؟

ولعل الإجابة على ذلك السؤال، نجدها في العديد من الأخبار التي تتناقلها وسائل الإعلام عن حضور السينما الفلسطينية، وما يُمكن أن نطلق عليه "سينما الهويّة" في العديد من المهرجانات السينمائية العالمية، ونيل أو ترشح الأفلام الفلسطينية، والأفلام التي تتناول قضية شعب فلسطين للعديد من الجوائز سواءً على مستوى المهرجانات العربية أو الدولية والعالمية.

ولعلي لا زلت أتذكر الكثير الأفلام الفلسطينية التي حققت حضورا كبيراً ولقيت إحتفاءاً دوليا، وأذكر على سبيل المثال النجاح الكبير الذي حققه فيلم "الهدية" للمخرجة الفلسطينية فرح نابلسي، والذي وصل إلى قائمة الأوسكار النهائية للأفلام القصيرة عام 2021.

وقصّة فيلم "الهدية" لـ "نابلسي" تتمحور تفاصيله رجل فلسطيني مجتهد يعيش في الضفة الغربية، وينطلق مع ابنته الصغيرة لشراء هدية لزوجته في عيد زواجهما، ولكن العيش في ظروف الاحتلال ونقاط التفتيش والجنود وحواجز الطرق، كما هو الحال بالنسبة لجموع الشعب الفلسطيني، جعلت من هذه المهمة البسيطة ليست بالأمر السهل، لتكشف لنا تفاصيل الفيلم صور ذلك الواقع العبثي الذي تعيشه فلسطين اليوم.

وكان وصول فيلم فلسطيني للقائمة الأفلام المرشحة لنيل الأوسكار، هو بمثابة انتصار للسينما الفلسطينية، التي تعمل في ظل أجواء قاتمة من حيث التمويل وحرية الحركة والتنقل وبيئة العمل الصعبة.

لقد عبّر الرعيل الأول من المخرجين الفلسطينيين عن قضيتهم بطرح سينمائي أقرب إلى المزج بين الأسلوب التسجيلي والروائي، وشكلوا حركة مقاومة لإثارة القضية الفلسطيني في السينما العالمية على غرار حركات المقاومة الفلسطينية، فنجحوا بإيصال قضيتهم إلى العالم كله من خلال لغة السينما. وأكمل مسيرتهم جيل مخرجي سينما المهجر والذين ظهروا من مطلع الثمانينيات من القرن العشرين، ولّدت حركتهم الفنية ثورة سينمائية وحراك شعبي ونضالي، عُرفت بالموجه الجديدة للسينما الفلسطينية.

وبحسب الأكاديمية المصرية مرام محمود ثابت، فقد سعى مخرجو الموجة الفلسطينية الجديدة إلى تغيير نظرة الغرب عن صورة الفلسطيني الذي يقاوم المحتل ويفجر نفسه لينتقم من عدوه، إلى صورة الفلسطيني المعتز بأرضه والمتمسك بالحياة عليها والموت فيها،

فيقاوم من أجل الاحتفاظ بهويته وطقوسه اليومية غير آبه بالوضع المرير الذي يعيشه في إصرار واضح وتجاهل تام لاستفزاز المحتل، لقد عبروا بصدق عن تمسكهم بهويتهم وتراثهم فبلغ صداهم إلى المحافل الدولية ومهرجانات

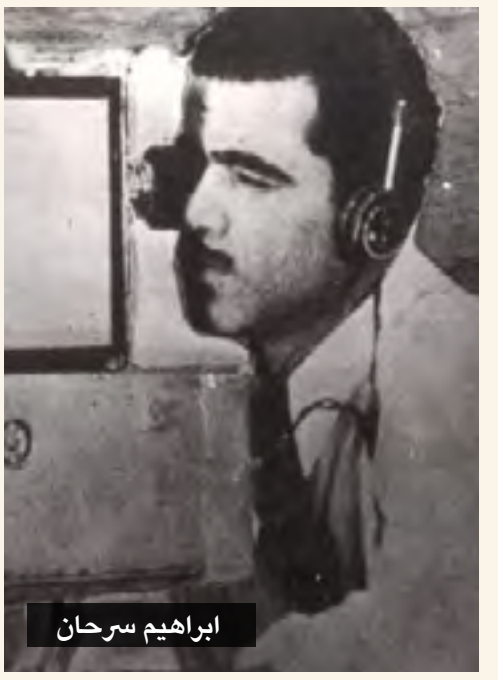
ابراهيم سرحان

مي المصري

مصطفى أبو علي

هاني جوهرية

السينما العالمية.

جدلية الهوية والإغتراب

وتبقى جدلية الهوية والاغتراب وتناولها في السينما الفلسطينية، وظل سؤال الهوية قائماً بالنسبة للمخرج الفلسطيني صاحب الهوية.

وتؤكد دراسة الأكاديمية مرام محمود ثابت، على أن مكوّنات الهوية الوطنية الفلسطينية ما زالت فاقدة لأحد أضلاعها: الثقافة، الدولة المستقلة المستقرة ذات السيادة، والصراع مع العدو الخارجي أو الداخلي، فالثقافة والصراع ينقصهما الدولة المستقلة المستقرة ذات السيادة.

وليس ببعيد عن المتابع للمشهد السينمائي الفلسطيني، ذلك التاريخ الوطني لصناع الفن السابع من الفلسطينيين داخل الوطن وخارجه.

يمتد عمر السينما الفلسطينية لقرابة تسعة عقود، حيث كانت البداية على يد المخرج إبراهيم حسن سرحان، الذي يعد رائد السينما الفلسطينية، وذلك بحسب تقرير لوزارة الثقافة الفلسطيني، حيث قدم فيلمه الأول ومدته 20 دقيقة في العام 1935، والذي وثق فيه زيارة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود لفلسطين.

وكان هناك الكثير من الأفلام التي أُنتِجت على يد المخرجين وهواة الفن السابع في فلسطين قبل نكبة 1948. لكن وبحسب وزارة الثقافة الفلسطينية، فإن الحصيلة الإنتاجية السينمائية الفلسطينية قبل العام 1948، بقيت قليلة ومحدودة. وعقب نكبة العام 1948، لجأ سينمائيون فلسطينيون إلى بلدان عربية عدة، وواصلوا مسيرتهم السينمائية خارج فلسطين.

سينما الثورة

ووفقا لوزارة الثقافة الفلسطينية، فقد عرفت فلسطين ما يُعرف بـ "سينما الثورة" وهي سينما نشأت بالتزامن مع انطلاق الثورة الفلسطينية في العام 1965، عبر تصوير مواد صورة للشهداء، وكانت الفلسطينية سُلافة مرسال، التي درست التصوير في القاهرة، تقوم بذلك العمل في منزلها سراً.

وكان أول فيلم سينمائي، تنتجه الثورة الفلسطينية، بعنوان "لا للحل السلمي" وهو فيلم تسجيلي مدته 20 دقيقة، وجاء كعمل جماعي لمجموعة من السينمائيين الفلسطينيين، منهم: صلاح أبو هنّود، وهاني جوهرية، وسُلافة مرسال.

وفي السبعينيات ظهر فيلم "بالروح بالدم" بإشراف المخرج مصطفى أبو علي أيضاً، وتنفيذ مجموعة العمل ذاتها تقريباً؛ وفيه محاولة عرض وتحليل أحداث أيلول الدامي، عبر مشاهد تسجيلية حيّة، متمازجة مع مشاهد تمثيلية، ذات طابع مسرحي، عن التحالف بين الإمبريالية والصهيونية، والرجعيات العربية.

وتواترت الأفلام الفلسطينية، بعد ذلك، مواكبةً الأحداث والمناسبات، وفق توفر الإمكانيات لدى الجهات الإنتاجية، التي كانت في كلّيتها ملحقة بإطارات تنظيمية فصائلية، تؤمّن لها مستلزماتها وتمويلها؛ فقد نشأت "وحدة أفلام فلسطين"، التابعة لحركة التحرير الوطني الفلسطيني/فتح، (كبرى التنظيمات الفلسطينية)، لتُعدّ البداية الحقيقية للإنتاج السينمائي الفلسطيني، وقد تكوّنت هذه الوحدة بفضل جهود مجموعة من السينمائيين منهم: هاني جوهرية، وسُلافة مرسال، ومصطفى أبو علي.

وكون الثورة الفلسطينية، من أبرز ثورات النضال في شبيل قضية عادلة، فقد سعت السينما الفلسطينية لتوثيق المراحل والمحطات الأبرز في تلك الثورة، بجانب الحفاظ على الهوية الوطنية والثقافية للشعب الفلسطيني، وما يتمتع به وجود تاريخي وجغرافي، وإرث غني عصي على النكران، ومن هنا فإن السينما الفلسطينية حين نطلق عليها سينما الهوية، فهي بحق سينما عملت على توثيق التراث والثقافة الفلسطينية، وكل صور الهوية الوطنية العربية لفلسطين برغم كل القيود التي يفرضها الاحتلال الإسرائيلي على كل مناحي الحياة، وكل صور الإبداع في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

سينما فلسطينية ببلاد الشتات

ومن المهم أن نلفت إلى أن السينمائيين الفلسطينيين في بلاد الشتات، كان لهم دورا مهما على مدار عقود مضت، في دعم قضية فلسطين عبر إنتاج أفلام ترصد معاناة الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، وتقدم للعالم صورة لما يجري بحق بلادهم من قبل سلطات الاحتلال.

وقد بدأت مسيرة السينمائيين الفلسطينيين في بلاد الشتات مبكرا، وكانت المخرجة الفلسطينية مي المصري، من أوائل السينمائيين الفلسطينيين الموجودين في الخارج الذين تنبهوا إلى ضرورة صياغة سينما فلسطينية جديدة، تتوازى مع الإنتاجات السينمائية التي ظهرت في الداخل الفلسطيني، التي نسميها بالسينما الفلسطينية الجديدة.

وقد تواصل ذلك الحراك السينمائي الفلسطيني ببلاد الشتات، عبر جيل جديد من صناع السينما الذين نجحوا في إعلاء اسم فلسطين، وتقديم قضيتها ومعاناة شعبها عبر قصص إنسانية، لامست شغاف قلوب الملايين، وحصدت تلك الأفلام جوائز دولية عديدة، وصارت حاضرة بقوة في المهرجانات السينمائية الدولية، ولعل هذا الحضور هو أكبر دليل علي ما حققته السينما الفلسطينية من نجاح، وهذا النجاح جعل من الفن السابع سلاحا جديداً، يدافعون به عن قضيتهم العادلة، ويعرض للعالم الكثير من المعاناة الإنسانية التي يعاني منها الفلسطينيون في الأراضي المحتلة.

وربما ساعدت أفلام الشتات الفلسطينية، التي تناولت معاناة الشعب الفلسطيني، وأسهمت في الحفاظ على هويته، وخاصة بين الأجيال الشابة من الفلسطينيين الذين يعيشون في بلاد المهجر، وشجعت صناع السينما من الأجانب والعرب، في إنتاج أفلام تسلط الضوء على

القضايا الإنسانية للشعب الفلسطيني، وتقدم صورا لمعاناة الفلسطينيين وما يعيشونه ويعايشونه من معاناة بجانب جهاد الفلسطينيين، من أجل الحفاظ على مقدساتهم ومقدرات وطنهم، وهويتهم العربية والفلسطينية، وثقافتهم وتراثهم.

مشروعان من تونس في النسخة العاشرة من ملتقى مهرجان القاهرة السينمائي

صالح سويسي

أعلن ملتقى القاهرة السينمائي عن المشاريع التي تم اختيارها للمشاركة في نسخته العاشرة من أيام القاهرة لصناعة السينما، المقرر إقامتها خلال فعاليات الدورة الـ 45 من مهرجان القاهرة السينمائي الدولي، التي تقام في الفترة من 15 إلى 24 نوفمبر المقبل، وتتضمن القائمة 15 مشروعًا سينمائيًا في مرحلتي ما بعد الإنتاج والتطوير من 8 دول عربية، حيث يشارك 5 مشاريع من مصر، و2 من تونس، و2 من العراق و2 من لبنان ومشروع واحد من السودان، فلسطين، المملكة العربية السعودية، والجزائر.

مشاريع ملتقى القاهرة السينمائي

وتمّ الإختيار على الفيلم الروائي "نافذة على السماء" لسارة العبيدي ضمن المشاريع في مرحلة ما بعد الإنتاج، والفيلم الوثائقي "صولو" لأمين بوخريس ضمن مشاريع مرحلة التطوير.

كما وقع الاختيار على 5 مشاريع في مرحلة ما بعد الإنتاج وهي: "خمسون مترًا" فيلم وثائقي لـ "يمنى خطاب" من مصر، "يلا، بابا!" فيلم وثائقي لأنجي عوبيد من لبنان، "أناشيد آدم" فيلم روائي لعدي الرشيد من العراق، "البصير – العبّار الأعمى" فيلم روائي لعلي طوفان الفتلاوي من العراق.

كما تشارك 10 مشاريع في مرحلة التطوير وهي: "حديقة الحرية" فيلم روائي لحلمي نوح من مصر، "حلمي أطير" فيلم وثائقي لأسماء جمال من مصر، "يا بلدي" فيلم وثائقي لديسيل مختيجيان من مصر، "بعد نص الليل" فيلم روائي لخالد منصور من مصر، "أن تصبح عمر خيري" وثائقي لعلياء موسى من السودان، "يوم الغضب قصص من طرابلس" وثائقي لرانيا رفاعي من لبنان، "عزيزي السيد تاركوفسكي" روائي لفراس خوري من فلسطين، "غرق" روائي لمجتبى سعيد من المملكة العربية السعودية، "أصداء" وثائقي لسارة كشمير من الجزائر.

أمين بوخريص

وقال الفنان "حسين فهمي" رئيس مهرجان القاهرة السينمائي: "ملتقى القاهرة السينمائي متنفس لصناع السينما المصريين والعرب لدعم وتطوير أفلامهم، وسعدت كثيرًا بالمناقشات التي دارت معهم في دورة المهرجان الماضية، وأنا سعيد بالنجاح والتأثير الذي يحققه الملتقى كل عام، وهو ما ينعكس في النهاية على صناعة السينما بدولنا العربية من خلال مشاريع قوية ومؤثرة يدعمها المهرجان.

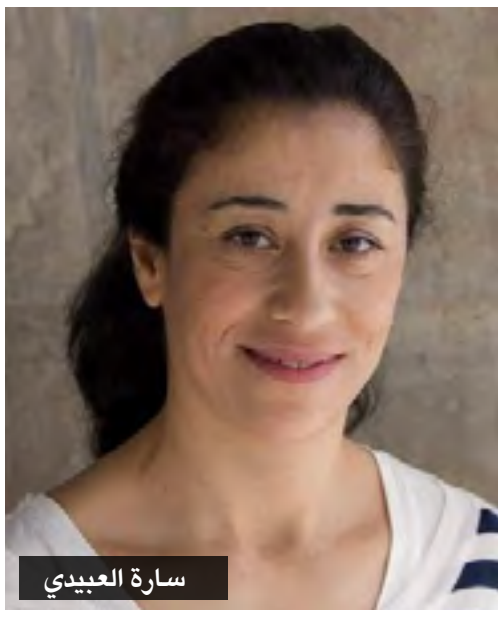

سارة العبيدي

وأضاف المخرج "أمير رمسيس" مدير المهرجان: "سعيد بالدور المميز الذي يلعبه الملتقى، حيث شارك في النسخة التاسعة منه العام الماضي عدد كبير من الأعمال العربية المميزة والضيوف، وهو أمر نحرص على تكراره هذا العام من خلال توفير أكبر دعم نستطيع تقديمه لصناع الأفلام العرب، لنساعدهم على تقديم أفلامهم وتطويرها للمشاركة في المحافل العالمية الكبرى كما حدث مع فيلمي "إن شاء الله ولد" و"بنات ألفة" الذي حصد 3 جوائز بمهرجان كان السينمائي الدولي.

وأضافت "ليندة بالخيريه" مدير ملتقى القاهرة السينمائي: "تزامنًا مع الاحتفال بعقد من الريادة في دعم مشاريع السينما العربية، يثبت ملتقى القاهرة السينمائي نفسه كمنصة عالمية منذ إنشائها، ومساهمًا في نجاح العديد من الأفلام التي عُرضت في أهم المهرجانات الدولية، بالإضافة إلى تقديم مجموعة متنوعة من المواضيع المؤثرة، وتتميز اختيارات هذه الدورة بتواجد مشاريع قوية لمخرجات نساء، حققت توازنًا جندريًا بين المشاركين وهو أمر غالبًا ما يكون صعبًا في صناعة السينما، ويمثل هذا المؤشر علامة إيجابية تدل على مواصلة المرأة العربية خطاها نحو التألق في السينما".

يقام "ملتقى القاهرة السينمائي" في إطار فعاليات أيام القاهرة لصناعة السينما، وهي منصة توفر فضاءً لإجراء النقاشات والتواصل والاجتماعات والورش والمحاضرات، وتستهدف دعم المواهب في العالم العربي وتسليط الضوء عليهم، ويشترط أن يكون مخرج المشروع المشارك عربيًا، وأن يكون الفيلم روائيًا أو وثائقيًا طويلًا في مرحلة التطوير أو ما بعد الإنتاج، وأن يكون مخرج المشروع عمل على فيلم واحد على الأقل، سواء كان طويلًا أو قصيرًا.

سينمائيات تونسية

إعداد : منير الفلاح

ظافر العابدين اكمل تصوير مشاهده في فيلم «أنف وثلاث عيون» للمخرج أمير رمسيس

انتهى يوم الأحد 8 أكتوبر تصوير فيلم"أنف وثلاث عيون"، والذي بدأ صناعه تصويره يوم 23 أوت الماضي، الفيلم معالجة سينمائية مُعاصرة لرواية الأديب الكبير إحسان عبد القدوس، والتي تم تقديمها في فيلم سينمائي عام 1972.

فيلم أنف وثلاث عيون رؤية درامية وسيناريو وحوار وائل حمدي وإخراج أمير رمسيس، ومن المتنظر طرحه قريبًا بدور العرض خلال الشهور القليلة المُقبلة.

الفيلم من بطولة النجوم ظافر العابدين وصبا مبارك وسلمى أبو ضيف، بالإضافة إلى عدد من النجوم مثل جيهان الشماشرجي، صدقي صخر، سلوى محمد علي، نبيل ماهر، نور محمود، الطفل سليم مصطفى، وظهور خاص للنجمة أمينة خليل كضيفة شرف الفيلم.

تدور الأحداث حول د. هاشم جراح التجميل، ذائع الصيت، والذي انتصفت أربعينيات عمره دون القدرة على الالتزام بعلاقة عاطفية لمدة طويلة، على مر السنوات اقترب جداً من فتاتين، لكنه وجد ما يكفيه من أسباب للابتعاد عنهما. أما الآن فهو غير قادر على مقاومة الفتاة الثالثة روبا، رغم أنها تصغره بخمسة وعشرين عاماً!.

دور ظافر العابدين في هذا الفيلم آثار ضجة في الوسط الفني المصري

وأثيرت حالة من الجدل عبر مواقع التواصل، فور انتشار نبأ انطلاق تصوير الفيلم، وبدأت المقارنة بين محمود ياسين وظافر العابدين، وما إذا كان سيوفّق الأخير في تحقيق نجاح الأوّل من خلال هذا الفيلم أم لا، كذلك فتحت فكرة إعادة تقديم الأعمال القديمة، لفنّانين جُدد.

أجاب مخرج النسخة الجديدة من الفيلم أمير رمسيس عن هذه التساؤلات، إذ أكّد خلال تصريحات تلفزيونية أنّه لن يقدّم شخصية الدكتور هاشم، التي لعبها محمود ياسين، بالصورة نفسها وإلّا لن تكون هناك أهمية للنسخة الجديدة، لكنّه اتّفق مع السيناريست وائل حمدي، على تقديم عمل سينمائيّ متماسك وليس تجسيداً لرواية أدبية فقط، لذا سيظهر ظافر العابدين، بصورة مختلفة تماماً عن الفنان الراحل، وسيلمس المشاهد تلك المعالجة الجديدة.

ويعود ظافر العابدين بهذا الفيلم للسينما المصرية، بعد أن تفرغ لبطولة وإخراج الفيلم التونسي "غدوة"، الذي شارك به في معظم المهرجانات السينمائية العربية والعالمية، ويتناول الفيلم الذي شارك ظافر أيضاً في تأليفه، المجتمع التونسي وأزماته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أيضاً، ونجح الفيلم في حصد جائزة اتحاد النقاد الفيبرسي (FIPRESCI)، خلال عرضه في فعاليات الدورة الـ43 لمهرجان القاهرة السينمائي، كما حصل على إشادات من الصحفيين والنقاد، خلال عرضه في الدورة الأولى لمهرجان البحر الأحمر بالمملكة العربية السعودية.

فيلم " فوفعة " لابراهيم لطيف قريبا في القاعات

أعلن المخرج التونسي "ابراهيم لطيف" أن فيلمه الجديد بعنوان "فوفعة" من المقرر أن يعرض قريبا في قاعات السينما التونسية. هذا وقد تم الكشف مؤخرا عن الإعلان الترويجي للفيلم، والذي شهد تفاعلا من قبل متابعي مواقع التواصل الإجتماعي.ف

ويذكر أن فيلم "فوفعة" (Alerte à l'ouragan) هو خامس أفلام إبراهيم لطيف المخرج والمنتج وكاتب السيناريو والتي تراوحت أعماله بين تجارب روائية طويلة وقصيرة، أبرزها فيلم "فيزا" المتوج بالتانيت الذهبي للأفلام الروائية القصيرة في أيام قرطاج السينمائية 2004 والأفلام الروائية الطويلة "7 شارع الحبيب بورقيبة" (Cinecitta)، "هز يا وز" و"بورتو فارينا".

فيلم "فوفعة" (Alerte à l'ouragan)، عن سيناريو توفيق ثامر، سنية زرق لعيون وابرهيم لطيف وجسد بطولته كل من فاطمة بن سعيدان، محمد حسين قريع، ريم بن مسعود، أميرة درويش، نرمين صفر، الشاذلي العرفاوي، ربيعة التليلي، خلود الجليدي، سندة الجبالي، حسام الساحلي، توفيق العايب، عاطف بوزيد وذلك إلى جانب ضيوف شرفه فاطمة ناصر، بية الزردي.

وفيلم "فوفعة" هو إنتاج مشترك لشركة "طويل قصير" و"FB للإنتاج" للممثلة فاطمة ناصر.

ويقول ابراهيم لطيف عن فيلمه"فوفعة": "فيه برشا ممثلين توانسة كيما محمد حسين قريع ،أميرة درويش ،فاطمة بن سعيدان ،شادلي العرفاوي ،نرمين صفر وبية الزردى ...بالنسبة لنرمين صفر في بداياتها بدات معايا وانا قاعد نتابع في مسيرتها وفي الي تقدم فيه .. مسيرة نرمين مسيرة مهمة "

وأضاف :"الفيلم ينقد الإعلام العومي في تونس وكيفاه يتعامل مع الأخبار كيما الإعصار ..والتلفزة في الفيلم موجودة كعنصر أساسي لربط الأحداث" ...

وافاد ابراهيم لطيف ان وزارة الثقافة دعمت الفيلم ب350 الف دينار والمنتجة فاطمة ناصر تكفلت بتغطية المصاريف المتبقية..

مهرجان "وارسو السينمائي" يشهد العرض الأول لفيلم "المابين"

شارك الفيلم التونسي "المابين" للمخرجة ندى المازني حفيظ في المنافسة الرسمية للدورة الـ 39 لمهرجان «وارسو السينمائي» في بولندا الذي انطلقت فعالياته يوم 6 أكتوبر وتستمر إلى 15 من ذات الشهر.

الفيلم من بطولة سناء بن شيخ، أيمن بن حميدة، محمد مراد، فتحي عكاري، فاطيمة بن سعيدان، محمد داهش، وأمينة بن اسماعيل، انتج سنة 2023 ومدته 95 دقيقة، تحاول من خلالها المخرجة شرح إشكالية أن يكون الشخص متأرجح بين هوية كونه امرأة أم رجل والضغوطات والمواقف التي يعانيها صاحب مثل هذا الموقف من أجل البقاء داخل مجتمع متحفظ.

يعرض مهرجان «وارسو السينمائي» في دورته الـ 39 ، 61 فيلماً قصيراً و 77 فيلماً طويلاً 15 ضمن المنافسة الرسمية منها 7 عروض عالمية أولى والتي من ضمنها الفيلم التونسي "المابين" للمخرجة ندى المازني حفيظ الذي يعرض غداً 11 أكتوبر، وهو ثاني أفلامها الروائية بعد "حكايات تونسية" الذي اخرجته عام 2010 .

يذكر ان ندى المازني حفيظ هي مخرجة تونسية. أخرجت الفيلم الروائي التونسي حكايات تونسية بميزانية بلغت 300 ألف دينار.

نشأت ندى المازني حفيظ بالسعودية وتنقلت لعدة بلدان عربية وأوروبية لأنها تنتمي لعائلة ديبلوماسية. درست الإخراج بكندا واستقرت بتونس منذ 2009.

نشأت في بيئة عالمية ذات ثقافات غنية ومتنوعة. تمثل المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة وفرنسا ومصر ثم كندا أرضًا خصبة لتنمية شغفها بالسينما.

عرس الفيلم القصير بالكاف

إلتئمت الدورة السادسة من مهرجان القصير بالكاف من 12 إلى 15 أكتوبر الجاري، وتم خلالها عرض أكثر من 40 فيلما بين أفلام روائية ووثائقية منها بالخصوص أفلام تُعنى بقضايا المرأة وحقوقها.

وسجّلت هذه الدورة حضور أفلام من تونس والجزائر والمغرب وسوريا وغانا وجنوب افريقيا والسينغال ورواندا والكاميرون والكونغو الديمقراطية والنيجر وبوركينا فاسو.

وسيتابع الجمهور في هذه الدورة 15 فيلما روائيا و9 أفلام وثائقية و8 أفلام ضمن قسم "كلمات نساء" و9 أفلام ضمن قسم "نظرة أخرى". وتتوزع عروض هذه الأفلام على مسرح الجيب ومركز الفنون الدرامية والركحية بالكاف.

وشاهد رواد التظاهرة، إلى جانب الأفلام القصيرة، فيلمين وثائقيين طويلين ضمن قسم "نظرة أخرى" هما "الغابة المقدسة" لعبد الله شامخ و"تمورثيو أزور" لشاهين بالريش بحضور المخرجين. كما شهدت هذه الدورة عرض 45 فيلما تم اختيارها رسميا ضمن مهرجان "موبايل فيلم فيستيفال أفريكا" في دورة جوان 2023 .

وتجدر الإشارة إلى أن مهرجان الفيلم القصير بالكاف تأسس سنة 2016 وقد أراده منظموه الناشطون بجمعية فنون للسينما والمسرح بالكاف، نافذة لتطوير الثقافة السينمائية بالجهة، وتمكين الطلبة والمولعين بالفن السابع من التعرف على أهم الأشرطة القصيرة المنتجة في تونس والعالم العربي وافريقيا.

سينمائيات

إعداد : منير الفلاح

محمد عبد الرحمان التازي سيرأس لجنة تحكيم الأعمال الطويلة في المهرجان المغاربي للفيلم بوجدة

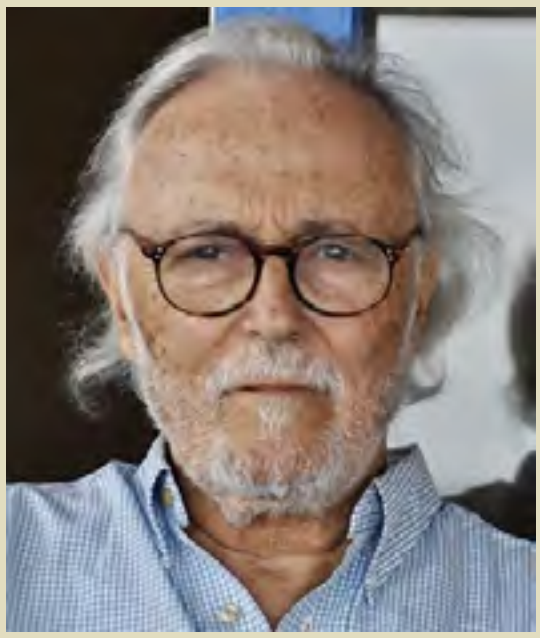

كشف خالد سلي، مدير المهرجان الدولي المغاربي للفيلم بوجدة، عن أن الدورة 12 من المهرجان الدولي المغاربي للفيلم بوجدة، سيرأس لجنة تحكيم الأفلام الروائية الطويلة في هذه النسخة السيناريست والمخرج محمد عبد الرحمان التازي، فيما أسندت رئاسة لجنة تحكيم الأفلام القصيرة للمخرج والمنتج جمال السويسي.

وأكد سلي، أن برنامج المهرجان في دورته الحالية سيقدم لجمهوره ومحبي الفن السابع برنامجاً غنياً يتنوع بين العروض السينمائية، والورشات وماستر كلاس وندوات ومائدة مستديرة ولقاءات دون إغفال فقرة التكريمات التي تولي لها التظاهرة أهمية كبرى، إذ تحتفي النسخة 12 بعدد من الفنانين من بينهم الفنان المغربي إسماعيل أبو القناطر الذي انطلق في مسيرته الفنية منذ سنوات السبيعنيات وتألق في عدد من الأعمال المسرحية والسينمائية والتلفزيونية، على غرار "حد الصداقة" و"حجر الواد" و"رجل فوق الشبهات" و"راس المحاين" و"الذئاب لا تنام" و"الإرث" و"دموع إبليس".

وتنعقد النسخة 12 من المهرجان الدولي المغاربي للفيلم بوجدة، بين 20 و25 أكتوبر 2023 تحت الرعاية الملكية السامية وحاملة شعار "السينما من أجل العيش معا بين الشعوب"، بمصاحبة ودعم من المركز السينمائي المغربي ومؤسسات عمومية وخاصة.

يذكر ان محمد عبد الرحمان التازي سنة 1942 بمدينة فاس، وتخرج من المعهد العالي للدراسات السينمائية بباريس سنة 1963. التحق بالمركز السينمائي المغربي ليعمل مديرا للتصوير من سنة 1964 إلى سنة 1968 قبل أن يعين بهذه المؤسسة بدءا من سنة 1969 مديرا للأنباء المصورة ثم مسؤولا إداريا وتقنيا، وهو المنصب الذي ظل يشغله حتى العام 1980.

في سنة 1970 شارك في إنتاج الفيلم الروائي الطويل "وشمة" للمخرج حميد بناني، وهو الفيلم الذي قام بإدارة تصويره، ثم رحل أربع سنوات بعد ذلك إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمتابعة تكوين في مجال التواصل في جامعة سيراكيوز.

أحدث سنة 1980 شركة الإنتاج "الفنون والتقنيات السمعية البصرية" ثم بدأ في العام الموالي في إخراج أفلام وثائقية مؤسساتية للقطاعين العام والخاص.

شهدت سنة 1981 إنجاز أول فيلم روائي طويل لمحمد عبد الرحمان التازي وهو "ابن السبيل" الذي أنتجه وكتبه الراحل نورالدين الصايل، ثم أخرج "باديس" (1988)، و "البحث عن زوج امرأتي" (1993)، و "للا حبي" (1996).

خلال الفترة ما بين 2001 و2003، شغل منصب مدير الإنتاج في القناة الثانية 2M، قبل أن يتقلد بها منصب مستشارا لدى الإدارة العامة مكلفا بالإنتاج من سنة 2005 إلى سنة 2007.

بعد ذلك أخرج التازي "جارات أبي موسى" (2003)، و"البايرة" (2013)، و "فاطمة السلطانة التي لا تنسى" (2022)، وقد توجت أغلب أعماله السينمائية في العديد من المهرجانات الوطنية والدولية.

في سنة 2010، خصه المهرجان الدولي للفيلم بمراكش بتكريم خاص عن مجمل مساره المهني المتميز.

كما ترأس سابقا جمعية المخرجين والمنتجين المغاربة وللغرفة المغربية للتقنيين،وهو اليوم رئيس الغرفة الوطنية لمنتجي الأفلام.

أرنولد شوارزينغر يكشف أسراره في كتابه الجديد : "كن مفيداً"

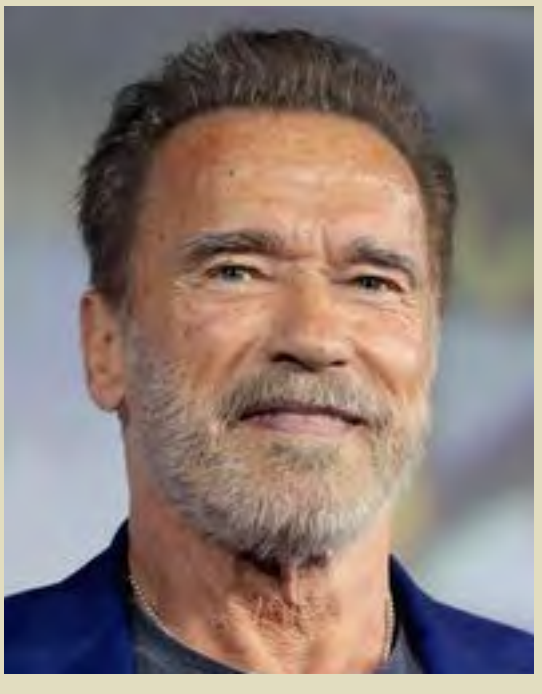

"كن مفيداً: 7 مبادئ للحياة" كتاب جديد ارتأى نجم أفلام الأكشن الأمريكية أرنولد شوارزينغر، أن يتوجه به إلى جمهوره لمشاركته القواعد الأساسية التي انتهجها في حياته وأسهمت في تحقيق نجاحات كبيرة مهنياً وشخصياً.

والتقت مجلة "بيبول" الأمريكية أرنولد قبل إطلاق كتابه في 24 أكتوبر الجاري، فكشف الكثير من الأسباب التي دفعته إلى هذه الخطوة.

أوضح الممثل أنه اختار شعار "كُن مفيداً" لأنه كان منذ طفولته، ولا يزال برنامج حياته، ليكون مفيداً لأهله ومجتمعه ومحيطه وبلده، بتخطي ومواجهة العقبات في سبيل تحقيق الأحلام.

واعتبر أنه شعار حفّزه على استخدام مواهبه في مساعدة الآخرين، فاستطاع كسب محبة الناس، وحصل على أكثر مما كان يطمح إليه.

ويستمد الكتاب دروساً من مسيرة شوارزينغر، 76 عاماً، في كمال الأجسام، التي فاز فيها بسبعة ألقاب مستر أولمبيا، وخمسة عقود قضاها في هوليوود، وفترتين حاكماً لولاية كاليفورنيا، وصولاً إلى ما هو عليه اليوم. وسلطت "بيبول" الضوء على بعض المحطات الهامة في حياة أرنولد في الكتاب.

يرد في الكتاب أن والد أرنولد وبعد هزيمة الألمان في الحرب العالمية الثانية أصبح مدمن كحول ويميل إلى العنف ضد أسرته، ولطالما أفرغ غضبه بضرب أرنولد وشقيقه ووالدتهما، لكن تبقى أزمة الإفطار كارثة.

وشرح أنه كان مضطراً لأداء 200 حركة رياضية ليحصل على وجبة فطوره، وكأن والده كان ينتقم من الهزيمة عبر أبنائه، أو أنه يدربهم على القسوة في مواجهة ظروف الحياة، مؤكداً أنها ذكريات لن تُمحى من ذاكرته.

وفي الفيلم الوثائقي الذي أنتجته نتفليكس وعُرض في يوليو 2023، تطرق بطل فيلم "ترمينيتور" إلى النزوة العاطفية مع مدبرة منزله، التي أسفرت عن انهيار زواجه من الصحافية الشهيرة ماريا شرايفر.

وفي الكتاب كرر أرنولد الحادثة بألم، وأكد أنه سعى جاهداً لتجنب الانفصال، لكن محاولاته باءت بالفشل، لذلك عمد إلى إغلاق الباب على كل الأقاويل، وأكد أنه لا يزال يحب ماريا ويحترمها إلى الأبد.

وتعقيباً على ذلك سألت "بيبول" عن علاقتهما حالياً، فأكد أنها صداقة حميمة ودافئة ويسعيان دوماً إلى الحرص على العطلات وقضائها مع أبنائهما، وهو ما يدفعه للمحافظة على حبه لها.

يكشف أرنولد في كتابه خضوعه ثلاث مرّات لعملية "القلب مفتوح"، لافتاً إلى أن الجراحة الثالثة كانت مباغتة، وأنه كاد أن يموت لو لا الجراحة، لكن الأسوأ أنه كان على وشك دخول الاستودية لتصوير الجزء 6 من "تيرمينتر".

وشارك الجمهور رحلة تعافيه، بعد الخطأ الطبي الذي تسبب له في نزيف داخلي، اضطره للخضوع إلى جراحة سريعة لإنقاذ حياته، مسلطاً الضوء على ما بعد العملية التي كانت صعبة، لكن بالصبر والرياضة الخفيفة، تجاوزها.

أصبح شوارزينغر حاكماً لكاليفورنيا لأول مرة في 2003 وأعيد انتخابه في 2006، لكن قبل التنصيب بأسبوعين، أصيب بكسر في عظم الفخذ، وكان لابد من إلغاء الحفل بسبب عجزه عن إلقاء الكلمة الرئيسية.

لكن أرنولد رفض مقترحات فريق عمله، وتناول مسكنات الألم، وأجبر نفسه على التعامل مع 20 دقيقة من الألم المبرح، وظهر على المسرح بعكازين، وألقى كلمته وتحمل الألم، وحاز احترام الناس وحبهم الكبير.

مهرجان " مونبلييه السينمائي للبحر المتوسط" يحتضن العرض العالمي الأول لـ"سكرانيا 59"

يشهد مهرجان مونبلييه السينمائي للبحر المتوسط (سينيميد) في نسخته الـ45 المقرر انعقادها في الفترة الممتدّة بين الـ20 والـ28 من أكتوبر ، العرض العالمي الأول للفيلم القصير"سكرانيا 59" للمخرج الفلسطيني عبدالله الخطيب.

"سكرانيا 59" انتاج مشترك بين فرنسا الجزائر والأردن من بطولة الممثلة الفلسطينية هيام عباس، والممثل الجزائري حكيم طرايدية والفلسطيني جعفر الخطيب.

تدور أحداث الفيلم القصير في 21 دقيقة حول قصة عائلتين لاجئتين واحدة من فلسطين مخيم اليرموك بسوريا والأخرى من أكرانيا، اجتمعتا بألمانيا تحت سقف بيت واحد خصصته السلطات الألمانية للاجئين واضطرتا للتعايش سويا رغم الفوارق والإختلافات العقائدية والثقافية.

المخرج الفلسطيني عبدالله اخرج من قبل فيلمه الوثائقي الأول "فلسطين الصغرى" سنة 2021 والذي شارك به في العديد من المهرجانات السينمائية الدولية وحصل من خلاله على العديد من الجوائز.

سينمائيات

إعداد : منير الفلاح

الفيلم الفلسطينب "بيت في القدس" ضمن فعاليات مهرجان القاهرة الدولي في نسخته الـ 45

أعلن مهرجان القاهرة السينمائي الدولي، اختيار فيلم "بيت في القدس" للمخرج مؤيد عليان والمؤلف رامي عليان، للمشاركة ضمن فعاليات النسخة 45 التي تُقام في الفترة ما بين 15 - 24 نوفمبر، حيث سيشهد عرضه الأول عربيًا ضمن قسم عروض منتصف الليل.

وأصدرت الشركة الموزعة للفيلم في العالم العربي، البوستر الرسمي في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وفيه تظهر الطفلة ريبيكا التي تلعب دورها مايلي لوك في حالة وجوم، ويتناثر من حولها زجاج مرآة تظهر فيه صورة لوجه طفلة أخرى مغمضة عينيها، وهو ما يضيف إلى هالة الغموض المحيطة بالفيلم.

حصل الفيلم على عرضه العالمي الأول في مهرجان روتردام السينمائي الدولي، كما عرض في عدة مهرجانات دولية أخرى.

تدور أحداثه حول ريبيكا التي تنتقل من لندن لتعيش مع والدها في القدس، على أمل أن تساعدها البداية الجديدة على التعافي من صدمة وفاة والدتها. تنطلق ريبيكا في رحلة غامضة لاستكشاف خبايا منزل جدها، وتغوص في أعماق أسراره والجانب السحري من مدينة القدس، وهو من بطولة جوني هاريس، مكرم خوري، سعاد فارس، مايلي لوك، وشهرزاد مخول فارل.

وفاة السينمائي البريطاني" نتيرنس ديفيز"

توفي تيرينس ديفيز، المخرج السينمائي الذي أشاد به النقاد بانتظام باعتباره من بين أعظم المخرجين في بريطانيا، عن عمر يناهز 77 عاما.

المخرج المولود في ليفربول، والذي ربما اشتهر بدراسته شبه السيرة الذاتية للحياة الأسرية للطبقة العاملة، في فيلمه "أصوات بعيدة، حيوات باقية" (1988)، بطولة بيت بوستليثويت، كان يعمل على مشروع جديد في وقت مرضه، وقدم قبل عامين فقط فيلم "Benediction" بطولة جاك لودن في دور شاعر الحرب سيغفريد ساسون.

وفاة تيرنس ديفيز، شاعر الألم والنشوة، خسارة فادحة للسينما البريطانية، وكان قد نال الإعجاب بسبب أسلوبه الحساس والحساس في تقديم الدراما الواقعية، مما يسمح للممثلين بتسجيل التغييرات الصغيرة في المشاعر.

تعليقًا على الأسلوب الغنائي الذي يميز فيلم "أصوات بعيدة، حيوات باقية"، وما تردد من أصداء له في فيلم Sunset Song) 2015)، أشار الناقد السينمائي جوناثان رومني إلى "أن الكآبة والنشوة متشابكان في تأثير سيمفوني تمامًا". ويصور كلا الفيلمين، شخصية أب عنيف، هو والد ديفيز، الذي توفي عندما كان في السابعة من عمره. وفي عام 2000، قام ديفيز باخراج فيلم The House of Mirth لإديث وارتون، والذي تم ترشيحه لجائزة بافتا، وتبعه بعد توقف لمدة ثماني سنوات بفيلم Of Time and the City، وهو فيلم وثائقي أرشيفي عن ليفربول.

المخرج الشيلي "اليخاندرو خودوروفسكي" يقف وراء الكاميرا في سن 94

نشر موقع World of Reel أن المخرج الكبير اليخاندرو خوودوروفسكي كان قد نشر على مواقع التواصل الاجتماعي في العام الماضي أنه بصدد مشروع لفيلم جديد قال إنه يعمل عليه.

وقد عاد في 16 أفريل 2023 ليؤكد أنه يستعد لإخراج فيلم سيكون ناطقا بالإنجليزية بعنوان "رحلة ضرورية" Essentoal Voyage.

وكان خودوروفسكي قد أصدر ديوان شعر بالعنوان نفسه، ويقول الموقع أن الفيلم ربما يكون مجوعة من الفصول الشعرية.

وكان آخر فيلم أخرجه خودوروفسكي هو "شعر بلا حدود" في 2016 واستقبل استقبالا حافلا عند عرضه بتظاهرة نصف شهر المخرجين بمهرجان كان السينمائي، ثم أخرج فيلما تسجيليا قبل وقوع جائحة الكوفيد في 2019.

ويقول الموقع نفسه إن من المحتمل أن يكون الفيلم الجديد خاتمة الثلاثية التي بدأها خودوروفسكي بفيلم "رقصة الواقع" (ثم شعر بلا حدود)، إلا أن ما نعرفه أن المخرج التشيلي الكبير يتمتع بصحة جيدة وهو حاليا في الرابعة والتسعين من عمره.

وهو معروف باتجاهه السريالي في السينما، وكان قد قدم فيلمين يعتبرا من التحف السينمائية الكبرى في السبعينات هما "الطوبو" و"الجبل المقدس". وكانت له محاولة لم تكتمل لإخراج فيلم عن رواية "الكثيب" Dune.

المخرج الفلسطيني رشيد مشهراوي يدين الاعداء على غزة

قال المخرج الفلسطيني تعليقا على ما يحدث في غزة، هو إن إسرائيل من قبل 1948 تعمل على محو الفلسطينيين من فلسطين، ولم تتوقف عن ذلك المخطط للحظة، خاصة إنه مشروع متواصل بدعم أمريكي، والآن وبعد هجوم المقاومة الفلسطينية من حماس وفصائل أخرى وجدت في ذلك فرصة لارتكاب أبشع جرائم الحرب ضد شعبنا في غزة وفي مناطق أخرى من فلسطين.

وأضاف المخرج الفلسطيني رشيد مشهراوي، أن ما يجري على الأرض الآن هو حرب إبادة وتطهير عرقي وكعادتها لا تهتم بالقوانين والاتفاقيات الدولية الإنسانية للتعامل مع المدنيين.

يذكر ان آخر أعمال المخرج الفلسطيني رشيد مشهراوي كان الفيلم الوثائقي "استعادة" والذي يروي قصة شخصية يحاول من خلالها رشيد مشهراوي إعادة صوت الحياة اليومية إلى صور تاريخية لمدينة يافا في تجربة سينمائية لاستعادة الذاكرة وتحديث العلاقة مع المكان والزمان والحدث في مدينة عاش فيها والده قبل أن يهجر منها عام 1948، فعلاقة الفيلم بالشغف الذي يكنه لمدينته "يافا" وكيف تمكن من إعادة سرد تاريخها من خلال 500 صورة أرشيفية وكلمات أديبها طاهر القليوبي .

والفيلم مدته 60 دقيقة وإنتاج رشيد مشهراوي ومحمد قبلاوي ولاورا نيكولوف وإخراج رشيد مشهراوي وتشخيص طاهر القليوبي .

ليلى علوي تقدم ثلاث أفلام جديدة دفعة واحدة

تعيش النجمة ليلى علوى حالة كبيرة من النشاط الفني وخاصة على المستوى السينمائى، إذ تعاقدت على أكثر من فيلم خلال الأسابيع الماضية بجانب أفلام أخرى تنتظر عرضهم خلال الفترة المقبلة، والمفارقة هو اتجاه ليلى علوى إلى الأفلام "اللايت" في أعمالها الأخيرة وذلك في تحول جديد بمسيرتها خلال الفترة الماضية.

وتعاقدت ليلى علوى مؤخراً على بطولة فيلم كوميدى جديد يحمل اسم "جوازة توكسيك" من تأليف لؤى السيد وإخراج محمود كريم ومقرر بدء تصويره خلال الأسبوعين المقبلين لعرضه فى النصف الأول من عام 2024، ويجمع الفيلم بينها وبين الفنان بيومى فؤاد للمرة الثالثة على التوالى فى السينما بعدما قدما سوياً فيلمى "ماما حامل" عام 2021 و"شوجر دادى" عام 2023 والعملين من تأليف لؤى السيد وإخراج محمود كريم.

وبدأت ليلى علوى الشهر الماضى تصوير فيلم آخر بعنوان "مقسوم" بمشاركة شيرين رضا، سماء إبراهيم، سارة عبدالرحمن، وعمرو وهبة، ومن تأليف هيثم دبور وإخراج كوثر يونس، ومن إنتاج BLUE PRINT وسينرجي فيلمز وأفلام مصر العالمية، وتدور أحداث الفيلم في إطار اجتماعي كوميدي موسيقي، وتظهر ليلى علوى في العمل بشخصية مطربة إعتزلت الغناء بعدما كونت فرقة موسيقية مع شيرين رضا وسما إبراهيم في التسعينيات.

وتنتظر ليلى علوى عرض فيلم " آل شنب" الذي انتهت من تصويره الشهر قبل الماضى، ويشارك فى بطولته لبلبة، سوسن بدر، هيدى كرم، أسماء جلال، خالد سرحان، محمد البزاوى، حسن مالك، وإخراج أيتن أمين، وسيناريو أيتن أمين وأحمد رؤوف وإسلام حسام.

وعرض للنجمة ليلى علوى فيلم "شوجر دادى" في مايو الماضى، والعمل من تأليف لؤى السيد وإخراج محمود كريم وبطولة ليلى علوى، بيومى فؤاد، حمدى الميرغنى، مى الغيطى، فرح الزاهد، محمد محمود، مصطفى غريب وجوهرة وتامر هجرس عدد آخر من الفنانين، ومن ضيوف الشرف هشام عباس الذى يقدم أغنية أيضًا خلال الأحداث، ومروان يونس وسارة الدرزاوى.

في قاعاتنا السينمائية

إعداد : منير الفلاح

تضامنا مع الشعب الفلسطيني المكتبة السينمائية تعرض فيلم " كفر قاسم"

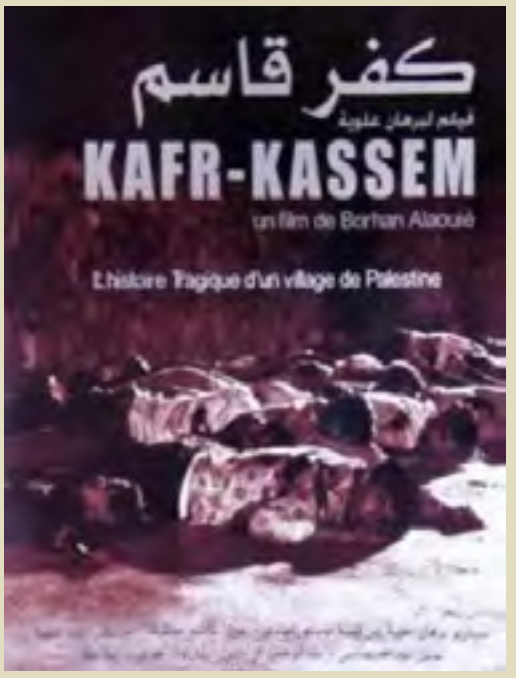

تضامنا مع الشعب الفلسطيني ونضالاته, عرضت المكتبة السينمائية التونسية فيلم "كفر قاسم" لبرهان علوية (1975) و ذلك يوم السبت 14 أكتوبر الحالي.

ويتناول الفيلم مجزرة قرية كفر قاسم الفلسطينية من قبل السلطة العسكرية الصهيونية ويمزج الوثيقة بالرواية ضمن تحليل سياسي وفني ناضج، يوضح أبعاد هذه المجزرة وملابساتها وبالمقابل يحلل الواقع الفلسطيني داخل الأرض المحتلة في تلك الفترة. الفيلم باختزال: يؤكد ويفضح هوية العنصرية بحدة ووضوح مما يجعله وثيقة سينمائية دامغة للممارسات الصهيونية ضد الفلسطينيين.وقد نال هذا الفيلم الجائزة الكبرى للأيام السينمائية بقرطاج عام 1974 وأثار نقاشا كبيرا حول أهميته ونوعه ونال أيضا جائزة منظمة التحرير 1974) وجائزة مهرجان موسكو ودبلوم تكريم 1995 من معهد العالم العربي (جائزة بنياله السينما العربية للافلام الوثائقية 1977)

ويقدم الناقد اللبناني نديم جرجورة الفيلم قائلا :" سينمائياً، يسبق "كفر قاسم"، بأعوام مديدة، نمطاً وثائقياً يُعرف لاحقاً: "دوكيو دراما"، أو الوثائقي الروائي، إذْ تتداخل أنواع سينمائيةً في فيلم واحد، يتناول موضوعاً أو شخصية أو حالة، بالاستناد إلى مستندات ووثائق مكتوبة ومسجّلة ومُصوّرة، مُضيفاً إليها فقرات تمثيلية مختلفة. هذا نوع من تجديد الاشتغال السينمائي الوثائقي لدى علوية، بالإضافة إلى اعتماد "جينيريك" مختلف، فأسماء العاملين في "كفر قاسم" تُكتب على الشاشة بشكلٍ متقطّع، بين مشهدٍ وآخر. بينما بعض أسماء شهداء المجزرة يُذكر عند تنفيذ القتل (كلّ اسم على لقطة لشهيد يؤدّي دوره ممثلٌ) في مشاهد متخيّلة سينمائياً، وبعضها الآخر يُذكر في نهاية الفيلم، المعقودة على مقاطع من قصيدة "مغنّي الدم" (عن كفر قاسم) لمحمود درويش.

ميزة أخرى لـ"كفر قاسم": إنّه صنيع إنتاج مشترك بين "المؤسّسة العامة للسينما" في دمشق و"المؤسّسة العربية للسينما" في بيروت، مع فنانين وتقنيين أجانب، كهنري مورِلّ (هندسة الصوت) وإليان دو بُوا (سكريبت مونتاج)، علماً أنّ السيناريو لبرهان علوية والحوار لعصام محفوظ والموسيقى لوليد غلمية. الإنتاج العربيّ المشترك نادرٌ، حينها وفي كلّ حين. لكنّ التجربة تقول بإمكانيته، إنْ تتوفّر معطيات أساسية، أبرزها انفتاح الجهة المُنتجة، وقناعتها بأولوية المشروع وأهميته، لا بحسابات جغرافية ومناطقية ضيّقة.

"هيروشيما حبي" يعرض من جديد في في تونس بعد أكثر من نصف قرن من انجازه

إحتفت المكتبة السينمائية التونسية (سينماتيك) بالكاتبة الفرنسية مارغريت دوراس (1914 - 1996) وإسهاماتها في السينما، في فعالية بعنوان "مارغريت دوراس في السينما".

وضمن فعاليات هذه التظاهرة تم عرض فيلم "هيروشيما حبي" (1959) الذي أخرجه آلان رينيه وكتبت السيناريو الخاص به دوراس المولودة في فيتنام، وهو فيلم يوثّق سلسلة من المحادثات الشخصية المكثفة على مدار 24 ساعة بين ممثلة فرنسية ومهندس معماري ياباني، لكن نقادا اعتبروه انطلاقة لسينما الموجة الجديدة في فرنسا.

تقع أحداث الفيلم في هيروشيما، حول الطيران والقصف النووي على هيروشيما وناكازاكي. وعن قصة الحب التي جمعت ممثلةً فرنسية ذهبت إلى هيروشيما لإنجاز المشاهد الأخيرة في عملٍ درامي عن السلام، ومهندس ياباني كان موجودًا للعمل في إعادة البناء.

الشعور عندما نشاهد فيلماً مثل هيروشيما حبيبتي Hiroshima, My Love هو التجربة الحقيقة لمعنى المعاناة في الحرب والشعور الحقيقي بالحب والتضحية. الفيلم يقدم توثيقاً مع سرد روائي رومانسي لأحداث حصلت أثناء إلقاء القنبلة الذرية على مدينتي هيروشيما وناغازاكي في نهاية الحرب العالمية الثانية. قدم الفيلم بقوة في وقت قصير لاستعراض وثائقي لمعاناة الحرب بالنسبة للشعب الياباني، ثم ننتقل لمشاعر مختلفة تماماً عن الحرب والمآسي والموت، وهي قصة عاطفية تحصل بين سيدة فرنسية ورجل ياباني.

يعرض الفيلم توثيقاً خطيراً وربما صادماً للبعض للأحداث التاريخية التي حصلت لسكان مدينة هوروشيما اليابانية في العام 1945، ولكن أحداث الفيلم اللاحقة تقع في العام 1953. مع قص سردي فريد من نوعه، وغير تقليدي نجد أننا أمام حب غريب وغير متوقع في السينما في ذلك الوقت بين رجل ياباني، وامرأة فرنسية، كل واحد منهما من البلدان التي تورطت في الحرب العالمية السيدة تمثل الجانب المنتصر، أما الرجل فهو للدولة المهزومة، ولكن في الفيلم نجد أن الشخصية المهزوزة والمتوترة والمهزومة تماماً تتمثّل للسيدة وليس للرجل الذي ظهر متماسكاً، قوياً، وأكثر ثقة. وهو الأمر الذي عكس الجانب الحقيقي للحرب والذي كانت القوة فيها لصالح الحلفاء بشكل كبير عن دول المحور والتي تمثلها اليابان، ألمانيا مع إيطاليا. في الفيلم لا نرى أي حوارات أو مضامين سياسية، يقدم الفيلم نفسه بتركيز شديد عن الإنسان، الحب، وحول الفن، والتضحية. ويظهر الفيلم مدى أهمية الحب للتغلب على الكراهية التي عادة ما تصنعها الحروب، الفيلم يثبت أن الجانب الإنساني هو المهم في حالة هذا الفيلم.

المونتاج والتحرير كان بعيداً بعدم اتباع أسلوب غودار من القطع الزمني على الرغم من انتماء الفيلم للموجة الفرنسية.

يميل الفيلم أيضاً الى المونتاج الفكري أو التثقيفي مع السرد والشخصية الرئيسة. في المونتاج نجد أن المخرج متأثر كثيراً بالمونتاج الروسي، خصوصاً مع أسلوب الأشهر المخرج الروسي سيرجي آيزنشتاين في فيلمه السفينة الحربية بوتيمكين. أيضاً بعض اللقطات تم تحريريها بشكل متأثر بما يعرف بتأثير ليف كوليشوف الذي اخترع كوليشوف كجزء هام في تاريخ المونتاج ،حيث نجد اللقطة الأولى يمكن أن يكون لها تأثيرات نفسية على اللقطة التالية. فيلم متميز وهام على مستوى تاريخ السينما، ويجب مشاهدته للمهتمين في تطور السينما في مرحلة الخمسينيات.

حصل هذا الفيلم على العديد من الجوائز، من بينها جائزة الفدرالية الدولية للصحافة والسينما في مهرجان «كان» عام 1959. وذلك بعد عام من تصوير الفيلم. كما حصل «هيروشيما عشقي» على جائزة الكتابة السنمائية والتلفزونية. الحب رغم الدمار تبدأ أحداث الفيلم في صيف 1968، في مدينة هروشيما بعد الدمار، وتوجد في المدينة شابة فرنسية مهمتها التمثيل في فيلم حول السلام، إلا أن «هيروشيما عشقي» هو المقطع الأخير من هذا الفيلم، حيث تحاول الشابة الفرنسية الثلاثينية مغادرة المدينة والعودة إلى باريس لزوجها ولطفليها. غير أنها تلتقي بشاب ياباني مهندس متزوج هو الآخر ولديه أبناء؛ لتبدأ قصة حب على أنقاض الدمار رغم الزواج والأطفال والجراح، فالمهم في القصة ليس مجرد اللقاء بين الشابين؛ فهذا حدث يحصل كل يوم في اليابان وغيرها من الدول؛ تقول دوراس. المهم حسب السيناريو هو حالة الحب على وقع الجراح والدخان والخراب،

فيلم سكورسيزي الجديد " قتلة زهرة القمر " على الشاشات التونسية

يتتبع فيلم "قتلة زهرة القمر" المقبل من إخراج مارتن سكورسيزي وبطولة ليوناردو دي كابريو سلسلة من جرائم القتل التي وقعت على أمة أوساج في ولاية أوكلاهوما في الولايات المتحدة خلال عشرينيات القرن العشرين بعد اكتشاف النفط على أراضيهم. يستند الفيلم إلى كتاب غير روائي للصحفي ديفيد غرانت يحمل نفس الاسم. تم تأليف النص من قبل سكورسيزي وإريك روث. يشارك في البطولة جيسي بليمنز وليلي جلادستون وبرندان فريزر وجون ليثغو وروبرت دي نيرو. يمثل الفيلم التعاون السابع بين سكورسيز

بدأ تطوير فيلم "قتلة زهرة القمر" في مارس 2016 عندما فازت شركة إمبيرتف إنترتيمنت بحقوق تحويل الكتاب إلى فيلم. ارتبط اسما سكورسيزي ودي كابريو بالفيلم في عام 2017 ، وكان من المتوقع في البداية أن يبدأ الإنتاج في أوائل عام 2018. بعد العديد من التأخيرات والتأجيلات بسبب جائحة فيروس كورونا ، كان من المقرر أن يبدأ الإنتاج في فيفري 2021 بدعم من أبل تي في + كممول وموزع للفيلم إلى جانب باراماونت بيكتشرز. تم التصوير في نهاية المطاف في مقاطعة أوساج ومقاطعة واشنطن في أوكلاهوما بين ربيع وخريف عام 2021. الفيلم بميزانيته البالغة 200 مليون دو لار هي أكبر مبلغ تم إنفاقه على فيلم تم تصويره في أوكلاهوما.

الفيلم مستوحى من كتاب "قتلة زهرة القمر: جرائم قتل أوساج وولادة مكتب التحقيقات الفدرالي" للكاتب الصحفي ديفد جران الذي نشره عام 2017.

ويبحث الكتاب في سلسلة من جرائم القتل لإحدى القبائل من الشعوب الأصلية في الولايات المتحدة تسمى "الأوساج" في ولاية أوكلاهوما الأميركية. وتدور الأحداث في بداية عشرينيات القرن العشرين، فبعد اكتشاف رواسب نفطية كبيرة تحت أراضيهم أصبحوا من أثرياء العالم.

ولكن لم يستطع الأوساج أن يتمتعوا بأموالهم، فحولت الثروة حياتهم إلى سلسلة مرعبة من عمليات القتل الغامضة، وبالرغم من غموض وشراسة ما تعرض له العشرات منهم، فإن التحقيقات في قتلهم لم تكن ذات أهمية.

أمسية ثقافية من تنظيم المهعد الوطني للفن الحديث والمعاصر بالشراكة مع مسرح الأوبرا بمدينة الثقافة

”تجليّات الالتزام في الفن التشكيلي الفلسطيني“

د. فوزية ضيف الله

نظم المتحف الوطني للفن الحديث والمعاصر بالشراكة مع مسرح الأوبرا بمدينة الثقافة، أمسية ثقافية تضامنا مع الشعب الفلسطيني ومع ما يقع في قطاع غزّة، تحت عنوان «تجليات الالتزام في الفن الفلسطيني». تضمنت الأمسية – حضرها ممثلون من سفارة فلسطين بتونس، السيد مندوب الشؤون الثقافية بتونس، وعدد هام من المسرحيين والفنانين والمثقفين الملتزمين بالقضية الفلسطينية- معرضا لوحات تشكيلية تناولت موضوع فلسطين لفنانين من فلسطين وتونس والجزائر، وفق تقنيات وأساليب فنية مختلفة. وقدمت الأستاذة الأكاديمية والباحثة فوزية ضيف الله مداخلة تناولت فيها مفهوم الالتزام في الفن الفلسطيني مع مقاربة تأويلية للوحات المعروضة برواق ”مقام“. وقد تحدثت المديرة العامة للمتحف الوطني للفن الحديث والمعاصر الأستاذة أحلام بوصندل من جهتها عن تاريخية التضامن الوطني والفني بين الشعبين الفلسطيني والتونسي.

ما معنى الالتزام في الفن؟

يرتبط مفهوم الالتزام في العالم العربي بالأدب الفلسطيني، وظهر فعلا مع رواية «رجال في الشمس» لغسان كنفاني، وارتقى الشاعر محمود درويش بقصيدة الحب إلى آفاق رمزية لفكرة الالتزام. أما أدونيس فيعتبرأن الالتزام الأدبي يتحقق داخل اللغة، فلا بد من تثويرها وإعادة كتابتها. ولا يمكن أن ننسى إرساء سارتر لمفهوم الالتزام في الأدب، وهو ما نقله الى الماركسية ضد الاحتلال النازي. وكانت التجارب الموسيقية للشيخ إمام وفؤاد نجم في مصر، ناس الغيوان وجيل جلالة في المغرب، الهادي قلة في تونس، سميح شقير في سوريا، قادرة على التأثير والتغيير.

يتجنب الكثير من النقاد الحديث في العلاقة الشائكة بين الفن والالتزام. فهو مفهوم متعدد المعانى والدلالات، وينبغي حمايته من الاستعمالات الايديولوجية، ولا يمكن أن نعول على الاجابات الجاهزة للخروج من هذا السؤال. فعادة ما يتم ربط الالتزام في الفن العربي باليسار السياسي ومطلبية العدالة والرغبة في التحرر من الأنظمة المستبدّة.

غير أن الفن التشكيلي الفلسطيني استطاع على مدى أجيال من التعبير من أن يكون ملتزما بقضايا الوطن، والحرية معبّرا عن الشتات والتهجير والعودة، مستعينا بأساليب وتقنيات متعددة، تظل في علاقة بالواقع حتى أن بلغت مداها التجريدي. تلك خصوصية الأدب والشعر والفنون الفلسطينية، تم اكتسابها وفرضت عليه فرضا أمام واقع النضال المستمر لأجل القضية الفلسطينية. يعني ذلك أن الالتزام الفلسطيني هو التزام مخصوص تجاوز .

لمحة حول الفن التشكيلي الفلسطيني

يعبّر الفن التشكيلي الفلسطيني عن ذاكرة استثنائية تقاوم كل أشكال النسيان والطمس والتلاشي. فراوح بين رسم الواقع والأحداث والهزائم والفواجع والهزات (الموجود) ورسم الحلم المنشود والصورة المتخيلة والشاحذة للهمم استنادا الى تقنيات ومدارس تشكيلية متنوعة. فصوّر التاريخ والموروث والأرض والزيتون والقدس والأقصى، كما صوّرالمجازر والاعتداءات والحروب والموت والثكالى والطفولة المغتصبة والجوع و الغضب والموت.

لا يتعلق الأمر بمجرد محاكاة تصويرية، إذ يفكّك الفنان عوالم الألم الذي يُحسّه، إزاء أرضه المغتصبة، ليحوّله إلى ابداع فنيّ ينبض صدقا. لذلك فإنّ الالتزام ليس مجرد تضامن شكلي، بل هو متعين ضمن التجربة المعيشة، كما عاشها الفنانون إدراكا بصريا وروحانيا أو عبر ذاكرة المحكي والمروي، حتى لو كانوا مهجرين أو منفيين خارج فلسطين.

يطرح الفن الفلسطيني الملتزم، قضايا العودة والتهجير والشتات ونضال الشعب بأكمله. لذلك كان عليه أن يعيش تحديات المفارقة بين الالمام بخصوصيات التجربة الاستيطيقية وحتمية الالتزام بقضايا الوطن، فالنقد الفني لن يكون متعاطفا، معه بناء على أنه ملتزم. فكانت المهمة مضاعفة وأعسر. فالالتزام هاهنا لا يجب أن يكون على دراية ووعي بالتجاذبات الواقعة بين رهان الالتزام الوطني ورهان الالتزام التشكيلي. لذلك يُصرّح الفنّان التشكيليّ الفلسطينيّ توفيق عبد العال «بأنّ اللوحة موقف له أبعاده النضاليّة، لكنّ هذا لا يعني الهبوط بالقيمة الجماليّة للوحة أو الوقوف بها عند مجرّد الشعار»1.

بدأت التجربة التشكيلية الفلسطينية المعاصرة منذ 1935 بريادة التشكيلي إسماعيل شموط2، الذي

1 – سامية رؤوف، «تاريخ الحركة التشكيلية الفلسطينية المبكّرة»، مجلة كتابات، 1 جانفي 1980.

2 – إسماعيل شموط، فنان تشكيلي فلسطيني، يعد المؤسس الفعلي للحركة الفنية التشكيلية الفلسطينية، حيث كرّس حياته الفنيّة لخدمة القضية الفلسطينية، وربط حياته الفنية بحياة شعبه في مختلف المراحل التي مرت بها القضية الفلسطينية، وعاش فصول النكبة، وهاجر بعدها إلى أكثر من مكان حتى استقرت به الحال في الأردن التي دفن فيها عام 2006. ولد إسماعيل شموط عام 1930 بمدنية اللد الفلسطينية، ثم أجبرته النكبة عام 1948 على مغادرة بيته ومسقط رأسه، حيث اتجه إلى مخيم للاجئين في خان يونس بقطاع غزة. انتقل لاحقا وفي منتصف القرن الماضي –وتحديدا عام –1950 إلى القاهرة، حيث درس فني الرسم والتصوير في كلية الفنون الجميلة، وفي عام 1954 توجه إلى روما ليتابع دراسته في أكاديمية الفنون الجميلة في العاصمة الإيطالية. أقام أول معرض له في مدينة غزة بتاريخ 29 يوليو/ تموز 1953، ثم افتتح بعد ذلك بعام (1954) معرضه الرئيسي في القاهرة بمشاركة زميلته وزوجته لاحقا تمام عارف الأكحل،

فرضت عليه طبيعة الحياة التي عاشها أن يلجأ إلى المدرسة الواقعية في الفن التشكيلي وأن رسم المعاناة التي عاشها اللاجئون والشعب الفلسطيني بعد النكبة. نذكر من بين لوحاته «إلى أين؟» و«سنعود» و«بداية المأساة» و«جرعة ماء» و«ذكريات ونار»، و«مسيرة شعب»، وهي عبارة عن لوحة طويلة أنجزها عام 1980. يقول عنه الفنان التشكيلي ومؤرخ الفن الفلسطيني كمال بلاطة : «وقد جاءت اللوحة الزيتية التي طورها شموط لتستحثّ جيلا كاملا من الهواة والموهوبين من أهالي المخيم الفلسطيني الذين وإن حرموا من الاطلاع على عالم الفن أو التخصص بدراسته، فذلك لم يمنعهم من تجنيد هواية الرسم لديهم في سبيل الإفصاح عن التزامهم بقضية وطنهم»3.

فكانت المعارض الفنية التي تقام في علاقة دوما بما يحدث في فلسطين المحتلة. كما تميزت أروقة المعارض بالنقاشات والجلسات الحوارية التي تتناول أوضاع الحركة التشكيلية الفلسطينية في علاقتها بفكرة الالتزام. وعرفت هذه الفترة الى حدود سنة 1955 بفترة التعرف على التجارب الفنية الغربية. ومع اندلاع «ثورة 36»4 و«حرب 1948» انبجس واقع تشكيلي مختلف، ظهرت معه مصطلحات «الشتات» و«العودة» و«الملجأ» لتفرض تعبيرا تشكيليا مختلفا5. أصبح الفن الفلسطيني عندئذ مرآة عاكسة للواقع وطوّر الرموز والأشكال والدلالات والمفردات التشكيلية والإشارات البصرية لابتكار صور جمالية مشحونة بواقع الألم والموت والشتات. فتعمد مخيلة الفنان الى معالجة الواقع وإعادة تفجيره تشكيليا في العمل المنجز. وفي فترة الخمسينات، تفجّرت الشعارات في اللوحة الفلسطينيّة، توثيقا للنكبة وتعميما للمأساة.

تواصلت المعارض الجماعية بعد ذلك إلى حدود 1980، تاريخ تأسيس «رابطة التشكيليين الفلسطينيين»، لكن ظل الهاجس دوما هو «قضية الفنان» وكيفية الالتزام بالرسالة المقدسة، الوطن. وكان الأقدر على النضال والالتزام هو من يستطيع الارتقاء بالذوق الجمالي للفن دون الخروج عن مشروطية الالتزام بالقضية الفلسطينية. فكان على كل فنان أن يُطوّر حسه الجمالي وحسه النضالي في الوقت نفسه، ولا يكتفي بمجرد ترديد خطابات مباشرة على لوحته. فتطوّرت الأساليب التعبيرية والتقنيات. وتوجّه التشكيليون خلال السبعينات والثمانينات نحو البحث عن هوية مخصوصة للالتزام. تم توظيف التراث الفلسطيني والتاريخ والأسطورة وحتى الفولكلور الشعبي ضد عمليات الطمس الصهيوني.

وحضر الرئيس المصري حينها جمال عبد الناصر حفل افتتاح المعرض. انتقل شموط بعيد ذلك إلى إيطاليا لمواصلة دراسته هناك، وبعد انتهاء دراسته في إيطاليا انتقل إلى لبنان حيث شكل هناك مع زملائه أول اتحاد للفنانين التشكيليين الفلسطينيين في عام 1969، وانتخب أمينا عاما له، وقبيل ذلك (1965) انضم لمنظمة التحرير الفلسطينية، واختير مديرا للفنون والثقافة الوطنية في المنظمة. وفي عام 1970 انتخب أمينا عاما لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب. وبعد العدوان الإسرائيلي على منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان غادرها إلى الكويت، ومنها إلى كولونيا بألمانيا عام 1992، بعدها انتقل للعاصمة الأردنية عمان في عام 1994 حيث استقر ووافته المنية خلال زيارة خاصة إلى ألمانيا. تزوج شموط عام 1959 من الفنانة التشكيلية تمام الأكحل المولودة في يافا عام 1935، والتي تعد من أبرز رائدات الفن التشكيلي الفلسطينيات. وخلّدت تمام الأكحل مسيرة حياتها مع زوجها في كتاب صدر عام 2017 عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية بعنوان «اليد ترى والقلب يرسم»، روت فيه أيضا سيرة الرجل وحياته الفنية.

3 - كمال بلاطة، «استحضار المكان- دراسة في الفن التشكيلي الفلسطيني المعاصر»، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 2000.

4 - الثورة العربية في فلسطين 1939-1936، عُرفت لاحقًا بـ «الثورة الكبرى»، هي انتفاضة وطنية قام بها العرب الفلسطينيون في فلسطين الانتدابية ضد الإدارة البريطانية ...

5 - (هي حرب نشبت في فلسطين بين كل من المملكة الأردنية الهاشمية والمملكة المصرية ومملكة العراق وسوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية ضد المليشيات).

لوحة الفنان التشكيلي الفلسطيني سمير سلامة

لوحة الفنان التشكيلي التونسي على عيسى

بدأت رحلة الرسام الكاركاتوري ناجي العلي، في الصحف منذ 25 سبتمبر 1961، بعد تعرفه على الكاتب الفلسطيني "غسان كنفاني" في مخيم «عين الحلوة» . وارتبط اسمه بشخصية «حنظلة»، صوّر القضية الفلسطينية في رسوماته الكاريكاتورية واخترع شخصيات ما زالت حاضرة في ذاكرة كل عربي، فكان ملتزما بطريقته حتى تسببت رسوماته بمقتله. ولدت شخصية «حنظلة» في 5 جوان 1969 في جريدة «السياسة» الكويتية كرمز للفلسطيني، وأصبح «حنظلة» بمثابة توقيع ناجي العلي على كل رسوماته. يعتبر طلال سلمان، الرسام ناجي العلي «الاسم الحركي لفلسطين».

لقد هاجر العديد من التشكيلين الفلسطينيين، وتمكنوا من الالتحاق بأكاديميات الفنون ومعاهد الفنون العليا، فتطورت تجاربهم لكنها ظلت ملتزمة بالواقع الفلسطيني، فارتكزت على الحكاية المؤثرة وعلى مسرحة الصورة والبناء الرمزي للواقع للإثارة وشد اهتمام العالم بالقضية الفلسطينية. تمّ تحويل الوقائع الى رموز، مشحونة بالمتعة البصرية لكنها كذلك مشحونة بالألم والمأساة أو منشدة الى فكرة الهوية والانتماء مثل أعمال (سليمان منصور، تيسير بركات، جواد ابراهيم).

بعد تاريخ الانتفاضة الأولى 1987، صار الفن التشكيلي الفلسطيني يرنو نحو العالمية، رغبة منه في الخروج من الأطر الضيقة، من خلال الاشتغال على مفهوم «الذاكرة» بعد عمليات التهجير والنفي والطمس. فصارت علاقة الفلسطيني بالمكان (الأرض) متحددة من خلال الزمان، أي من خلال عمليات التذكّر والاسترجاع. فعالجت أعمال تلك الفترة الذكريات، وأعادت ترتيبها استيطيقيا لترتيب صورة الوطن في الأذهان وفي التاريخ وفي الذاكرة البصرية. فحاول التشكيلي عبد الحي مسلم العمل على استحضار ذكريات الريف الفلسطيني، من جهة كونها رمزا يُثبت مشروعية «العودة». وطرح الفنانة تمام الأكحل (زوجة اسماعيل شموط) فكرة العودة مراوحة بين تداعيات فعل التذكّر و تداعيات الحلم، محوّلة ذكريات الطفولة الى عمليات ذهنية تفكرية. أمّا مصطفى الحلاج فقد عمد إلى تجميع الذكريات وفق بنائية أسطورية بالتوازي مع رحلة التشتت التي عاشها، فأبدع جداريات عملاقة رمزية وسريالية. وقد ميّزت السريالية عدّة تجارب تشكيلية فلسطينية أخرى مثل سليمان منصور، عدنان يحي وإبراهيم أبو الرب.

حاول التشكيليون الفلسطينيون تطوير الأسلوب والتقنية خدمة للقضية، وظفت بثينة ملحم النسيج والثوب التقليدي الفلسطيني، وصنعت منه سلاحا واستخدمت «مبتكرات مثل أقلام تخطيط وإبر التطريز والدبابيس المعدنية وخيوط الصوف الملوّنة والأقمشة المغمورة بملوّنات الشاي والقهوة وسوائل وأصبغة محليّة مستنبطة من بقايا أعشاب ونبتات فلسطينية وكلمات معبّرة ومندمجة داخل توليفات القماش المتحررة في عدّة اتّجاهات» (مجلة أدب وفنّ). وطوّر زهدي العدوي ومحمد الركوعي فن الكولاج والفن الفطري داخل سجن عسقلان نشدانا للحرية.

معرض المتحف الوطني للفن الحديث والمعاصر

يضمّ هذا المعرض الذي أقيم تضامنا مع ما يقع في غزة (أكتوبر 2023) من لوحات تنتمي إلى من رصيد مقتنيات وزارة الشؤون الثقافية التونسية، حول قضية الالتزام في الفن الفلسطيني، تعود أقدم لوحة من اللوحات المعروضات حسب تاريخ الانجاز المصاحب للكاتالوغ الى سنة 1979(لوحة عدد 5) وهي لوحة الفنان التشكيلي التونسي فتحي الزبيدي (من مواليد 1946) ، عنوانها «طفل فلسطيني». لوحة تغشاها العتمة والخراب والعراء من كل جانب، وفي وسطها طفل نحيل، يبدو عاريا بلا مأوى وبلا ثياب، لا نكاد نميز ملامحه، ولكننا نلحظ معالم الحزن والفقد والهلع بكل يسر. داخل الظلام يظهر بصيص ضئيل وبعيد من النور خلف الصبي، وفي السماء تظهر مساحة لامعة كأنها القمر تنعكس في جلدة رأسه الخالي من الشعر. تورمت عيناه، وتلاشت من وجهه علامات البراءة والطفولة، فشاخت طلته وهزلت أطرافه، والتوت يداه في عناق على الخاصرة تمسكان بحمامة بيضاء صغيرة، طلبا للسلام والأمان. وفي نفس السياق، تحضر لوحة التشكيلي لزهر هكار تحت عنوان (مع أطفالي 32/49)، أكريليك على ورق، من منجزات سنة 2004، لتصور في ضبابية المنسحبون من الحياة، ووسط فسحة الأمل تمسك الأم بطفليها مواصلة مسار النضال.

معرض تجليات الالتزام الفلسطيني، المتحف الوطني للفن الحديث والمعاصر.

-محمد الزواري، لوحة سداسية صبرا وشتيلا» (1982، 120/40x6)،أكريليك وريزين على الخشب الرقائقي، وتروي المجزرة التي نفذت في 16 سبتمبر 1982 في مخيّم صبرا وشتيلا، للاجئين فلسطينيين واستمرت 3 أيام وذهب ضحيتها ما بين 750 و3500 قتيل، من الرجال والشيوخ والنساء والأطفال ومعم لبنانيين كذلك. وهي من ابشع المذابح في تاريخ البشرية. استوقف موضوع المجزرة كثيرا من التشكيليين والنحاتين في تاريخ الفن، مثل ناجي العلي، عبد الحي مسلم، سامي محمّد، عدنان يحي، اسماعيل شموط، والتشكيلي العراقي ضياء العزاوي متأثرا بلوحة غرنيكا لبيكاسو.فرسم جدارية صبرا وشتيلا، التي يعرضها متحف «التيت» اللندني منذ 2012. تروي لوحة «صبرا وشتيلا» للتشكيلي التونسي محمد الزواري، مآسي المجزرة، في تناول صارخ للألوان والأشكال. تشابك بين الحياة والموت، بين الزرقة والحمرة، وبين الفراغ والحطام. وجوه باكية وأخرى واجمة، رؤوس وأوصال مشتّتة، انقباض والتواء للحركات، أعناق ممتدة للسماء تتضرّع وأخرى مندسّة في قاع الأرض بلا ملامح. ويعود ثور قرنيكا للظهور في لوحة محمد الزواري، للتعبير عن الوحشية والاعتداء الغاشم، وقد رسم الفنان التونسي الصادق قمش، هذه المجزرة أيضا في احدى لوحاته المعروضة بمعرض مقام بمدينة الثقافة.

-محمد الزواري، لوحة «طفولة» (49/63، 1980)،أكريليك على الورق:حيث تلتحف الطفولة بكل ألوانها، دون تمييز حاملة

فنون تشكيلية

شعار النصر، وسط السواد تشع الطفولة مبتسمة فالطفولة براءة لا تعرف الأحقاد.

– محمد الزواري، لوحة «سلام الله» (40/40، 1984)، تقنية الزيتي على الورق، وهي عبارة عن تجليات حروفية للخط الكوفي القديم، مع بعض التصرّف، موحيا كذلك على الكتابة المسمارية القديمة التي ظهرت في بلاد الرافدين. نقشت عبارة «سلام الله» بالأسود محدثة قرصا أخضر يحدّه هلال مع هاء مغربية مهندسة، وسط رقعة معتمة مُضبّبة ، في جانبها سواد يلتحف الركن الأيسر من اللوحة. تتناثر الألوان المكونة من الأزرق والأخضر بدرجات متفاوتة، وتبدو كأنّها متجلية ومنبجسة من السلام الذي يشع من الأحمر رمز الحب والدماء والفداء للوطن. وفي اللوحة نداء إلى السلام الكوني.

– محمد الزواري، لوحة «بسم الله» (63/63)، زيتية على الخشب الرقاقي: وتمثل خريطة لقطاع غزة للاشارة إلى توغل اسرائيل في المجال الفلسطيني، ورمز الى قطاع غزة بعبارة «بسم الله» التي كتبت بالخط العربي .

تعود اللوحة السابعة وعنوانها «فلسطين» للرسام والتشكيلي الفلسطيني «سمير سلامة»، أكوارال على قماش (61/46) وتمّ انجازها سنة 1984. سمير سلامة هو فلسطيني/فرنسي من مواليد 1948، عاش التشرّد منذ سن الرابعة، وحمل رسالة فلسطين بلوحاته إلى العالم، عبر المنافي المتعددة التي حط فيها، وهو واحد من الذين أسهموا في التأسيس للحركة التشكيلية الفلسطينية. ويقع بين الجيلين الأول والثاني. رغم أنه عايش تجارب مختلفة وجرّب الانتقال بين المدارس، فإنّه كان أقرب إلى المدرسة التجريدية منذ البداية، رغم أنّه قادم من عالم الواقعية، وانشدّ للتجريد لأنه يُناسب مزاجه ونظرته. تنتشر الحروف المكوّنة لاسم فلسطين، وسط اللوحة التي قسمت الى قسمين غير متساويين، قسم أسود يمثل الثلث تقريبا في طرفه نقطة ضوء صغيرة وبعض الحروف القاتمة، أمّا القسم المنشرح من اللوحة والدال على الأمل والحياة، فهو القسم الأكبر، تنتشر فيه حروف فلسطين مُلوّنة هنا وهناك. وكأنّ الحروف تتدافع لتلتقي على مساحة الأمل، تنتظر من يجمعها على رقعة واحدة وتتجاوز هذا الشتات.

يضمّ المعرض كذلك لوحة زيتية عنوانها «باحات القدس» (17/101، 1992) للفنان الفلسطيني بهاء البخاري، وهو في الأصل اعلامي ورسام كاركاتوري (1944–2015)، استخدم في رسوماته أبرز الشخصيات «أبو عرب»، «أبو عبيدة»، ومثلت لوحاته جزءا من الذاكرة الفلسطينية. يصور فلسطين كما يريدها، ناصعة نظيفة من كل الشوائب، في أبهى حلّة، في اكتمالها الأقصى. لأن هذا الاسلوب يعطيه ويعطي للمشاهد أملا في الحياة وفي العودة وفي استمرارية النضال.

للفنان التشكيلي على عيسى (الرجل الذي أصبح متحفا) لوحتين تم انجازهما سنة 2002، لوحة «القدس لنا»، بتقنية مختلطة (96/ 98) و لوحة «بيت لحم» (50/97). في كلتا اللوحتين ينتهج علي عيسى منهج الألوان والأشكال الصارخة والمتداخلة للتعبير عن الحيرة والقلق. أسئلة عديدة تطرحها تركيبة اللوحتين وتكون الاجابة في الأعلة في صورة اليد المرتفعة، المنتصرة على الاعتداءات التي أحدثت التداخل في الحدود بين الألوان والأشكال والأشياء، وظل الثور في أسفل الصراع شاهدا على وحشية ما حدث.

تُصوّر لوحة التشكيلي التونسي شكري الفاسي (1970–2022)، وعنوانها «اعتداء (162/97)، زيت على القماش ويعود تاريخ انجازها الى سنة2013، مشهد الاعتداء على الفلسطينيين العزّل، ووسط الفراغ القاتم وأمام الخطر الداهم، تنبجس الرغبة في الهروب من الموت، في حركة اليدين واستدارة الجسم، لكن الذراع التي يمسكها أحدهما، في توجع يحسّ دون أن نرى تفاصيله يروي سردية حزينة لهذا الاعتداء. تهيمن على اللوحة الالوان القاتمة والغامضة والمعتمة تعبيرا عن ضبابية الخبر ومأساوية الحدث.

تحضر في المعرض تقنيات مختلفة، فيحضر الحفر في لوحة التشكيلي المغربي رشيد القريشي (49/45)، ويكون فيها اسم فلسطين محفورا في الأعلى دلالة على الشموخ والرفعة بالألوان الترابية، إشارة الى دلالات الانتماء والأرض. وتُبيّن اللوحة وفق تركيبتها خريطة فلسطين، وسط تصور كوني للقضية الفلسطينية، تكون نقطة «الفاء»، هي القدس في الأعلى.

كما تحضر تقنية الخزف بعمل للفنانة الخزفية سرحانة قلصي، عنوانه (حرية، 52/52) تتعين تركيبته من فراشات صغيرة تحلق مكونة شكلا أقرب إلى شجرة الزيتون، أو الكرة الأرضية. كل الفراشات بيضاء وخضراء، الا واحدة فقط تكون باللون الأحمر. فالحبّ هو أصل هذا السلام الكوني، ولا سلام دون حرية، لذلك ترفرف كل فراشة حرة طليقة بعد أن نهلت من منبع الحب الأصلي.

تعرض لوحة التشكيلي مراد رداوي، بعنوان «زمانٌ ميت» أكريليك على الخشب الرقاقي، (100/69)، بشاعة الموت، جماجم ورؤوس معلّقة بشكل عكسي.

تحضر تقنية تقنية التلصيق مقترنة بتقنيات أخرى ضمن لوحتين للفنان الفلسطيني باشا الحروب سمّاهما «فلسطين (120/160، 100/81، سنة 2015) مشيرا الى تواريخ أحداث عاشتها فلسطين، من بينها تاريخ 8 جويلية 1972 الموافق لتاريخ اغتيال الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني بتفجير سيارته بمنطقة قرب بيروت، وراء الموساد الاسرائيلي.

الفن الفلسطيني المعاصر: فنانون فلسطينيون أخذوا المشعل، ومازالوا يواصلون التزامهم بالقضية الفلسطينين: محمد أحمد الشريف، سليمان منصور، ناجي محمد نصر- محمد سمارة، محمد القدومي، سليم خطاب، وائل رابي، هناء فنون، محمد الركوعي، غازي انعيم، عبد الرحمان مرادة، صلاح فروخ، أديب خليل، عاي أبدال، رائد الكتناني، علي جروان، بيسان الرافات، حازم بيطار، فاطمة علي أبو عودة. مي مراد، ريم النتشه.

تُشكّل الاختيارات التشكيلية المعاصرة شاهدا على الطاقة الحيوية للفنانات والفنانين في فلسطين الذين يعيدون ابتكار طرائق النظر إلى أرضهم والتعبير عنها وتمثيلها في الفن. وتستنطق هذه الأجيال مكان الجسد في الفضاء العامّ ودوره في تحدّي الهيمنة.

وقد قام معهد العالم العربي بباريس، بتنظيم معرض كبير كرمت فيه الأعمال الفلسطينية تحت عنوان « ما تقدّمه فلسطين إلى العالم» من 31 ماي إلى 19 نوفمبر 2023. وفي المعرض طرق مختلفة في النظر الى الأرض، (أرض مقدسة أم أرض مأهولة)، ويحقق هذا المعرض إمكانات الصورة في النضال ضد فقدان الأرض، ويمثل استعادة سردية للأرض عن طريق الصورة. يقول جون جينيه : «يُبرّر الفن وجوده إذا دعا إلى الثورة الفاعلة أو على الأقلّ، إذا أدخل في روح القامع الشكّ والحيرة إزاء ظلمه الخاصّ» (1988)

لوحة الفنان الفلسطيني بهاء البخاري، باحات القدس

لوحة الفنان الجزائري رشيد القريشي

تجربة الفنانة التشكيلية ألـفة بنغــزي... «.. إنه فنّ الحلـــم»

جلال باباي (شاعر وناقد)

1 تمهيد : استضافنا هذا الأسبوع القائمون على المعرض الجماعي « فيزاج» المقام بصالون « الرواق» سوسة جوهرة كان بمثابة فسيفساء من ايقاعات ونبضات متفاوتة المساحة والعطر الفني الذي انتشر على سطح الجدران ، ليفسح المجال لأهازيج فنانات ورسامات باسقات حتى تنتشر الأبجدية بكل أناقة في بساتين الخارطة التشكيلية وتنحت من توهج البوح مدفأة تقينا صقيع الشتاء المنتظر و سقطات العصر المتقلّب فالممارسة الابداعية للمرأة نعتبرها المحرك الأساسي لكل فعل تحرري وجبهة مقاومة شرسة ضد الزحف البشع للغبار ومخلفاته المظلمة وهي بلا شك الرافعة التي تسهم بشكل كبير في تنمية المشهد الثقافي و الاجتماعي . وفي هذا الاتساع يتنزل لقاء قرابة 25فنانة تشكيلية بنفس الخيمة الإبداعية صالون الرواق معتبرين إياه الفكرة والمشروع ليكون الأفق الأرحب حتى تنسج الفرشاة رقصاتها على بياض القماشة وتمرّغ حلم الأنثى الأبدي لتعطّر المكان وتؤرّخ اللحظة في ألفية ثالثة عاصفة. بهذه التيمات والمواصفات ، عثرنا بين الأسماء على وقع مختلف

ومغاير للمسة ومناخ جانب الراهن الفني المستهلك مختزلة بذلك بصمتها المخصوصة إنها الأستاذة والأكاديمية والفنانة: ألفة بنغزّي ذات الإحساس العالي والشاعرية المفرطة في لوحاتها الفيحاء. التقيناها تحتضن أعمالها فجالت العين وسافرت متأملة في معانيها ومشاربها وثناياها لنستخرج ما حوت محاملها من سعة نظر وتأمّلات في الكون.

2 حركات مراوغة على ضفاف حدقة العين: استشعرنا ونحن نلامس رسوم الأكاديمية: ألفة بنغزي فآثرناها شبيهة بمفترقات ثنايا تتلامس حتى يتضاعف النبض والحراك داخل البياض لترتسم اشكال العين شبه الدائرية وتتكوّم خطوط الفرشاة برائحة سوداء ظاهريا ولكنها في المضمون ليس لها مثيل او شبيه باعتبارها خريطة طريق تؤدي إلى التأمل في مشاعر وأحاسيس الذات البشرية عبر العين أحيانا، ثمّ هو انسياب شاعريٌ، قد حذقت الفة بنغزي التلاعب بوجهته حتى تقتاد مجرى طاقته إلى بؤبؤ الفكرة والإفصاح إمّا عن حزن متقادم او غزوة لصهيل فرحة عارمة. بذلك يمكن اختزال تمثّلات الرسامة البصرية في لوحاتها تعبيرات واختلاجات متفاوتة الطول والقصر تعكس بلاغة البصمة التي أريد أن تؤسّس لها الفنانة ومضامين رسائل قد أفصحت عنها العين لتنشرها على سقوف رسومها المكوّمة بالحياة والحركات المخاتلة.

3 العين مركز رحى كل المشاعر والأحلام : بتلك الرغبات الكامنة والمكشوفة ، وفّقت ألفة بنغزّي أن تشدّ القارئ للوحاتها لمزيد التمعّن وتفقّد زواياها الأربعة حتّى يستقرّ في الوسط حين تصرّ العين على الاعتكاف برهة من الزمن عند المفترق الأخير. بصدق تبقى لوحات التشكيلية ألفة بنغزي تناشدنا مزيد التوقف عندها حتى نتشبّع ونرتوي من ماء حدقات أعينها المترامية على طول المسافة التي تحتكم إليها الحالة ودواخل الإنسان بين مدّ وجزر حتى ترابط أخيرا عند ميناء الحلم الذي يحلّ بين الفينة والأخرى على صدر القماشة.

تجربة بينت عمقها وأصالة عناوينها لتبرز قوية ومهمة في تونس والوطن العربي عموما الى جانب تجارب أخرى ..

معرض « أنوار متوسطية » للفنان التشكيلي علي الزنايدي بالفضاء السياحي «ديفونا» بفرنسا

شمس الدين العوني

في هذا العالم المعولم يأتي الفن كحاضنة تثاقف ولقاء وحوار بوجه الالغاء والصدام حيث الفكرة الفنية والجمالية القائلة بالكائن وهو يرى ذاته في جهات ماعددة في عوالم بها أصوات وألوان شتى تمضي الى نقطة في القول اسمها الجمال..و هكذا كان الفن عنوانا لافتا في حياة الناس والكائنات والأشياء نحتا للقيمة وقولا بالينابيع والأسئلة الدالة على الجوهر...

في هذا السياق من التفاعل الثقاعل الثقافي وتجسير العلاقة بين الجهات والضفاف كان معرض الفنان التشكيلي علي الزنايدي وفق عنوان هو « أنوار متوسطية » بقرنسا..و انتظم المعرض في مقاطعة «اللوط» وعاصمتها «كاهور» التي تبعد حوالي 120 كلم عن مدينة تولوز وتضم 25 ألف من السكان وتقع على ضفاف نهر اللوط الذي يحيط بها ليغيب في متاهات الغابات والهضاب ..و كاهور هي مكان التراث المادي واللامادي وهي راسخة في القدم منذ قبائل «القولوا» والعهد الروماني يتبعه القروسطي وتعتبر مركزا سياحيا وثقافيا وفلاحيا مهما ...تقنيات متعددة منها الكولاج والأكريليك على القماش والتقنيات المزدوجة والرسم الخطي ..هو معرض الى تونس بألوانها وأضوائها ومصادر الالهام بها كأرض هوية للفنان علي الزنايدي ...و عن تجربة هذا المعرض في مسيرة الفنان التشكيلي علي الزنايدي يقول «... معرضي الشخصي هذا يحوي 35 من أعمالي الفنية يسعدني في هذا المعرض الحدث أن أعرض جانبا من أعمالي الفنية النابعة من طفولتي حيث الذاكرة الفنية الحية التي تشير الى موطني والحي الذي شهد بداياتي الفنية ومن حي باب الجزيرة حيث فترات الستينيات من القرن الماضي وما جمعنا بثقافات وأناس عاشوا معنا آنذاك وأثروا فينا وأثرنا فيهم وفق التثاقف الانساني والوجداني وأذكر الوافدين منهم من مالطا وسيسيليا والجزائر والمغارب وليبيا ...و هذا الخليط المتفاعل في المكان المتوسطي بمظاهره المعمارية والتزويقية وحيث الأنوار والضوء البارز في دهشة بول كلي وهو يكتشفه بدايات القرن الماضي..و هو ما كان له الأثر العميق في رسوماتي ولوحاتي الفنية التي بدأت بالتجريد لتمضي الى التشخيصي حيث العبارة التشكيلية الدالة على جماليات الفن وهو يرصد التفاصيل والخصوصيات والتقاليد واللباس والمجتمع في حركته وتفاعلاته..حيث حركة الفن التشكيلي التونسية آنذاك وما تزخر به من تجارب وتيارات فنية مخالفة...من هنا كانت لوحاتي المعروضة في هذا المعرض» أنوار متوسطية..و هذا المعرض هو مناسبة واشارة الى تونس وثقافتها وتراثها ومعمارها ومشاهدها وتقاليدها ليرى الزائر مظاهر الابداع والامتاع والخصائص والتنافذات الحضارية التي هي صميم الفن ورسالته بعيدا عن الصدام والانفعال والخراب..المعرض هو تعبير عن ارتباطي وصلتي بتونس الجذور والأعماق والنبع وفق فضاء الطفولة والذاكرة والوجدان كل ذلك استلهاما من الحياة..حياة الفنان ومعيشه...».هذا المعرض ضمن سياقات التجربة الفنية..علي الزنايدي... فنان وتجربة... نعم ان الألوان تتكلم لتقول..بل تصرخ نشدانا للعين لترى ما به يصير المشهد عنوانا باذخا من عناوين الابداع والامتاع في تجليات شتى يلونها السحر والشجن المبثوث بين التفاصيل والأجزاء..ان الفنان يظل يسابق الرياح للقبض على المعاني وكنهها الانساني والوجداني وألوانها الملائمة في حيز انساني يتسم بالتعميم والتعويم ونثر الضباب لتقليص البون بين الحالة والآلة..

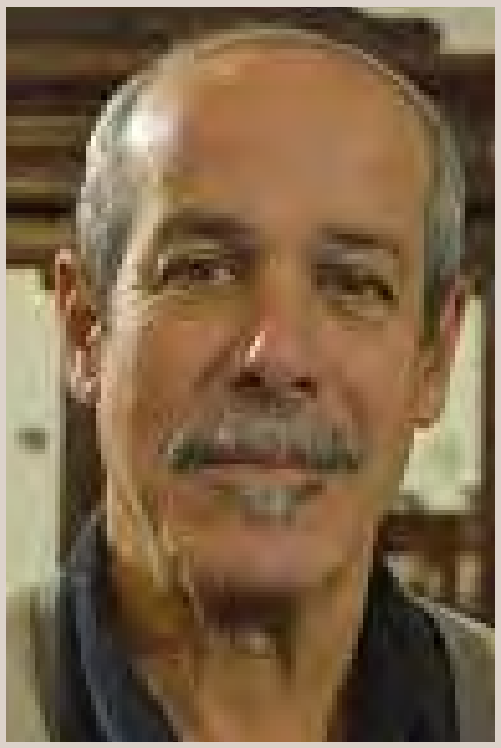

لوحات بالألوان وأخرى بالخطوط ..و الكولاج بخبرة الفنان ليصبح وجها من وجوه اللوحة جماليا ..كل ذلك وفق ايقاع فني عرف به علي الزنايدي وراح ضمنه يطور أساليب العمل والبحث والابتكار..و الزمن في كل ذلك اطار متحرك ومفتوح..نعم..هكذا هو التجوال في بستان الزنايدي الفني..لتبرز القيمة والعلامة في تجربة فنان تونسي رأى في اللوحة اطارا حرا وفسيحا لمحاورة الذات والآخرين والعالم...من حي باب الفلة وفي أجواء نهج السبخة بهدوئه وناسه الطيبين وأزقته الشاسعة بالمحبة..و الشجن كانت الخطى الأولى حيث الطفل المتوغل في مسارب اللون والعبارة المرسومة على الملامح وفي الوجوه .. من صحن الدار العربي ولمعان الجليز والأصوات المنبعثة من السوق حيث الأمتار القليلة الفاصلة عن المدينة العربي.. من كل هذا وغيره بزغت فكرة الذهاب الجمالي في التعاطي مع القماشة منذ السبعينات..هي الرحلة المفتوحة الى الآن ..على الفن بما هو المحبة وكذلك الشجن..تجربة بينت عمقها وأصالة عناوينها لتبرز قوية ومهمة في تونس والوطن العربي عموما الى جانب تجارب أخرى...من هذا الباب الذي سميناه الحلم.. ألج عوالم أحد هؤلاء الفتية المأخوذين بالفن بما هو الحلم الذي تتعدد تيماته ..حيث البساطة التي تصول وتجول في الدروب..الشوارع والأحياء والمدن ..و البساطة هي أصعب أعمال الفنان..الفتى هو الفنان علي الزنايدي الذي اتخذ لفنه نهجا مخصوصا ضمن تجربة امتدت لأكثر من أربعة عقود تميزت بدأبها الجمالي ..الفنان علي الزنايدي يستبطن جيدا جغرافيا المدينة ودلالات ألوانها وعطورها من حكايات وذاكرة ومناسبات وعلامات وتقاليد... ان أسلوب الزنايدي اتخذ خطه الخاص به حيث المفردة التشكيلية لا تلوي على غير القول بالعمق المرادف للبساطة وفق عنوان عام هو حميمية الفهم لحظة النظر حيث تنعدم حالة الانبهار تجاه الفنان والانسان..انها فقط لحظة ارضاء الذات التي يحتشد فيها ذلك التراكم الثقافي والوجداني والشعبي بمعناه العميق..وهنا تشتغل قدرات الزنايدي..

هذا المعرض المنتظم بمقاطعة «اللوط» وعاصمتها «كاهور» التي تبعد حوالي 120 كلم عن مدينة تولوز بفرنسا مجال آخر ليرى المتقبل هناك جانبا من تونس ومشاهدها وأنوارها وتقاليدها ومعمارها حيث الفن رسالة جمال وعنوان حوار ومحبة وسلام.

جهات

أريانة

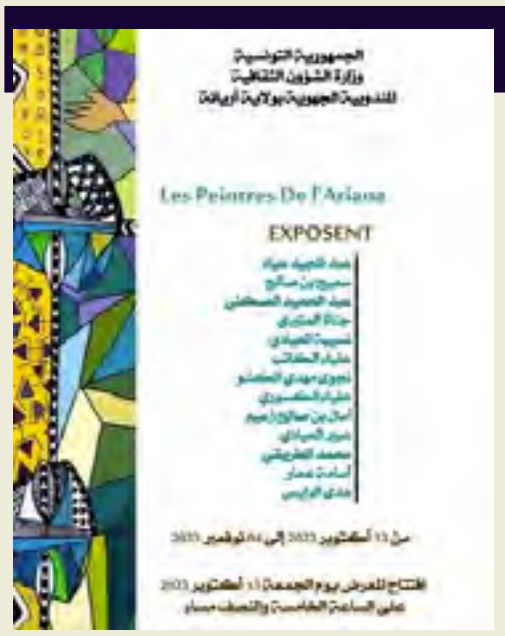

تنظم المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بأريانة من 13 أكتوبر إلى 4 نوفمبر 2023 بفضاء المعارض بالمكتبة الجهوية بأريانة، المعرض الجماعي للفنون التشكيلية "Les peintres de l'Ariana".

يشارك في هذا المعرض ثلة من أبرز الفنانين التشكيليين من ولاية أريانة وهم على التوالي: عبد المجيد عياد وسميح بن صالح وعبد الحميد الصكلي وجناة العتيري ونسيبة العيادي وعلياء الكاتب ونجوى مهدي الكشو وعلياء الكسوري وآمال بن صالح زعيم وعبير العيادي ومحمد الطريقي وأسامة عمار وهدى الرايس.

مدنين

أعلنت الهيئة المنظمة للمهرجان الدولي للفيلم الوثائقي والروائي القصير بمدنين في تونس، أنه قد تقرر تنظيم الدورة التاسعة خلال الفترة من 29 نوفمبر الى 3 ديسمبر 2023، وأن رئيسها الشرفي سيكون الممثل التلفزيوني والسينمائي والمخرج المسرحي فؤاد ليتيم.

ويتخلل المهرجان العديد من الفعاليات أبرزها المسابقة الرسمية للأفلام الوثائقية وأخرى للأفلام الروائية القصيرة ندوات وورشات لعشاق الفن السابع.

تونس المدينة

احتفى نادي الأدب بذكرى أبي القاسم الشابي

_ تقديم القصائد النثرية لأبي القاسم الشابي في كتاب _ صفحات من كتاب الوجود _ سوف عبيد

_ محاضرة الأستاذ لطفي عبد الواحد _ الشابي بين أدباء عصره _

_ ترجمة قصيدة صلوات في هيكل الحب إلى الفرنسية _ الأديبة زهرة الحواشي

أدار الأمسية المشرفة على النادي الأديبة سونيا عبد اللطيف

بحضور رئيس جمعية ابن عرفة الأستاذ سعيد غراب

مدينة الثقافة بالعاصمة

نظم المتحف الوطني للفن الحديث والمعاصر بالشراكة مع مسرح الأوبرا أمسية ثقافية بعنوان "تجليات الالتزام من خلال موضوع الفن الفلسطيني"، تقديم الأستاذة والباحثة فوزية ضيف الله، وبحضور الناشر الفلسطيني المقيم بتونس توفيق فياض.

وتتضمن هذه الأمسية عرضا للوحات من الرصيد الوطني حول "الفن الفلسطيني" وعرض مابينغ للعلم التونسي العلم الفلسطيني من إعداد مسرح الأوبرا، وذلك يوم الجمعة 13 أكتوبر 2023 على الساعة 16:30، برواق مقام بالبهو السفلي لمدينة الثقافة.

تونس العاصمة

يوم الأربعاء 11 أكتوبر 2023 تشرفت دار الكتب الوطنية باستقبال السيدة الفاضلة ڤولبياز خير الدين أرملة بالقاضي بحضور نجلها نجيب بالقاضي المخرج السينمائي وحفيدها .

وكان هذا اللقاء السار مناسبة سلمت فيها السيدة ڤولبياز الرصيد الوثائقي الضخم الذي كونه والدها الشاعر والروائي أحمد خير الدين. وقد حرص المرحوم على حفظ وثائقه في ملفات مُعَنْونة تسمح بمواكبة الحركة الثقافية التونسية من العشرينات حتى الستينات، إذ فارقنا هذا العلم الوضّاء في 25 جويلية 1967 بعد أن ترك رصيدا ضخما من القصائد والمسرحيات أشهرها " الحاج كلوف "

جهات

القيروان

الرُّوحانية الإسلاميَّة، الواقع والآفاق في ندوة دولية

تنظّم «جمعيّة القيروان الثقافيَّة»، بالاشتراك مع «الأكاديميَّة الدُّوليَّة للدِّراسات الصوفيَّة والعرفانيَّة، و«الجمعيَّة التونسيَّة للدِّراسات الصّوفيَّة»، التي يرأسها أ. د توفيق بن عامر أستاذ الحضارة والفكر الإسلامي بالجامعة التونسية و«منتدى جلال الدّين الرومي للتّجديد الفكريّ والنهوض الحضاريّ»، فعاليات النّدوة الدّوليَّة: «الروحانيَّة الإسلاميَّة، الواقع والآفاق»، أيّام 10 و 11 و 12 نوفمبر من سنة 2023 بالقيروان (تونس).

وستكون محاورها كالآتي:

-1 تعريف الروحانيَّة بين الدين والفكر والفلسفة والتعبيرات الرمزيَّة المختلفة.

-2 ماذا نقصد بالروحانيَّة الإسلاميَّة؟ التّأصيل، سياق النشأة، التحوُّلات، واقعها اليوم.

-3 التجارب الروحانيَّة الإسلاميَّة بين عالمة وفلسفيَّة وطُرقيَّة وشعبيَّة وفولكلوريَّة.

-4 الروحانيَّة الإسلاميَّة وممكناتها المعرفيَّة والفكريَّة.

-5 الروحانيَّة الإسلاميَّة وأزمة العالم والإنسانيَّة. هل تشكِّل هذه الروحانيَّة خلاصًا حقيقيًّا ووازنًا؟

-6 علاقة هذه الروحانيَّة بالتعبيرات الإسلاميَّة الأخرى. هل الصِّدام قدر أم يمكن إيجاد حلول؟

جندوبة

ندوة دولية وأيّام دراسية علمية

ينظّم مخبر البحث العلمي «المباحث الدلالية واللسانيات الحاسوبية»، بكلية الآداب والفنون والإنسانيات جامعة منوبة، الذي يديره أ. د عبد السلام عيساوي أيام دراسية لمجموع من الأساتذة الناشطين ضمنه، مع ندوة علمية دولية، يكون محورها التمثّلات والصور في المباحث الدلالية»، وذلك أيّام 18 و19 و20 أفريل 2024، ينسّق أعمالها أ. د عبد السلام عيساوي.

وبالنسبة إلى الأيّام الدراسية، يكون من أبرز فعالياتها:

-»تطبيقات حوسبة اللهجات: الإمكانيات والحدود»، تنسيق وسام العريبي، يكون يوم 4 نوفمبر 2023.

-»معايير تحليل الخطاب»، تنسيق منية عبيدي، 25 نوفمبر، 2023

- اللغة بين الكلّيات والنسبية، تنسيق شمس الدّين رحالي، يوم 18 نوفمبر 2023

- قضايا رسم خرائط اللهجية، تنسيق وسام العريبي، 2 ديسمبر، 2023

- الأبعاد الاجتماعية والثقافية لمشروع الأطلس الصغير، 3 فيفري، 2024

- المعنى والجسد، شمي الدّين رحالي، 10 فيفري، 2023.

- الدلالة والشعر، تنسيق العادل خضر، 17 فيفري 2024

- التداوليات وتحليل الخطاب، تنسيق منية عبيدي، 24 فيفري 2024

- الأطلس اللساني: قضايا الجمع والوضع، تنسيق وسام العريبي، 2 مارس 2024

- مشروع قاموس المتلازمات المعجمية في النصّ القرآني، تنسيق علي الودرني، 13 أفريل 2024

- الدلالة والمتخيّل، شمس الدّين الرحالي، 27 أفريل 2024

منوبة

ندوة علمية دولية متعدّدة الاختصاصات حول ترجمة العلوم وترجمة الفنون: ترجمة الثقافة

ينظّم العهد العالي للعلوم الإنسانية- جامعة جندوبة ندوة علمية دولية متعدّدة الاختصاصات يكون محورها «ترجمة العلوم وترجمة الفنون: ترجمة الثقافة، وذلك أيّام 7 و8 و9 ديسمبر 2023 بمدينة طبرقة.وستشمل هذه الندوة المحاور الآتية:

- الترجمة بين الأنظمة العلامية والخلفيات الثقافية

-ترجمة لغات الإشارة في واقع تعدّد الثقافات

-الترجمة الأدبية بين الحرفية والتأويل

-الظواهر الثقافية في ترجمات العلوم الإنسانية

-ترجمة الاستعارات في العلوم الصحيحة

-ترجمة الاصطلاحات التقنية ورهاناتها الثقافية

-ترجمة المعارف العلمية إلى اللغة العربية للأغراض التعلّمية.

-ترجمة أشياء التجربة والظواهر الثقافية والمفاهيم ؛ المترجم باعتباره وسيطا بين الثقافات

صورة تتحدّث

"بطحة رمضان باي "

هذا الموقع المتميز في قلب مدينة تونس سبعة انهج ترتبط بهذه الساحة ، تتجه نحو مختلف الانجاهات (نهج الباشا / بير لحجار/ سيدي بن عروس/ السيدة عجولة/ الأغا/ سيدي مفرج / بن نجمة) وهي لا تبتعد عن جامع الزيتونة المعمور والأسواق المحيطة به الا بضعة أمتار و كذلك الحال بالنسبة إلى القصبة حيث " دارالباي" مركز السلطة لعدة قرون...

هنا ولدت وهنا نشأت وفي "الكتاب" (النافذة العلوية) كانت خطواتي الأولى مع الدراسة (اللغة و القرآن الكريم)..

ولم اتخل ابدا عن هذه الفضاءات ولم تتخل هي عني طول حياتي فلقد زاولت دراستي الابتدائية بالمعهد الصادقي و درست بمعهد نهج الباشا كاستاذ مادتي التاريخ و الجغرافيا للاقسام النهائية/ البكالوريا في التسعينات من القرن العشرين).

ويبقى المحلي نقطة الانطلاق الراسخة في الذات مهما كانت رحابة الآفاق التي ستاخذك لتنفتح على عوالم ثراء هذا الكون اللامحدود.

أغادر و اعود ابتعد و اقترب من جديد أسري في مسارب المدينة وتعاريجها كما يسري الدم المتدفق في عر وقى لاحيى بتلك التلاويين العجيبة وفي تلك الروائح والأصوات والانوار التي آنستني و آنستها فمنحتني سحر الوجود والدفعة القوية الأولى للانطلاق نحو جمالية المعهود و غير المعهود...

(محمد فوزي معاوية 05/10/2023)

فضاء الإبداع

قصة

awatefbeldi@gmail.com

"الصراريد "

نصر العماري

كان الاحتفال مهيبا بدون شغب المواطنين. واقتصر في هذا الظرف الصّحي على عدد من قوات الأمن في زيهم العسكري، يؤدون التّحية المسلحة على أنغام النشيد الرسمي وارتفاع العلم خفاقا أمام كبار مسؤولي الجهة والسّادة. الذين كانوا يقفون في خشوع والكمامات على أفواههم محترمين البروتوكول الصحي .

أشرف الاحتفال على نهايته مع آخر مقطع من نشيد الثورة ، نموت ونحيا على عهدها حياة الكرام وموت العظام . وصرخ آمر قوات الأمن بصوته الجهوري ليختتم الاحتفال،

"نكّبْ سِلا....حِكْ"...

كان مبارك يحتمي بقشّابيته الشّخمة على حافة الوادي شرقي المدينة، ملقى على "عين قفاه" الى شجرة الكالتوس الضخمة ،الى جذورها الملتوية وهي تشدّ أديم هذه التّربة المعطاء تتشبّث بها بكل قوّة علّها تنتصر على عجرفة الانجراف الجارف الذي أكل أطراف المدينة. كان المكان " زرزيحة" يريد أن يأخذ مبارك الي قاع الوادي حيث العفونة ومصب فضلات المستشفى. لكنّه كلّما أحس بالانسحاب من تحته والتّراب يأخذه الى الأسفل ، تماسك وجذب جسمه النّحيل الى جذع الشّجرة . شعر بشيء من الدّفء في هذا اليوم البارد فالطقس اليوم "عين بعين"

كان يراقب "صراريده" ويصلّي على النّبيّ .كانت نعجاته لا تكاد ترفع رؤوسها من على الأرض وهي تبحث عن بعض العشب الأخضر في جُروف حافة الوادي علّها تسدّ به رمقها. فالدّنيا لم تَخرِف بعد، ولعلّ دخول اللّيالي السّود المتزامن مع عيد الثورة يكون فاتحة خير...

لم تكن نعاجه ترفع رؤوسها أو يسمع لها ثغاء وكأنها حريصة أن لا تفوتها قضمة عشب إلا هذه الغشواء تروم الشّرود عن القطيع صائحة في اتجاه المدينة .

فكم من مرة يلحق بها الرّاعي مبارك ملوحا بعصاه ويُرجعها الى القطيع مترفقا متلطفا لاهجا بالصلاة على النّبي. فنعجته هذه مباركة أول من بشّره من القطيع بالاعشار وهي دارّة وحان موعد ولادتها.

لكن نعجته كانت مصرّة أن تأخذ طريقها الى المدينة وكأنها تشتهي بعض العُشيبات الغضّة من الحديقة الخضراء التي تلوح لها من بعيد أمام مقر قصر الولاية هذه البناية الفخيمة رمز سيادة الدولة ، و الادارة المحرك لدواليب المدينة. وتلوح لها نخلات باسقة وبعض أشجار الزّينة اليانعة الاخضرار، والغشواء نعجة صريدة و"بين روحين".

تململ الرّاعي مبارك وحمد ربّه أن رامت نعجته القطيع وبدأت تبحث لها عن شيء تأكله.

وأدخل مبارك يده إلى جيبه فأخرج قطعة من الخبز المبسس. وشرع يقرضه متمتعا بحلاوة السّكر فيه. وهو يسأل الله أن يحمي قطيعه ويحميه من وباء الكورونا . ويطمع أن يقطع الله دابره مع نهاية أيّام الحجر . الذي فرضته الدّولة على المواطنين منذ فجر هذا اليوم.

أحس مبارك بحلاوة الدفء يسري في جسمه وحلاوة المبسس في فيه ،فأخذته عينه وغفا .

كان الحجر الصحي ساري المفعول على المواطنين، الذين لم يغادروا مساكنهم إلا لضرورة قصوى . كانت الشّوارع تكاد تكون خالية من المّارة الا شارع البيئة أجمل شوارع المدينة حيث ينتظم الاحتفال الرسمي أمام بناية القصر.

فطنت النعجة الغشواء أن مولاها لم يعد يراقبها فأخذت طريقها نحو حدائق القصر لعلّها تنال مرادها. فالعيش في حدائق المدينة رغيد فما بالك بحدائق القصر.

وفطن القطيع بالصريدة تأخذ طريقا غير طريقه فالتحق بها وسار معها حيث تسير ...

كانت الرّيح تهبّ بين الحين والآخر عابثة بأربطة أعناق السّادة ، و اصرت ان تفرّق جمع الحضور بعد صبرهم عليها لأداء تحية العلم ...

و أرجعت الريح الصدى إلى أُذني مبارك فاستيقظ "ملغوطا" مع ايعاز آمر قوّات الأمن "نكّبْ سِلا....حِكْ"، وهبّ واقفا فزعا، وازداد فزعه، واشتد هلعه حيث لم ير قطيعه أمامه

... وجري على غير هُدى متفرسا ممعنا في جميع الإتجهات من حوله ... وجرى نحو أسفل الوادي فتعثر وسقط في "الغْرَمْ" وتلطّخت قشّابيته، فنزعها ورمى بها على غصن قريب منه وهو يسبّ عُمره "الكلبْ" ويسبّ "صراريده الحُرْفْ "... وجري مُحدرا وجري صاعدا ولكن دون جدوى. و اسرع نحو أعلى الوادي، نحوى سور المستشفى وتتاوق انّ نعاجه هناك ، لكن دون فائدة . فراح يسأل نفسه " اتكون قبّلت أم ظهرت"

وتذكّر نعجته الغشواء وردّد "لابد أنها توجهت الى المدينة والقطيع لحق بها" ...

وأضاف "يا لهذا اليوم المشؤوم" .وتدارك "أم يكون اللّصوص ظفروا بالقطيع أثناء نومه " لم يكن يعرف كم نام و"النّوم غلبة" وهو يسهر إلى آخر اللّيل يحرس نعاجه .

ثم أخذته قدماه مهدودا نحو المدينة . فتجاوز مقهي مسك الليل المقفلة ومحطة البنزين عجيل الفارغة. فعجّل في السير والعرق يكسوه وعصاه في يده ...

انتشرت نعجات مبارك في حديقة ساحة القصر و ساحة الفنون المجاورة . ترعى عشب "النّجم" البري وعشب "القازون" المسقي. وهي تشعر بانتشاء وفرحه عارمة ما شعرت به يوما منذ انقطاع فصول الرخاء ...

كان اليوم يومها والعيد عيدها، فراحت تلتهم العشب التهاما على أن تجترّه في ساعات خلودها للراحة .

ولاحظت الغشواء ان الجدب وصل حتي حدائق البلدية فهي لم تجد غير هذا "القازون " وإن كانت تمني نفسها بحديقة غناء تُشبع جوعها ،وتحلم ببعض الورود و الأزهار الفواحة و الاكليل العطر ، وعلى كل حال ما وجدته أفضل من "جراجيف" وادي سليانة .

و انتشر الفيديو في الفضاء الازرق ، وتناقلته الصفحات الرقمية ومواقع الانترنيت وتتابعت عليه التدونات بين مؤيد ولائم وشاتم كل حسب وجهة نظره ...

كانت لقطات الفيدو فاضحة لغطرسة عون الأمن الذي كان يستشيط غضبا من الرّاعي. مستأسدا بحضور رئيس المدينة ويلكز الراعي بين الحين والحين بيده وبلسانه محملا اياه ونعاجه مسؤلية المروق عن القانون وكسر الحجر وانتهاك مقر السيادة .

في حين يبدو الراعي مستغربا مستسلما راجيا الصفح عن "البكمه" وعيناه تبحثان عن أغنامه التي لم ير لها اثرا ولا يدري أين أختفت؟

كانت حُرقته كبيرة على شياهه لكن حرقته أكبر على الغشواء فهي "بين روحين ".

اِستِعادةِ ذاكرة «ديباجَة» (1993)

مهدي غلاّب

تَحملُ تَقلُّباتِ الوطنِ في أَحشائِها، مُفعَمَةٌ بالحرَكةِ، تَقطَعُ طريقَ البِركةِ القديمَةِ لتدخُلَ المَكتَبَ. كُلَّماتبتَسِمُ يَلطُمُها جدارٌ.

تنفّست بعُمقٍ ثُمَ توقّفت أمام كومةِ الأوراقِ الواقفة تستنِدُ إلى الحائط بدون إنتظامٍ.

نظرتْ مرّتينِ ، ثمَّ اِستوقفها ضجيجُ الحيِّ المتسرّبِ عبر ثُقبٍ نافذة مُهشّمةٍ

نطقت بسرعة غاضبةً، تعضّ شفاهها :

-يا ..الزّمنُ الغادرُ !!

-هل أعمل عندَ بقّالٍ... ؟

لو جاءتني كلُّ هذه الاوراقُ من المعجبين

لهجرتُ الوظيفةَ الحقيرةَ.

ثم واصلَت صراعها مع مخلفات الخشب والحلفاء ، ولسانها يكاد يسقط متابعا البَريق المتشكل على طول الزاوية اليسرى للمكتبِ.

بعد شهورٍ قضتها وحدها تُطرّز الفراغ بدأت تحنّ للورق ولما أرسلت من معانات عبر الحركاتِ الجسديةِ الجذابةِ.

كُلَّ مساء تُغادرُ الحارَةَ بِفساتينِ البَحرِ، وتحمِلُ عناقيدَ الفرحِ، تَسلُكُ المُرتفعَ المُزدحِمَ بالعباراتِ العابرَةِ وبرائحةِ

البنزين المهرّبِ.

تترنَّحُ يمنة ويسرةً. تندفِعُ ساقاها في تَشابُكٍ قِياسِيٍّ فَنّي رهيفٍ يُذكّرُ بالعارِضاتِ.

تُدخِلُ ساقا داخلَ ساقٍ، تلطِمُهُما برأفَةٍ، ثُمَّ بِلمْسةٍ سَريعَةٍ تَحكُّ أعلى الفَخِذِ بأسفَلِ الكفِّ دونَ تَوقُّفٍ. فَيتطايَرُ الفُستانُ المُطرَّزُ بالغِلالِ على مساحةٍ واسعةٍ من حولِها.

يَخرُجُ الحَلاّقُ مُهرولا، كيْ لا يفوتهُ المَشهدُ الإستعراضيُّ الفتّانُ.

يُطِلُّ الميكانيكيُّ من تحتِ المُحرِّك النَّائم منذ سنواتٍ في مستودعِهِ القديم، وَ يقفزُ النّادلُ و مَعهُ بائعُ المناديلِ

تظلُّ المجموعة تقْطِفُ الفاكهةَ المنتشرةَ بتفانٍ على إمتدادِ الفترةِ المسائيّةِ، ثم يحلُّ الليلُ فتُطلُّ أكوامُ الحطبِ المكرَّرِ في المخيّلةِ المُرهقةِ منَ الضّيقِ والشّهيقِ.

قهوة الذكريات

فردوس المذبوح

وضعت فنجان القهوة أمامي وجلست...نظرت إليه وقد تجمّعت على سطحه فقاقيع صغيرة...أدمت إلى قهوتي النّظر وأنا أرى خارطة بلادي تتجسّم أمامي... ذهلت لما رأيت...نعم هذه خارطة تونس..هذا الرأس الطيب..وهذا خليج الحمامات.. وتلك البطن الحبلى حيث عاصمة الجنوب صفاقس..وذاك خليج قابس...وفي نهايتها صحراء الجنوب...أمعنت النّظر إلى فقّاعة محدّدة في هذه الخارطة...هناك ولدت..في بني خيار بلدتي العزيزة...غاصت نظراتي إلى أعماق الفقّاعة أبحث عن دكاكين النّسيج في أحيائها..عن أشجار الأرنج والتّوت والتّين والزّيتون...عن نسائها المنشغلات بجني زهر الأرنج في موسمه وتقطيره...وبحرفهن اليدويّة في باقي أيّام السّنة من غزل الصّوف و زركشة القشّابيّة ...أبحث عن الرّجال العائدين من حقولهم ممتطين دوابّهم محمّلين بشتّى المنتوجات الفلاحيّة من طماطم وفلفل وباذنجان وغيرها...ثم أخذت الملعقة وأشرت بها إلى فقّاعة غير بعيدة حيث نشأت وترعرعت وقضيت تسع سنوات من عمري...هناك في أحد أرياف مدينة " قرمبالية " في "دشرة خنقة الحجّاج" تفتّحت عيناي حيث أدار والدي رحمه الله مدرستها الابتدائية..ارتسمت أمام مخيّلتي حقول الكروم والبناءات ذات المعمار الأوروبي التي خلّفها المستعمر...تبدو لي جليّة معصرة الخمور ببنائها الشاهق المائل الى الحمرة...وأرى الأطفال ينحدرون كلّ صباح من ثنايا الجبال إلى حيث ينتظرهم الدّرس وأعينهم ترمق في أمل غدا أفضل...تلاشى جزء من الخارطة بعدما لمسته الملعقة لكنّ كلّ الأمكنة راسخة في ذاكرتي...حوّلت ملعقتي إلى اليسار إلى مدينة غير ساحليّة ...إلى فقّاعة جميلة لها في نفسي أجمل ذكرى..مدينة زغوان ...ذات الجبل الشّاهق والسّهول الخضراء الممتدّة...نظرت بكلّ لهفة أبحث عن الثّلاث سنوات التي قضّيتها هناك...أبحث عن عبثي أنا وإخوتي الصّغار في سفح الجبل عند معبد المياه...عن رائحة النّباتات الجبليّة الفوّاحة ..عن قمّة الجبل التي تكسوها ثلوج فصل الشتاء...عن طيبة أهل هذه البلدة...عن صديقات الطّفولة...لكنّ الفقاقيع في ذلك المكان تلاشت وبدأت العدوى تتسرّب إلى بقيّة أجزاء الخريطة فتنفجر الفقّاعة تلو الأخرى تاركة المجال لسواد القهوة يغزو سطح الفنجان...عند ذلك شرعت أترشّف قهوتي باردة...

أنتريتي نبّار

وداعا صديقي لطفي المهذبي صاحب "الكاسة"

منذ أسبوع غادرنا للأبد الصديق لطفي المهذبي أشهر شخصية داخل اروقة مؤسسة الإذاعة والتلفزة الوطنية في السنوات الثمانين والتسعين من القرن الماضي...

لطفي المهذبي أو صاحب الكاسة كما يحلو لي تسميته يعرفه كل فرد عمل داخل هذه المؤسسة أو تعامل معها كمتعاون خارجي قال عنه الصديق خالد نجاح في تدوينة فايسبوكية نشرها يوم وفاته متحدثا عنه وعن" الكاسة" التي ارتبطت به :"للكاسة قصة طويلة مع العاملين في الاذاعة والتلفزة ومن يذكرها يتذكر اناسا طيبين ومنهم عبد اللطيف المهذبي الذي قضى فيها سنوات طوال وكان في كل مرة يلمحه شخص داخل مقر شارع الحرية وخارجه الا ويساله يا لطيف "ثماش حويجة او وصلش الكاشي متاعي" . وكان المتعاونون الدائمون مع الاذاعة والتلفزة المعروفون بمسمى PIGISTES يتلقون مستحقاتهم من الكاسة كل نهاية شهر وكذلك المتعاونون العرضيون اضافة الى العاملين القارين الذي يقومون باعمال اضافية حسب ما ينص عليها القانون الاساسي وكان الجميع يتعامل مع الكاسة منهم اعضاء الفرقة الموسيقية والفرقة التمثيلية للاذاعة اضافة الى وجوه معروفة من جميع القطاعات فكانت صفوف الكاسة تجمع الكل .. وفي ظل الصعوبات المالية التي شهدتها الاذاعة والتلفزة كانت الكاسة تفتح في مناسبات قليلة ويكون عبد اللطيف محور اهتمام الجميع وكان يمتاز ببرودة دم وهدوء كبيرين وهو يصرف للجموع مئات آلاف الدينارات.. انتهى العمل بمنظومة الكاسة بانتهاء منظومة الكاشيات واصبحت الاموال تحول مباشرة الى الحسابات البنكية وارتاح عبد اللطيف من مشاكل الكاسة وهمومها ليواصل عمله في الادارة المالية حتى انتقل الى تعاونية موظفي الاذاعة والتلفزة التي كانت بحاجة الى خبرته لترتيب معاملاتها المالية في استرجاع مصاريف العلاج وبقية مشمولاتها.."

بالنّسبة للعاملين بمؤسسة الإذاعة والتلفزة كان لعبارة "الكاسة حلّت" وقعا سحريّا وكان الكلّ ينتظر إطلالة سي لطفي المهذبي العون المكلف بخلاص "المانديات"ودخوله الكاسة لتتدفق الحشود أفرادا وزرافات وكلّهم أمل في وجود البعض من "كاشيّاتهم" هناك.

طريقة الخلاص هذه كانت تهمّ التقنيين والمنتجين والمنشطين والموسيقيين والممثلين والمتعاونين الخارجيين ويتمّ الخلاص بتأخير كبير يصل في بعض الأحيان السّنة...

تعرفت على صديقنا لطفي المهذبي ككل المشمولين بهذه المنظومة في أواخر السّنوات الثّمانين وبداية السّنوات التسعين لّما كنت أعدّ البرنامج النصف شهري "سينما وجمهور"

وعانيت الأمرّين للحصول على مستحقّاتي الماليّة لاني كنت أمقت الوقوف في صف مزدحم على أمل ان اصل الى شباك الخلاص واجد بعض " الكاشيهات" الجاهزة...أضف الى ذلك ان حجمي المتكور لم يساعدني على القيام بهذه المهمة.

وفي سنة 1991 لّما أصبحت رئيس مصلحة البرامج الثّقافيّة لجأت إلى حيلة للحصول على مجموعة من "الكاشيهات" ذات قيمة ماليّة مهمّة ...عامها علمت بأنّ سي لطفي المهذبي المسؤول على الخلاص يترأس مهرجان صيفي ببلدته "بوفيشة" وبما أنّي قادم من وزارة الثّقافة ولي بها علاقات وطيدة مع المسؤول على العروض المدعومة تمكّنت من إقناعه بدعم هذا المهرجان بعرضين الأوّل للفرقة الموسيقيّة الوطنيّة والثّاني لفرقة قْفصة للمسرح بإدارة عبدالقادر مقداد.

وإتّصلت بسي لطفي المهذبي ودعوته للإتّصال بالمسؤول عن خليّة المهرجانات لإمضاء عقود العروض المدعومة...

في البداية لم يصدّق ما قلت له ولكن لّما ذهب وتحصّل على العرضين بالمجّان هاتفني ليشكرني على المساعدة التي قدّمتها له وللجهة.

وما هي إلّا ساعة زمن وإتّصل بي من جديد ليعلمني أنّ لي بالكاسة مجموعة مهمّة من الكاشيهات الغير مسدّدة وطلب منّي الحضور للحصول على مستحقّاتي .

ومنذ تلك الحادثة ودّعت الصفّ والزحمة التي كانت تحصل أمام الكاسة كلّما فتحت...

وتواصلت علاقة التعاون بيننا وكان يستشيرني ويطلب مني المساعدة على انجاح الانشطة التي يقوم بها في جهته وأذكر اني تابعت عن قرب تلك الانشطة وتابعتها عبر البرامج الثقافية لطرافتها واهميتها أذكر منها تنظيمه لأمسية شعرية ،،،جلب لها كبار الشعراء التونسيين،

وندوة ادبية ثقافية ،حول(الرواية) اثّثها كبار الاساتذة ،من كليّة "الاداب بسوسة"،

ومعرض للكتاب، ومعرض للفنون التشكيلية.

لطفي المهذبي توفي يوم السبت 7 اكتوبر رحمه الله واسكنه الجنة.

طرائف الزّعيم (358)

بورقيبة والقضية الفلسطينية

تفاعلا مع ما يجري هذه الأيام في فلسطين المحتلة والانتصارات النوعية التي تحققها المقاومة هناك سنحكي في هذه الطرفة عن موقف الزعيم من هذه القضية من خلال ما قاله الاستاذ الهادي التيمومي في تقديمه لكتاب "بورقيبة والقضيّة الفلسطينية وامتداداتها العربيّة (1938ـ 1978): واقعيّة ريادّية أو تنكّر للقضيّة"، للمؤرّخ والمحلل السياسي عبد اللطيف الحناشي والصادر عن دار التونسية للكتاب، حيث قال : "يكشف عنوان الكتاب إشكالية موقف بورقيبة من قضية العرب الأولى، وهو الموقف الذي كان له منذ رواجه عام 1965 الكثير من الذيوع والدوران على الألسنة والأقلام، بين متحاملِ بعنف شديد، ومُؤيّد بِتستّر أو بصفة علنية".

وأضاف: "كان بورقيبة أول زعيم سياسي عربي، يطالب العرب بالاعتراف بإسرائيل، وذلك في تصريح يوم 7 فيفري 1952 لجريدة LE FRANC TIREUR الفرنسية، كما كانت له اتصالات ببعض زعماء اليهود والصهاينة في العالم. وبعد حصول تونس على استقلالها عام 1956 تمسّك بورقيبة بنفس الموقف من القضية الفلسطينية، إذ كان مقتنعا بانه يستحيل على العرب هزم إسرائيل لأنها تحظى بدعم الولايات المتحدة الأمريكية وكل العالم الغربي، وكذلك العالم الاشتراكي (سابقا)".

وتابع: "دعا بورقيبة الفلسطينيين يوم 3 مارس 1965 باريحا، إلى التكفل بقضيتهم وعدم التعويل على العرب، وإلى تطبيق سياسة المراحل في مقاومة إسرائيل، والنظر إلى موازين القوى في العالم بكل واقعية، وقبول الحلول الوسطى، والشرعية الدولية التي بعثت اسرائيل للوجود رغم أنها شرعية ظالمة (القرار 181 الصادر في عام 1947 والقرار 194 الصادر عام 1948 حول تقسيم فلسطين بين الفلسطينيين واليهود، وحول حقّ اللاجئين الفلسطينيين العودة إلى ديارهم التي طردتهم منها العصابات الصهيونية)".

ورأى التيمومي أنه وبعد عقود من هذا الخطاب الذي استفظعه كل العرب الذين كانوا آنذاك تحت سطوة مصر الناصرية عاد العرب وأغلب الفلسطينيين للإفصاح عن إعجابهم بحنكة بورقيبة السياسيّة السابقة لعصرها، وبالتحسّر على عدم قبولهم موقفه عام 1965.

ولذلك أكد التيمومي أنه "ليس صدفة أن يختار الفلسطينيون، الاستقرار مؤقّتا بتونس، بعد أن هجّرتهم اسرائيل بالقوة من لبنان (سبتمبر 1982)، كما أنه ليس صدفة كذلك أن يقبل العرب أن تكون تونس عاصمة لجامعة الدول العربية منذ أفريل 1979، وذلك بعد توقيع الرئيس المصري أنور السادات، الصلح المنفرد مع إسرائيل (اتفاقية كامب ديفيد) وقد عيّن كذلك التونسي الشاذلي القليبي أمينا عاما لجامعة الدول العربية".

وأضاف: "على غرار الموقف الواقعي الريادي من القضية الفلسطينية، كان بورقيبة يؤمن أن الوحدة العربية التي رفع لواءها عَاليا، الرئيس المصري جمال عبد الناصر، لا ينبغي أن تكون وحدة اندماجية منذ الوهلة الأولى، بل لا بدّ من مرور فترة طويلة من التعاون الاقتصادي والثقافي قبل قيام أية وحدة سياسية بين دولة عربية وأخرى، أما الوحدات الاندماجية المتسرّعة مثل تلك التي وقعت بين مصر الناصرية وسوريا، فلا يمكن أن يكون مصيرها إلا الفشل الذريع".

وأنهى التيمومي تقديمه قائلا: "جماع القول، إن الكثرة المتكاثرة مما كُتب، إنما هي شيء من الدوي الذي تركه هذا السياسي الفذ وراءه أو هي رجعه وصداه، وهي دوي مسترسل لا يهدأ إلى اليوم ولا أدلّ على هذا من كتاب عبد اللطيف الحنّاشي، المقاتل السابق في صفوف المقاومة الفلسطينية الذي جرّب 'السيف' وها هو يجرّب الآن بنجاح 'القلم'".

فنّ وفنّانون

غادة قطاطة تتحصل على جائزة ميلان الذهبية الأفضل ممثلة سنة 2023

تحصلت الممثلة والإعلامية التونسية ابنة صفاقس غادة قطاطة على جائزة ميلان الذهبية لأفضل ممثلة سنة 2023.

وجاءت جائزتها على دورها في فيلم "كاستينج يوسف شاهين"، من إخراج وتأليف محمود محمود وإنتاج سامح حلمى وتصوير تامر رضوان.

وقدمت قطاطة في العمل شخصية المرأة التي يحتاج إليها أي فنان سواء على المستوى الذهني أو العاطفي، فالمرأه لعبت دور كبير في حياة المخرجين التي تم إهداء الفيلم لهم وكانت دائما تجمع بين العاطفة والحكمة معا.

وتفاجأت بحصولها على جائزة ميلان الذهبية لأفضل ممثلة عن دورها في فيلم "كاستينج يوسف شاهين" وقالت: "ممتنة للغاية، علامة فارقة في مسيرتي"..

شارك في هذا الفيلم كل من النجمة المصرية نبيلة عبيد

محمد مراد نحو الانتشار عربيا

الممثل التونسي محمد مراد يخوض أولى تجربة عربية في رمضان 2024 من خلال مشاركته في مسلسل عربي من إنتاج شركة الصباح إخوان يتم تصويره في سوريا ومصر...

محمد مراد ممثل تونسي، ولد بمدينة تونس في 15 سبتمبر 1990. درس بالمعهد الدراسات التجارية العليا بقرطاج. اشتهر بدور مهدي بن سالم في مسلسل ناعورة الهواء وأيضاً عن دوره قاسم في مسلسل تاج الحاضرة 2018.

محمد مراد من الممثلين الشباب الذين يصنعون عالم النجاح بخطى وئيدة، ممثل متمكن من ادوات شخصياته وجسد شخصيات مختلفة أكدت قدرته على النجاح والتميّز، شخصية بائع المخدرات بانفعالاتها النفسية والجسدية وملامح الوجه الصارمة أبدع في تقديمها محمد مراد في الفلوجة والدور مختلف عن أدواره السابقة.